التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس

خلال الفترة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢-٩٧٦م)

رسالة تقدمت بها

إنتصار محمد صالح الدليمي

إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة الموصل

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

ناطق صالح مطلوب

١٤٢٦هـ ٢٠٠٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾

صدق الله العظيم

(سورة النساء /الآية ٨٢)

الإهداء

إلى . . . .

الشمعة المنيرة التي تضيء حياتي . . . .

أُمّي

إلى . . . .

طيور النورس المحلقة في سمائي . . . .

إخوتي وأَخَواتي

إلى . . . .

كل من قدم لي يد العون والإسناد . . . .

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

الباحثة

الشكر والعرفان

إن الشكر لله سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً ثم الى أستاذي الفاضل الدكتور ناطق صالح مطلوب لتفضله بالإشراف على رسالتي لما قدمه من آراء علمية قيمة وملاحظات مهمة أسهمت في إظهار الرسالة بهذا الشكل العلمي المطلوب.

ويدفعني الاعتراف بالجميل أن أتقدم بالشكر إلى الذين قدموا لي يد المساعدة وأخص بالذكر الدكتورة لمياء عز الدين الصباغ في كلية الاداب /قسم التاريخ والدكتورة أحلام حسن النقيب والدكتورة نهلة شهاب احمد التدريسيتين في كلية التربية/ قسم التاريخ والأستاذ فوزي يونان التدريسي في كلية التربية / قسم الجغرافية لمساعدته لي في رسم الخرائط الخاصة بموضوع الرسالة.

كما أتقدم بالشكر الى الأستاذ ثامر التدريسي في كلية الآداب/جامعة الموصل/قسم اللغة الفرنسية الذي ساعدني في ترجمة بعض النصوص من اللغة الفرنسية.

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل إلى منتسبي المكتبة المركزية ومكتبة كلية الآداب/ جامعة الموصل ومكتبة المتحف الحضاري ومكتبة الآداب/ جامعة دهوك والى كل من مد لي يد المساعدة.

الباحثة

قائمة المختصرات

١- ت	توفي
٢- تح	تحقيق
٣- تر	ترجمة
٤- د.ت	دون تاريخ للطبع
٥- ج	جزء
٦- ص	الصفحة
٧- ط	طبعة
٨- (...)	كلام مبتور
٩- ق	قسم
١٠- op.cit	أي Opertcitato – المرجع السابق للكتب الاجنبية

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة وتحليل المصادر	١ - ٨
التمهيد	٩ - ٢٢
الفصل الأول : الاوضاع السياسية الداخلية في الاندلس خلال المدة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢-٩٧٦م)	**٢٣ - ٥٥**
أولاً- عهد الأمير عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) :	**٢٣ - ٤٧**
١. اسمه ولقبه وكنيته	**٢٣**
٢. بيعته وتوليه الحكم	**٢٤ - ٢٥**
٣. التحديات الداخلية أو السياسة الداخلية	**٢٧ - ٤٩**
١-القضاء على المتمردين	**٢٥ - ٣٩**
٢-اعلان الخلافة الاندلسية	**٣٩ - ٤٢**
٣-بناء مدينة الزهراء	**٤٢ - ٤٧**
ثانيا- عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)	**٤٧ - ٥٥**
أ- اسمه ومولده وصفاته	**٤٧**
ب- ولايته للعهد وتوليه الخلافة	**٤٨ - ٤٩**
ج- سيرته العلمية	**٥٠ - ٥٥**
الفصل الثاني : نشأة الممالك الاسبانية الشمالية	**٥٦ - ٧٨**
اولاً- قيام الممالك الاسبانية الشمالية	**٥٦ - ٦٥**
ثانياً- نشاط الممالك الاسبانية خلال المدة (١٣٨-٣٠٠هـ/ ٧٥٥-٩١٢م) :	**٦٥ - ٧٨**
أ- سياسة عبد الرحمن الداخل تجاه الممالك الاسبانية (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م)	**٦٥ - ٦٩**
ب-سياسة خلفاء عبد الرحمن الداخل تجاه الممالك الاسبانية (١٧٢-٣٠٠هـ/٧٨٨-٩١٢م)	**٦٩ - ٧٨**
الفصل الثالث : الاندلس والاخطار الخارجية خلال المدة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢-٩٧٦م)	**٧٩ - ١٠٩**
اولاً- خطر الممالك الاسبانية الشمالية :	**٧٩ - ٩٩**
أ-سياسة عبد الرحمن الناصر تجاه هذه الممالك	**٧٩ - ٩٤**
ب-الحكم المستنصر وسياسته تجاه الممالك الاسبانية الشمالية	**٩٤ - ٩٩**

ثانيا- خطر النورمان :	٩٩-١٠٩
أ-اصل النورمان	٩٩-١٠١
ب-غزوات النورمان على الاندلس في عصر الامارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)	١٠١-١٠٦
جـ-غزوات النورمان على الاندلس في عصر الخلافة (٣١٦-٣٦٦هـ/٩٢٨-٩٧٦م)	١٠٦-١٠٩
الفصل الرابع : الاندلس والدولة الفاطمية	١١٠-١٣٧
اولا- قيام الدولة الفاطمية في المغرب العربي	١١٠-١١٧
ثانياً- الصراع بين الاندلس والدولة الفاطمية خلال حكم عبد الرحمن الناصر	١١٧-١٢٦
ثالثاً- سياسة الحكم المستنصر تجاه الدولة الفاطمية	١٢٦-١٣٣
رابعاً- الاساليب التي اعتمدها الامويون في الاندلس ضد الدولة الفاطمية	١٣٣-١٣٧
الخاتمة	١٣٨-١٣٩
الملاحق	١٤٠-١٥٤
فهرس المدن الاندلسية وما يقابلها باللغة اللاتينية	١٤٠-١٤٣
ملحق رقم (١) : مخطط نسب بني حجاج اللخميين بإشبيلية	١٤٤
ملحق رقم (٢) : ملوك مملكة اشتوريش النصرانية	١٤٥-١٤٦
ملحق رقم (٣) : مخطط نسب بني تجيب بالثغر الاعلى	١٤٧
ملحق رقم (٤) : مخطط نسب بني خلدون باشبيلية	١٤٨
ملحق رقم (٥) : مخطط نسب بني مروان الجليقي بالثغر الادنى	١٤٩
ملحق رقم (٦) : مخطط نسب بني قسي بالثغر الاعلى	١٥٠
الخرائط	
خريطة رقم (١) : مواقع المدن الاندلسية	١٥١
خريطة رقم (٢) : حدود الممالك الاسبانية الشمالية	١٥٢
خريطة رقم (٣) : حملات عبد الرحمن الناصر ضد ممالك اسبانيا الشمالية	١٥٣
خريطة رقم (٤) : خط سير حملات النورمان على الاندلس	١٥٤
قائمة المصادر والمراجع	١٥٥-١٦٩

المقدمة

المقدمة وتحليل المصادر

تعد المدة الواقعة بين (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢-٩٧٦م) من أزهى عصور التاريخ الأندلسي إذ أصبحت الأندلس فيها الدولة الأولى في العالم الإسلامي فالدارسون لهذا العصر يجدونه حافلاً بخصائص عديدة ميزته عن الفترات السابقة فقد كان هذا العصر عصر تقدم وازدهار في شتى المجالات بعد استعادة الوحدة السياسية إلى البلاد زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر كما شهد امتزاج عناصر المجتمع من مولدين وعرب ومستعربين وبربر وكادت الخلافات العنصرية القديمة تصبح من ذكريات الماضي كما امتاز هذا العصر بالهدوء والاستقرار الداخلي مما جعل الناصر والمستنصر يمدان بأبصارهما نحو الخارج منتهجين سياسة خارجية نشطة تهدف إلى إخضاع ملوك الدويلات الإسبانية الشمالية وربطهم بحكومة قرطبة برابط التبعية وجعلهم في موقف دفاعي على طول الخط ونشر سلطانهما سواء بشكل مباشر أو غير مباشر على القسم الأعظم من المغرب العربي وقد خاضت الأندلس من اجل ذلك العديد من الحروب والوقائع وخرجت من اغلبها ظافرة وفضلاً عن ذلك امتاز هذا العصر بظهور المشاهير من العلماء والأدباء حتى أصبح الفكر الأندلسي في هذه المدة صرحاً ثابت الدعائم قوي الأركان ينشر نوره شرقاً وغرباً ويستقطب مشاهير العلماء من المغرب والمشرق.

وقد وقع اختياري على هذه الدراسة للميزات المذكورة آنفاً فضلاً عن أسباب أخرى منها المساهمة في أبحاث التاريخ الأندلسي المجيد والتعرف على طبيعة التحديات الداخلية والخارجية التي واجهتها الأندلس في هذه المدة.

وقد قامت الرسالة على أربعة فصول وتمهيد، تناول التمهيد الحديث عن عصر الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) وحركات التمرد التي قامت ضد حكومة قرطبة في عهده.

أما الفصل الأول من الرسالة فقد بحث الأوضاع السياسية الداخلية للأندلس خلال المدة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢-٩٧٦م) وقد قسمته إلى قسمين اختص القسم الأول بعصر عبد الرحمن الناصر وتضمن الحديث عن اسمه ونسبه وأعماله المتضمنة القضاء على المتمردين وإعلان الخلافة الأندلسية والأسباب التي دعته إلى ذلك واتخاذه الألقاب الخلافية وبناءه مدينة الزهراء، أما القسم الثاني فقد خصص لعهد الخليفة الحكم المستنصر والنهضة العلمية التي شهدها عصره وجهوده في استقدام العلماء من عموم العالم الإسلامي وتشجيعهم على التأليف وإغداق العطايا عليهم وإعطائهم المكانة اللائقة بهم.

أما الفصل الثاني فقد عرض لنشأة الممالك الإسبانية الشمالية التي كانت إحدى التحديات التي واجهت دولة الإسلام في الأندلس منذ بداية تأسيسها تناولت فيه ظهور هذه الدويلات منذ عصر الولاة حتى عهد الأمير عبد الله والسياسة التي اتبعها الأمراء الأمويون ضد هذه الممالك.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان الأندلس والأخطار الخارجية خلال المدة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢-٩٧٦م) الذي قسم بدوره إلى قسمين القسم الأول بحث موضوع العلاقات بين الأندلس والممالك الإسبانية الشمالية في عهد كل من الخليفة عبد الرحمن الناصر والخليفة الحكم المستنصر. والقسم الثاني تناول خطر النورمان وفيه تم التعرف على اصل هذه الأقوام والدوافع التي حدت بهم إلى الخروج من موطنهم والإغارة على المناطق الأخرى ثم تطرقت إلى الحديث عن غارات هذه الأقوام على الأندلس في عصر الإمارة والنتائج التي تمخضت عن هذه الغارات ثم ذكرت الاحتياطات التي اتخذها الخليفة عبد الرحمن الناصر لحماية الأندلس من غزو هذه الأقوام ثم تعرضت للهجمات التي شنتها هذه الأقوام على الأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر والسياسة التي اتبعها المستنصر لصد هذه الهجمات.

أما الفصل الرابع والأخير فقد تناول تفاصيل تحدٍ آخر هو الدولة الفاطمية وارتكز الفصل على أربع فقرات، الفقرة الأولى كانت قيام الدولة الفاطمية في المغرب العربي والثانية بحثت موضوع الصراع بين الأندلس والدولة الفاطمية خلال حكم عبد الرحمن الناصر والثالثة بينت سياسة الخليفة الحكم المستنصر تجاه الفاطميين وأما الرابعة فكانت عن الأساليب التي اعتمدها الأمويون في الأندلس ضد الدولة الفاطمية.

وقد اعتمدت في إعداد هذه الرسالة على مجموعة من المصادر والمراجع التي يمكن تقسيمها إلى عدة أقسام حسب المادة التي تناولتها هذه المصادر:

أولاً- كتب التاريخ العام

- كتاب افتتاح الأندلس لابن قوطية (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)[1] تناول سرد الحوادث منذ فتح بلاد الأندلس إلى نهاية عهد الأمير عبد الله وقد استفدت منه في معرفة الأوضاع العامة للإمارة الأموية قبل تولي الأمير عبد الرحمن الناصر للحكم.

---

[1] ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، (القاهرة-١٩٨٩).

- كتاب المقتبس لابن حيان (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م): كان في طليعة المصادر التي اعتمدت عليها لا سيما الأجزاء المطبوعة منه التي تشمل قطعة خاصة بعصر الأمير عبد الله[1]الذي وردت فيه تفاصيل مهمة عن حركات المعارضة لحكومة قرطبة في كافة أنحاء الأندلس. كما كانت استفادتي كبيرة من السفر الخامس منه الخاص بعهد الخليفة عبد الرحمن الناصر[2] حيث اعتمدت عليه في تغطية جوانب عديدة من البحث سواء عن حملات الخليفة الناصر ضد المتمردين في الداخل وجهاده ضد الممالك الإسبانية في الخارج وعلاقته مع الفاطميين في المغرب أما الجزء الخاص بعصر الخليفة الحكم المستنصر الذي وصلنا منه ما يخص السنوات الخمس الأخيرة من خلافته[3] فقد استفدت منه بما يتعلق بهجوم النورمان على الأندلس في عهده وعن حروب الحكم المستنصر مع الادارسة وزعيمهم آنذاك الحسن بن كنون كما تحدث عن مجالس الحكم واجتماعاته وكيفية تصريفه للأمور.

- كتاب نصوص عن الأندلس المسمى بـ(ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك)، للعذري (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[4] الذي يعد من المصادر التي جمعت بين الجغرافية والتاريخ وأغنت المعلومات التي وردت فيه البحث في العديد من الجوانب حيث أعطى تفصيلات مهمة عن هجوم النورمان على الأندلس في عصر الإمارة وذكر تواريخ مهمة عن الأسر المتنفذة في مناطق الثغور كما أورد العديد من المعلومات الجغرافية عن المدن والحصون الموجودة في الأندلس.

- كما اعتمدت على أربعة مصادر مجهولة المؤلف هي : كتاب أخبار مجموعة عن فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم[5] وقد تناول هذا الكتاب دراسة تاريخ الدولة العربية في الأندلس من الفتح حتى عصر الأمير عبد الرحمن الناصر وقد افدت من المعلومات التي أوردها عن حركات التمرد التي واجهت الإمارة الأموية في الأندلس وكيفية نشأة الممالك الإسبانية الشمالية.

---

[1] ابن حيان: المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، اعتنى بنشره الاب ملتشور م. انطونيه، (باريس-١٩٣٧)،ج٣.

[2] ابن حيان: المقتبس، نشر ب. شالميا، (مديد-١٩٧٩)،ج٥ .

[3] ابن حيان: المقتبس من اخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، (بيروت-١٩٦٥).

[4] العذري: نصوص عن الأندلس، تحقيق عبد العزيز الاهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد-١٩٦٥).

[5] مجهول: اخبار مجموعة، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري،(القاهرة-١٩٨٩).

وقدم كتاب ذكر بلاد الأندلس لمجهول[1] معلومات مهمة عن عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لا سيما فيما يتعلق ببناء مدينة الزهراء وكذلك عن عهد الخليفة الحكم المستنصر وسيرته العلمية.

أما كتاب فتح الأندلس لمؤلف مجهول أيضاً[2] فقد أورد معلومات مهمة عن بداية قيام الممالك الإسبانية ومما يلاحظ على هذا المصدر انه يسهب في الحديث عن عهد الأمير عبد الرحمن الداخل والأحداث التي وقعت فيه فيما يوجز في إيراد معلوماته عن عهود الأمراء الآخرين.

كما كان لكتاب نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى المنتخبة من كتاب مفاخر البربر لمجهول أيضاً[3] فائدة كبيرة في معرفة علاقة الأمويين لا سيما في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالفاطميين والادارسة والحروب الواقعة بينهم.

- أما كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)[4] فعلى الرغم من كون المؤلف مشرقياً كما هو معروف الا انه أبدى اهتماماً كبيراً بحوادث المغرب والأندلس فهو وان تناول تاريخ الأندلس بنوع من الاختصار إلا انه يعد من أوثق من كتب عن الأندلس من مؤرخي المشرق فقد اتبع نظام الحوليات في سرد الحوادث وقد افدت من هذا الكتاب فيما يتعلق بموضوع حملات الأمراء الأمويين على الشمال الإسباني وقدم معلومات وافية عن موضوع قيام الدولة الفاطمية وعلاقتها بأمويّ الأندلس.

- ويعد كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (ت٧١٢هـ/١٣١٢م)[5] من الكتب الجامعة النافعة لتاريخ المغرب والأندلس وهو من المصادر التي اهتمت بالتاريخ السياسي والعسكري للمغرب والأندلس مع إيراده إشارات عن الحوادث الاجتماعية والاقتصادية ويقع هذا المؤلف في أربعة أجزاء افدت من الجزئين الأول والثاني بشكل واسع حيث قدما معلومات وافية عن عصر الخلافة على

[1] مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ترجمة وتحقيق لويس مولينا، (مدريد-١٩٨٣).
[2] مجهول: فتح الأندلس، نشر: دون خواكين دي جونثالث، (الجزائر-١٨٨٩).
[3] مجهول: مفاخر البربر، نشر ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة، (رباط الفتح-١٩٣٤).
[4] ابن الاثير: الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة، (بيروت-١٩٦٦).
[5] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت-د.ت)، ج٢.

الرغم من اختصارها في بعض الأحيان إلا أن المعلومات التي قدمها أفادت البحث فائدة جمة.

- ومن المصادر كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام لمؤلفه ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)[1] فعلى الرغم من اختصاره الشديد في ذكر الأحداث إلا انه قدم معلومات قيمة عن عصور البحث سواء ما يتعلق منها بالأندلس أو المغرب.

- أما كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)[2] فيعد من كتب التاريخ المهمة لا سيما الجزأين الرابع والسادس منه فقد استفدت منهما في كافة فصول الرسالة تقريباً خاصة فيما يتعلق بعهد عبد الرحمن الناصر وعلاقته بالدولة الفاطمية والممالك الإسبانية الشمالية كما ذكر لنا معلومات مهمة عن جهاد الحكم المستنصر ضد الممالك الإسبانية الشمالية وحروبه مع الادارسة بالمغرب.

- ومن المصادر المتأخرة الجامعة للتاريخ والأدب كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)[3] فقد استفدت من هذا المصدر في موضوع قيام الممالك الإسبانية الشمالية وعن بناء الزهراء وعن سيرة الخليفة المستنصر العلمية حيث ورد فيه العديد من التراجم لعلماء وفقهاء ورجال دولة مشهورين آنذاك.

ثانياً- كتب التراجم

أما كتب التراجم فكثيرة وقد سارت معظمها على منهج عام هو إيراد مقدمة تاريخية لبلاد الأندلس من الفتح إلى العصر المقارب لوفاة المؤلف وقد أفادتني هذه المقدمات بشكل كبير كما استقيت معلومات تاريخية مهمة من خلال تراجم الشخصيات الواردة فيها واشهر هذه الكتب:

- كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت٤٠٣هـ/١٠١٣م)[4] .

---

(١) لسان الدين ابن الخطيب: اعمال الاعلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت-١٩٥٦).

(٢) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة، (بيروت-١٩٧٩).

(٣) المقري: نفح الطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، (بيروت-١٩٦٨).

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، مطابع سجل العرب، (القاهرة-١٩٦٦).

- كتاب جذوة المقتبس للحميدي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)[1] .
- كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي (ت٥٩٩هـ/١٢٠٣م)[2] .
- كتاب الصلة لابن بشكوال (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م)[3] .
- كتاب الحلة السيراء لابن الأبار (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)[4]

مع أن هذه الكتب اعتمدت منهجاً محدداً حرصت على الالتزام به في اغلب تراجمها هو التركيز على نسب صاحب الترجمة وشيوخه وطلابه ورحلاته العلمية وذكر ابرز مؤلفاته وسنتي ولادته ووفاته ومع مجيء بعض التراجم مختصرة لكنها ضمت معلومات مهمة – ولو بصورة مقتضبة – عن نشاط العلماء العلمي والسياسي وقد غذت هذه المعلومات البحث في بعض فصوله لا سيما الفصل الثاني فيما يخص تشجيع الحكم المستنصر للعلماء ورعايته لهم والفصل الرابع في مقاومة الفقهاء المالكية للدولة الفاطمية في المغرب.

ثالثاً- كتب الجغرافية

أما كتب الجغرافية التي تناولت دراسة بلاد الأندلس وأقاليمه ومدنه فهي في غاية الأهمية من حيث استعانتي بها في إعداد هذه الرسالة ونظراً لكثرتها سوف اقتصر على ذكر نماذج منها:

- كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) المسمى جغرافية الأندلس وأوربا[5] فقد ورد فيه معلومات جغرافية مهمة عن مدن وأقاليم الأندلس.
- كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)[6] فقد اشتمل على معلومات جغرافية دقيقة كما أورد معلومات تاريخية عن تراجم مشاهير العلماء في كل مدينة ذكرها في معجمه.

---

(١) الحميدي: جذوة المقتبس، مطابع سجل العرب، (القاهرة – ١٩٦٦).
(٢) الضبي: بغية الملتمس، مطبعة روخس، (مدريد-١٨٨٤).
(٣) ابن بشكوال: الصلة، (القاهرة-١٩٦٦).
(٤) ابن الابار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، (القاهرة-١٩٦٣).
(٥) البكري: جغرافية الأندلس واوربا، تحقيق عبد الرحمن الحجي، (بيروت-١٩٦٨).
(٦) الحموي: معجم البلدان، دار صادر، (بيروت-د.ت).

- كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس لابن غالب الغرناطي (من أهل القرن السادس الهجري)[1] كان ذا فائدة كبيرة بما ورد فيه من تفاصيل مهمة عن جغرافية المدن الأندلسية التي كانت بيد المسلمين بعد سنة ٤٠٠هـ كما احتوى على معلومات تاريخية عن أمراء بني أمية وخلفائهم في الأندلس.

- كتاب آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)[2] أورد معلومات جغرافية مهمة عن الأندلس.

أما كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت٧١٠هـ/١٣١٠م)[3] فيعد من أهم المعاجم الجغرافية التي فصلت القول في مدن الأندلس.

ومن الكتب التي اعتمدتها أيضاً كتب الأنساب كان أبرزها كتاب جمهرة انساب العرب لابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)[4] الذي يعد من أوسع كتب الأنساب مادة وأدقها وقد استفدت منه في ضبط انساب الأسر الأندلسية لا سيما في الثغور كأسرة بني قسي وأسرة بني الطويل وبني تجيب وغيرها.

وقد اعتمدت هذه الرسالة أيضاً على جملة من المراجع العربية والأجنبية أبرزها كتاب المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال الذي عنوانه :

- Histoire DeL’Espagne Muslmane .

الذي زود البحث بمعلومات جيدة لا سيما أجزائه الثلاثة الأولى فيما يخص قيام الممالك الإسبانية الشمالية وعلاقتها بالأندلس في عصر الإمارة والخلافة.

كما افدت من مؤلف المستشرق الهولندي دوزي المعنون :

- Histoire des Musulmans d’Espagne.

الذي ترجم الجزء الأول منه الأستاذ حسن حبش تحت عنوان (تاريخ مسلمي إسبانيا) أما رسالة الدكتور عبد الرحمن الحجي الموسومة باسم:

---

(١) ابن غالب: فرصة الانفس، تحقيق لطفي عبد البديع، (القاهرة-١٩٥٥).

(٢) القزويني: آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، (بيروت-١٩٦٠).

(٣) الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، دار العلم، (بيروت-١٩٧٥).

(٤) ابن حزم: جمهرة انساب العرب، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٨٣).

- Diplomatic Relations of Umayyad Spain with Western Europe.

فقد قدمت معلومات قيمة خاصة فيما يتعلق بنشأة الممالك الإسبانية الشمالية وعلاقتها بالأندلس كما أورد معلومات جيدة عن النورمان وأصلهم وهجماتهم على الأندلس في عصر الإمارة والخلافة.

فضلاً عن ذلك استفادت الرسالة من مراجع أخرى منها دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان وكتاب تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة) لأحمد بدر وكتاب الدولة العربية في إسبانيا لإبراهيم بيضون. وكتاب التقويمان الهجري والميلادي لفريمان وجرانفيل.

هذا وسيجد القارئ ثبتاً بأسماء المصادر والمراجع في آخر الرسالة وأخيراً أتمنى أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت ولو بالقليل في إغناء تراثنا العربي الإسلامي.

التمهيد

قامت الإمارة الاموية في الأندلس بجهود الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٦-٧٨٨م) وجهود خلفائه من بعده حيث عملوا على بناء دولة قوية قضت على كل المشاكل التي واجهتهم ، ولكن بوفاة الأمير عبد الرحمن الثاني سنة (٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) ابتدأت فترة مضطربة من تاريخ الأندلس تمزقت فيها وحدة البلاد السياسية وامتدت التمردات شمالاً وجنوباً وفقدت الحكومة المركزية في الأندلس السيطرة على زمام الامور.

وقد وصلت الفتنة اوجها في عهد الأمير عبد الله بن محمد الذي ابتدأ حكمه الطويل البالغ خمسة وعشرين عاماً في ظروف صعبة فسلفه الأمير المنذر بن محمد توفي وهو يحاصر المتمردين والخلاف يمزق أوصال المملكة فكانت الأندلس كما وصفها المؤرخ ابن الاثير بقوله (وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن وصار في كل جهة متغلب ولم تزل كذلك طول ولايته) أي ولاية الأمير عبد الله[1].

وللالمام بالتمردات العديدة التي حدثت في عهد الأمير عبد الله التي كانت جذورها ممتدة الى عهود سلفيه الأمير المنذر والأمير محمد بن عبد الرحمن آثرنا ان نقسم هؤلاء المتمردين والعصاة حسب الاهداف التي تسيرهم ثلاث مجموعات هي :

الأولى : كانت تطمح الى ازالة سلطان الإمارة الاموية في قرطبة والحلول محلها والاجهاز على سلطان العرب واستبداله بسلطان المولدين وهؤلاء يمثلهم كما هو واضح المولدون .

الثانية : تطمح الى الاستقلال الذاتي في مناطق معينة مكنتهم سعتها وغنى مواردها من اقامة دويلات مستقلة فيها وهذه تمثلها القبائل العربية في الأندلس كعرب بني حجاج وغيرهم .

الثالثة : هم نوع من العصاة الصغار الذين اقتصر مدى سلطانهم على حصن او عدد من الحصون امتنعوا به وهؤلاء كانوا متقلبي الولاء قليلي الخطورة يلجؤون تارة الى محالفة المتمردين من المولدين او العرب وتارة يخضعون للحكومة المركزية لكن هذا الخضوع يكون اثر توجيه حملة عسكرية ضدهم .

والمجموعة الأولى من المتمردين كان يمثلهم المولدون الذين كانوا يشعرون ببغض وكره شديدة للعرب والحكم العربي وغالباً ما يتحالف هؤلاء المتمردون مع أمراء الممالك النصرانية في شمال الأندلس الذين كانوا تربط بينهم صلات نسب او قرابة من ناحية الأم .

---

[1] ابن الاثير : عز الدين علي بن ابي الكرم ت (٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار بيروت للطباعة ، (بيروت – ١٩٦٦)، ج٧ ، ص١٤٥ .

وقد انتشر تمرد هؤلاء في مناطق عديدة من الأندلس ومن المتمردين الذين ينتمون الى هذه الفئة من المجتمع الأندلسي بنو حفصون في الجنوب وبنو قسي وبنو مروان الجليقي في الشمال وكان اخطر المتمردين واكثرهم قوة المتمرد عمر بن حفصون[1] الذي تمرد في كورة رية في الجنوب [2] وامتد تمرده الى مناطق عديدة في الأندلس فقد استغل هذا المتمرد بغض المولدين للحكم العربي واعلن العصيان على الدولة الاموية ، ويتضح ذلك من خطابه الذي وجهه الى اتباعه في ببشتر [3] حيث قال : (طال ما عنف عليكم السلطان وانتزع اموالكم وحملكم فوق طاقتكم واذلتكم العرب واستعبدتكم انما اريد ان اقوم بثأركم واخرجكم من عبوديتكم) [4] .

ويذكر لنا المؤرخ ابن حيان البواعث الأولى للفتنة التي حدثت في كورة رية فيؤكد ان سبب تمرد الاهالي هناك عنف الوالي يحيى بن عبد الله بن يحيى عامل الأمير محمد بن عبد الرحمن على كورة رية في تحصيل الضرائب والمكوس فيما تشير الروايات الى الجدب الذي أصاب اهل كورة رية وعجزهم عن الوفاء بالتزاماتهم نحو السلطة المركزية ولذلك سارت

---

(١) هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن الفونس سليل اسرة من المولدين ترجع الى اصل نصراني قوطي وكان جده جعفر اول من اسلم من اسلافه تسكن ناحية تاكرنا جنوب الأندلس كان والده حفص او حفصون ذا مال ووجاهة لكن عمر نشأ فاسداً سيء السيرة عنيفاً يعتدي على الاخرين ولم يلبث ان قام بجريمة قتل فرّ بعدها الى عدوة المغرب ثم عاد اثناء حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ) واعتصم بجبل ببشتر والتف حوله بعض العصاة واعلن العصيان على حكومة قرطبة وتوفي سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م . ينظر : ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة جمال للطباعة (بيروت -١٩٧٩) ، ١٣٤/٤، ابن عذارى ، احمد بن محمد (٧١٢هـ) البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج . س . كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، (بيروت ، د.ت) ، ١٠٨/٢ وينظر : عنان : محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، مطبعة المدني (مصر – ١٩٨٨) ، ٣٠٨/١ .

(٢) رية : كورة واسعة من كور الأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء وهي في جنوبي قرطبة كثيرة الخيرات لها مدن وحصون عديدة نزلها جند الاردن من العرب اثناء الفتح ينظر : الحموي : شهاب الدين ياقوت (٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار صادر للطباعة ، (بيروت -د.ت) ، ١١٦/٣ ، الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٧١٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، دار القلم للطباعة ، (بيروت – ١٩٧٥) ، ص٢٧٩ .

(٣) ببشتر : حصن روماني قديم منفرد بالامتناع بينه وبين قرطبة ١٨٠كم وهو كثير الديارات والكنائس يتكون من عدد من القرى والحصون الصغيرة اتخذه ابن حفصون قاعدة لهجماته ضد حكومة قرطبة . بنظر : الحموي ، معجم البلدان ، ٣٣٣/١ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص٧٩، ينظر : خليل ابراهيم السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب للطباعة ، (الموصل، ١٩٨٠) ، ص١٢٤ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١١٤/٢ .

العلائق بين الطرفين نحو الاسوأ فحاربهم الوالي يحيى وقتل الكثير منهم فاعتصموا بحبالهم واعلنوا العصيان وكان ذلك سنة (٢٦٥هـ/ ٨٧٨م) [1] .

وبقيت الأوضاع متوترة هناك حتى سنة (٢٦٧هـ/ ٨٨٠م) حيث ظهر ابن حفصون على مسرح الاحداث وتزعم هؤلاء العصاة وقد حاول الأمير محمد بن عبد الرحمن القضاء على تمرده بتوجيه العديد من الحملات العسكرية ضده لكنه فشل في القضاء عليه وقد ادرك الأمير عبد الله (٢٧٥ –٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) الذي تولى الحكم بعد وفاة اخيه الأمير المنذر [2] ان تمرد ابن حفصون هو اخطر التمردات التي واجهت العرش الاموي وكان ابن حفصون نفسه يدرك ايضاً خطورة موقفه كونه متمرداً على الحكومة المركزية لذا كان يلجأ كلما تحرج موقفه الى المناورة وطلب الهدنة فبعد وفاة الأمير المنذر طلب ابن حفصون الصلح من الأمير عبد الله فوافق الأمير على منحه اياه ليس ضعفاً منه ولا عجزاً ولكن لتتاح له الفرصة لتهدئة الاضطراب السائد في دولته ، وقد ارسل الأمير عبد الله والياً من قبله الى كورة رية ليكون شريكاً لإبن حفصون في حكمها ، ولكن لم تمض عدة اشهر حتى نكث ابن حفصون عهد الصلح وطرد عامل الأمير واغار على البلاد المجاورة واستولى على ارشذونة[3] وعاث فيها فساداً فسار اليه الأمير عبد الله بنفسه سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) واجتاح منطقة ببشتر وخربها لكنه لم يشتبك مع المتمرد الذي اعتصم بحصونه فعاد الأمير الى

---

(١) ابن حيان : ابو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت٤٦٩هـ) ، المقتبس من انباء اهل الأندلس ، تحقيق محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي للطباعة ، (بيروت ، ١٩٧٣) ، ٣٩٣/١ .

(٢) توفي الأمير المنذر سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م) عن عمر يناهز ستاً واربعين سنة وهو يحاصر ابن حفصون في ببشتر . ينظر مؤلف مجهول : اخبار مجموعة عن فتح الأندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري للطباعة ، (القاهرة – ١٩٨٩) ، ط٢ ، ص١٣٢ . ابن عذارى: البيان المغرب ، ١١٩/٢ .

(٣) ارشذونة: مدينة بالأندلس وهي قاعدة كورة رية ومنزل الولاة والعمال وهي بقبلي قرطبة سهلها واسع وجبلها مانع لها حصن فوق المدينة بينها وبين مالقة (٥٦) كم. ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٢٥.

قرطبة [1] وبعد ذلك خرج ابن حفصون بجيشه وتوغل حتى مدينة استجة[2] واستولى عليها لكن الأمير عبد الله سير اليه حملة بقيادة عمه المنذر بن عبد الرحمن فانتزعها منه [3] .

وفي محاولة لاستعادة ثقة الأمير به قام ابن حفصون بالفتك بالمتمرد خير بن شاكر في جيان[4] وبعث برأسه الى الأمير عبد الله لكن الأمير عبد الله لم يخدع بسعيه مما جعل ابن حفصون يهجم على جيان ينهب اموالها ويذل اهلها فساد الذعر والفوضى في المدينة. وقد واصل ابن حفصون غاراته شمالاً وبلغ من جرأته ان حاول احراق مخيم الأمير في شقندة [5] فعندئذٍ قرر الأمير عبد الله ان يضع حداً له فحشد قواته التي بلغت ثمانية عشر الفاً وسار بها الى الجنوب الى ناحية قبرة [6] حيث كان ابن حفصون قد حشد قواته في حصن بلاي اوبلي القريب من قبرة وقد بلغت حوالي ثلاثين الفاً [7] وكان ذلك في (صفر من سنة ٢٧٨هـ/ايار من سنة ٨٩١م) فجرت معركة حامية بين الطرفين واسفرت عن هزيمة المتمردين وارتدادهم الى ببشتر قاعدتهم الرئيسة فاحتل الأمير عبد الله حصن بلاي وقتل العديد من المتمردين فيه وسار بعدها الى استجه وحاصرها اياماً حتى اذعنت له فمنحها الامان [8] .

---

(١) ابن حيان : ابو مروان حيان بن خلف (ت٤٦٩هـ) ، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، اعتنى بنشره الاب ملشور م. انطونية ، (باريس-١٩٣٧) ، ٥٣/٣ ، ينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٣٢٤/١ .

(٢) استجة : اشتق العرب اسمها من الاسم الروماني القديم (Astigis) ومعناه (جمعت الفوائد) وهي من كور الأندلس تتصل بأعمال رية تقع على الضفة اليسرى لنهر شنيل احد فروع نهر الوادي الكبير تبعد عن اشبيلية ٨٠كم وعن قرطبة ٦٠كم ، ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ١٧٤/١ . الحميري : الروض المعطار ، ص٥٣ .

(٣) ابن حيان : المقتبس، تح: ملتشور ، ٥٤/٣ .

(٤) يعد خير بن شاكر من اكبر المتمردين في مدينة جيان التي تبعد ٩٧كم عن شمال غرناطة قام بطرد عامل الأمير عبد الله في جيان واستولى عليها وسيرت اليه حكومة قرطبة عدة حملات لكن لم تستطع اخضاعه فبعث ابن حفصون جماعة من اتباعه الى جيان بحجة مساندة ابن شاكر لكنهم فتكوا به وحملوا رأسه الى ابن حفصون . ينظر : ابن حيان : المقتبس، تح: ملتشور ، ٢٤/٣ . ابن سعيد : عبد الملك واسرته : المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف للطباعة ، (مصر – ١٩٦٤) ، ٥١/٢ . ينظر كذلك : عنان: دولة الإسلام ، ٣٢٤/١ .

(٥) شقندة : قرية بالقرب من نهر الوادي الكبير قبالة قصر الخلافة في قرطبة بنظر : الحميري : الروض ، ص٣٤٩ .

(٦) قبرة : مدينة صغيرة بينها وبين قرطبة ٦٠كم تحتوي على بساتين واراضٍ زراعية كثيرة العيون تحتوي على مغارة كبيرة العمق تعد من عجائب الأندلس ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٥٣ .

(٧) ابن خلدون : العبر ، ١٣٥/٤ .

(٨) ابن حيان : المقتبس،ملتشور ، ٩٤/٣-٩٧ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٢٦/٢-١٢٧ .

هدأت الأوضاع على هذه الجبهة لفترة سنتين بعد موقعة بلاي عمل فيها ابن حفصون على تنظيم قواته واستكمال اهبته لاستئناف الصراع مع حكومة قرطبة التي كانت في هذا الوقت تتابع عملياتها لأخماد التمردات في باقي مدن الأندلس .

ثم عادت الصوائف [1] تتردد لضرب معاقل ابن حفصون ففي سنة (٢٨١هـ/٨٩٤م) سار المطرف بن الأمير عبد الله في جند الأندلس الى كورة رية وحاصر ابن حفصون في معقله ببشتر ثم خرج ابن حفصون للقائه فهزم وقتل عدد من قواد ابن حفصون [2].

ثم عاد ابن حفصون يجهز جيشه وزحف الى مدينة استجة واستولى عليها مرة أخرى وذلك سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م) عند ذاك استجمع الأمير عبد الله الجند من الكور التابعة له وسيرهم سنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م) بقيادة ابنه الأمير ابان لقتال ابن حفصون ومعه القائد احمد بن أبي عبدة وجابت هذه الحملة مناطق جنوب الأندلس في الجزيرة الخضراء [3] حتى وصلت الى مدينة طريف [4] وهاجمت الحصون المتمردة هناك ثم ارتدت الى ببشتر عاصمة ابن حفصون وجرت معه عدة معارك لم تسفر عن اية نتيجة حاسمة ثم عادت الى قرطبة [5].

وفي سنة (٢٨٦هـ / ٨٩٩م) حدث امراً كان في صالح الأمير عبد الله إذ قام ابن حفصون باعتناق النصرانية وارتد عن الإسلام هو وسائر افراد اسرته واتخذ له اسماً نصرانياً هو صموئيل[6] فاكتسب بذلك عداء انصاره المسلمين الذين انفضوا من حوله وتبرأوا من فعلته وبعثوا الى الأمير عبد الله يعلنون طاعتهم له فاشتد سخط الاهالي عليه في سائر

---

[١] كانت معظم الحملات والغزوات الإسلامية تنظم في الصيف لكونه خير الفصول للقيام بهذه الغزوات لهذا تسمى بالصائفة او الصوائف . ينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٢٥٦/١ .

[٢] من هؤلاء القادة حفص بن المرة اشجع قواد ابن حفصون واشدهم مراساً ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٤٢/٢ .

[٣] الجزيرة الخضراء : وتسمى جزيرة ام حكيم تقع جنوب الأندلس وتطل على مضيق جبل طارق وعلى مرساها تقع مدينة الجزيرة التي تقع على ربوة مشرفة على البحر وسورها متصل به كانت اول مدينة فتحت في الأندلس سنة ٩٠هـ وبني فيها مسجد الرايات بينها وبين جبل طارق ٣ كم . ينظر : الحميري : الروض المعطار ، ص٢٢٣ - ٢٢٤ .

[٤] طريف: مدينة صغيرة تقع على البحر المتوسط بينها وبين الجزيرة الخضراء ٣٦كم فتحت سنة ٩١هـ سميت بطريف على اسم القائد العربي طريف بن مالك الذي ارسله موسى بن نصير مع جماعته الى الأندلس قبل فتحها لاستطلاع امرها فكان اول نزوله في هذه المدينة ينظر الحميري: الروض المعطار، ص١١٣.

[٥] عنان : دولة الإسلام ، ٣٣٦/١ .

[٦] Reinhardt Dozy, Histoire des musulmans d'espagne jusqua la Conquete des Almoravdes , (leiden – 1932) . Vol.II, pp. 84-85 .

امصار الأندلس ورأى المسلمون في قتاله نوعاً من الجهاد[1] ولكي يعـوض ابـن حفـصون الخسارة التي حازها بعمله هذا لجأ الى عقد بعض التحالفات ليقوي مركزه فتحالف مع الفونس الثالث ملك ليون وتحالف مع زعيم العرب إبراهيم بن حجاج [2] كما تحالف مـع سـعيد بـن مستنة[3] .

توجس الأمير عبد الله شراً من هذه السلسلة من التحالفات التي عقدها ابـن حفـصون ففضل الأمير مهادنته فأرسل يعرض عليه الصلح فوافق ابن حفصون علـى عقـده فأرسـل الرهائن ومنهم حليفه ابن مستنة[4] ، لكن هذا الصلح لم يتم فقد اختلف الطرفـان علـى تنفيـذ بعض شروط الصلح فأعلن ابن حفصون العصيان مما ادى الى ان يأمر الأمير عبد الله الجنـد بالتأهب لحربه فارسلهم بقيادة احمد بن ابي عبدة الى استجة التي اتخذها ابن حفصون قاعدة له وجرت بين الطرفين معركة خسر بها جند الإمارة في البدء لكنهم اعادوا الكرة على قوات ابن حفصون فهزموهم هزيمة شديدة سنة (٢٨٩هـ / ٩٠٢م) وفي اثر ذلك امـر الأميـر بقتـل الرهائن ما عدا عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج[5] وابن مستنة الذي افتدى نفسه بـالرجوع الى الطاعة [6].

يأتي بعد ابن حفصون المتمرد عبد الله بن امية بن الشالية الذي استقل في منطقة جبل شمنتان[7]. وامتد سلطانه الى حصن قسطلونة[8] وقوى امره وانشأ بلاطاً وجيشاً وحالف ابـن

---

(١) ابن حيان : المقتبس، تح: ملتشور، ١٢٨/٣ . ابن عذاري: البيان المغرب ، ٢/ ١٣٩ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٤٣/٢ .

(٣) سعيد بن مستنة : متمرد من مدينة باغة القريبة من قبرة تمرد على الامـويين وسـيطر علـى الحـصون المجاورة لباغة وحاربه الأمير عبد الله اكثر من مرة حتى اضطر الى التسليم وذلك سـنة ٢٧٩هــ/٨٩٢م لكنه عاد الى الخلاف وتحالف مع ابن حفصون . ينظر : ابن حيان : المقتبس، تح: ملتشور ، ٢٧/٣ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٤٤/٢. ينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٣٣٧/١ .

(٥) كان عبد الرحمن بن حجاج ضمن الرهائن الذين ارسلهم ابن حفصون الى الأمير عبد الله وقد عفا الأميـر عبد الله عنه ليكسب ابن حجاج الى جانبه . ينظر : ابن القوطية : ابو بكر محمد بـن عمـر (ت٣٧٦) : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكتـاب المـصري ، (القـاهرة – ١٩٨٩) ، ط٢ ، ص١٢٢ .

(٦) ابن القوطية : المصدر نفسه ، ص١٢٢ .

(٧) جبل شمنتان : جبل يقع شمالي جيان بين مدينة لينارس ونهر الوادي الكبير ، ينظر : الحمـوي : معجـم البلدان ، ٣٦٤/٣ . وينظر كذلك : عنان : دولة الإسلام ، ٣٣٠/١ .

(٨) قسطلونة : حصن منيع من حصون مدينة قسطلونة الواقعة في منتصف المسافة بين طرطوشـة وبلنـسية وهي الى بلنسية اقرب متوسطة الحجم تخترقها شوارع طويلة منسقة وميادين فسيحة ينظر : القزوينـي : زكريا بن محمد (ت٦٨٢هـ) : اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر (بيروت – ١٩٦٠) ، ص٥٥٣ .

حفصون وصاهره فقد زوج ابنته من جعفر بن عمر واستمر على الخلاف والامتناع بمعاقله طول ولاية الأمير عبد الله ولم ينته تمرده حتى ايام الناصر إذ عاد الى الطاعة واقره الناصر والياً على مناطق نفوذه [١] .

ومن المولدين الذين استقلوا عن إمارة قرطبة بنو مروان الجليقي [2] الذين تمردوا بمدينة بطليوس [3] وما جاورها منذ ايام الأمير محمد بن عبد الرحمن وقد فشلت حكومة قرطبة في اخضاع زعيمهم عبد الرحمن بن مروان وانتهى الامر باستقلاله بالمناطق التي سيطر عليها ولما تولى الأمير عبد الله آثر ان يقرّ هذا الاستقلال فقام ابن مروان بتحصين المدينة لكنه عاد ونكث العهد سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) وحالف بعض المتمردين وساعدهم كمتردي باجة[4] واقدم على مساعدة محمد بن تاكيت المصمودي زعيم البربر المتمرد في الثغر الادنى [5] حينما كان محاصراً من جند الإمارة ثم توفي عبد الرحمن الجليقي وخلفه اولاده مروان وعبد الله بالتوالي على حكم بطليوس طوال عهد الأمير عبد الله حتى استنزلهم الأمير عبد الرحمن الناصر سنة (٣١٧هـ / ٩٢٩م) وقضى على دولتهم [6] .

---

[١] ابن حيان ، المقتبس، تح: ملتشور ، ٣/٩-١١ ، ابن الأبار : أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٥٨هـ) ، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس ، (القاهرة -١٩٦٣) ، ٢٢٠/١ .

[٢] بنو مروان الجليقي : وهم من المولدين الذين استقروا بماردة وبطليوس منذ امد بعيد تولى حكم ماردة منهم مروان بن يونس منذ ايام الأمير محمد بن عبد الرحمن لكن أبناءه خرجوا عن طاعة الحكومة واستقلوا بحكم المناطق التي تحت نفوذهم وقد سمي بالجليقي لأن اصلهم من جليقية شمال غرب الأندلس . ينظر : ابن حيان: المقتبس، تح: ملتشور ، ١٥/٣ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٠٥/٢ . ينظر : الحجي : عبد الرحمن علي : اندلسيات ، دار الارشاد للطباعة (بيروت -١٩٦٩) ، ١١٦/٢-١١٨ .

[٣] بطليوس : مدينة كبيرة من اعمال ماردة على نهر آنه غربي قرطبة بينها وبين ماردة ٢٠ كم وكان عبد الرحمن بن مروان الجليقي بناها بأمر من الأمير عبد الله لتكون مقراً له في ادارة الثغر الادنى ينظر: الحموي : معجم البلدان ، ٤٤٧/١ . الحميري : الروض المعطار ، ص٩٣ .

[٤] باجة : مدينة قديمة البناء بنيت ايام القياصرة ومعناها (الصلح) تقع على ربوة صخرية مرتفعة بينها وبين قرطبة (٦٠٠)كم وهي احدى الكور المجندة التي نزلها جند مصر عند الفتح بينها وبين ماردة مسيرة ثلاثة ايام . ينظر : ابن غالب : محمد بن ايوب الغرناطي (ت ق ٦هـ) ، فرحة الانفس في تاريخ الأندلس ، تحقيق لطفي عبد البديع ، (القاهرة -١٩٥٥) ، ص٢٩٠ .

[٥] الثغر الادنى : هو المنطقة الواقعة بين نهري دويرة وتاجة ومن مدنه قورية وقلمرية وشنترين وماردة . ينظر : الحموي : معجم البلدان ١٢١/٢. البكري : ابو عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ) ، جغرافية الأندلس واوربا ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، (بيروت – ١٩٦٨) ، ص٩٥ .

[٦] ابن حيان : المقتبس، تح: ملتشور ، ١٥/٣ . ابن عذاري ، البيان الغرب ، ١٤٠/٢ .

اما بنو قسي او بنو موسى [1] فقد كانوا من المولدين الذين لا يشعرون بـــالولاء نحـــو حكومة قرطبة وكانوا يتمردون عليها او يحاربونها الى جانب الحكام النصارى كان موسى بن موسى بن قسي اول من ثار بالثغر الاعلى [2] وشق عصا الطاعة وتحالف مع النصارى فـــي الشمال و ذلك سنة (٢٢٧هـــ/٨٤٢م) وقاتله الأمير عبد الرحمن الاوسط حتى تم له اخـــضاعه لكن أبناءه اعلنوا العصيان على خلفه الأمير محمد بن عبد الرحمن واستقلوا بسرقسطة وبـــاقي مناطق الثغر الاعلى فانتدب الأمير محمد لحربهم بني عبد العزيز بن عبد الـــرحمن التجيبـــي وبنى لهم قلعة ايوب بالقرب من سرقسطة واجرى لهم ارزاق الغزو [3] .

واستمر النزاع بين بني قسي وبن تجيب قائماً حتى عهد المنذر بن محمـــد واســـتطاع التجيبيون انتزاع سرقسطة من بني قسي سنة (٢٧٠هـــ/٨٨٣م) وبخروج سرقسطة من ايديهم فقـــد بنـــو قـــسي زعـــامتهم فـــي الثغـــر الاعلـــى فتحولـــوا الـــى الثغـــر الاوســـط [4] في عهـــد الأميـــر عبـــد الله (٢٧٥-٣٠٠هــــ) حيـــث اســـتولوا علـــى طليطلـــة [5] ســـنة (٢٨٣هـــ/٨٩٧م) وكان زعيمهم انذاك محمد بن لب الذي حاول مراراً انتزاع سرقسطة مـــن

---

[1] بنو قسي : سموا بذلك نسبة الى جدهم الاعلى الكونت قسي القوطي الذي وفد على الخليفة الوليد بن عبـــد الملك واسلم على يديه اثناء الفتح فأقره على مركزه قائداً للثغر الاعلى وكانت هذه الاسرة شـــديدة تـــبغض حكومة قرطبة وتميل الى مناوءتها وكانت لها علاقات مصاهرة مع نصارى الشمال فقد كان غرسيه ملـــك نافار زوجاً لإبنة موسى القسوي المسماة (اورية) . ينظر : ابن حيان : المقتبس، تح: ملتـــشور ، ١٧/٣ . وينظر : الجحي : اندلسيات ، ١١١/٢-١١٢ .

[2] الثغر الاعلى : يشمل سرقسطة – عاصمة الثغر – ولاردة وتطلية ووشقة وطرطوشة وغيرها وكان هـــذا الثغر يواجه مملكتي برشلونة ونافار النصرانيتين . ينظر : البكري : جغرافية الأندلس ، ص٩٥ . وينظر: ارسلان ، شكيب : الحلل السندسية في الاخبار والاثار الأندلسية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت – د.ت) ، ٢٠٦/١ .

[3] العذري : احمد بن عمر (ت٤٧٨هـــ) ، نصوص عن الأندلس من كتاب (ترصيع الاخبار وتنويع الاثار) ، تحقيق عبد العزيز الاهواني ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ، (مدريد-١٩٦٥) ، ص٤١ .

[4] الثغر الاوسط : يواجه مملكتي ليون وقشتالة وعاصمته طليطلة ينظر : البكـــري : جغرافيـــة الأنـــدلس ، ص٩٥ . ابن حيان : المقتبس ، تح : الحجي، ص٦٩ .

[5] طليطلة : مدينة بينها وبين قرطبة تسع مراحل وكانت عاصمة مملكة القوط افتتحت ســـنة ٩٢هـــــ/٧١١م واصبحت بعد الفتح من اعظم القواعد الإسلامية ينظر : ياقوت الحموي : معجـــم البلـــدان ، ٣٩/٤-٤٠ . الحميري : الروض المعطار ، ص٢٩٣ .

ابي يحيى التجيبي المعروف بالانقر[1] لكنه فشل وقتل تحت اسوارها سنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م) اما اولاده فقد آثروا الجنوح الى السلم ومهادنة الأمير عبد الله فأقرهم الأمير على حكم تطلية[2] وطرسونة[3] وباقي الحصون التي تحت حكمهم[4] .

ويأتي تمرد القبائل العربية في المرتبة الثانية من حيث الخطورة بعد تمرد المولدين وكان السبب في تمردهم السياسة التي كان يجري عليها أمراء بني امية منذ عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) في اقتناء العبيد والموالي وتقديمهم في الوظائف المدنية والعسكرية في الدولة مما أثر تأثيراً سيئاً في نفوس ابناء القبائل العربية ورأت في هذه السياسة نوعاً من الاهانة والظلم لهم . فلما ثارت الفتنة في الثغر الاعلى وفي المناطق الجنوبية رأت هذه القبائل الفرصة سانحة للانتقام لكرامتها المهدورة . وكانت كورة البيرة[5] مركز نشاط هذه القبائل حيث تمرد في ناحية البراجلة منها سنة (٢٧٥هـ/٨٨٩م) يحيى بن صقالة القيسي وكان زعيماً ذا مال ووجاهة التفت حوله العرب هناك لكنه قتل في احدى الحروب التي نشبت بينه وبين المولدين والنصارى[6] . فتصدر لزعامة العرب هناك سوار بن حمدون القيسي الذي كان فارساً مجرباً التفت حوله العرب فأغار على حصون

---

(١) ابو يحيى الانقر : هو محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز التجيبي قام بقتل احمد بن البراء عامل الأمير عبد الله على سرقسطة واستولى عليها ويبدو ان هذا العمل كان بتدبير من الأمير عبد الله لأنه كان يشك في ولاء عامله ابن البراء فأقر الانقر على حكم سرقسطة واعمالها وذلك سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م وسمي بالانقر لأنه كان اعور ينظر : العذري : نصوص عن الاندلس ، ص٣٦ .

(٢) تطيلة : مدينة تقع شمالي وشقة وشمال شرق مدينة سرقسطة ويحيط بها نهر (كالش) وهي من اكرم الثغور تربة ومناخاً ومن اهم مدنها طرسونة . ينظر : الحميري : الروض المعطار ، ص١٣٣ . ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص ٢٨٧ .

(٣) طرسونة : مدينة بينها وبين تطيلة (٢٤) كم وكانت سكناً للعمال ومقاتلة المسلمين . ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ٢٩/٤ . الحميري : الروض المعطار ، ص٣٨٩ . وينظر : ارسلان : الحلل السندسية ، ٢/ ٧٢ .

(٤) العذري : نصوص عن الأندلس ، ص ٣٧-٤٠ .

(٥) البيرة : كورة كبيرة من كور الأندلس جليلة القدر نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالي الأمير عبد الرحمن وهو الذي اسسها واسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك بينها وبين غرناطة (١٢) كم وبينها وبين قرطبة (١٨٠) كم . ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ٢٤/١ . الحميري : الروض المعطار ، ٢٨-٢٩ . القزويني : آثار البلاد ، ص٥٠٢ . ابن غالب : فرحة الانفس ، ص٢٨٣-٢٨٤ .

(٦) ابن الابار : الحلة السيراء ، ١٤٨/١ . ينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٣٢٨/١ .

المولدين والنصارى في تلك المنطقة وانتزع معظمها وامتد نفوذه حتى قلعة رباح [1] وزحف على البيرة وطرد حامية الأمير عبد الله واسر قائدها جعد بن عبد الغافر سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) ثم اطلق سراحه فتحالف جعد مع ابن حفصون واتفق الاثنان على قتل سوار فدبرا له كميناً وفتكا به [2] فخلفه في رياسة العرب سعيد بن سليمان بن جودي السعدي زعيم قبيلة هوازن [3] في البيرة واشتدت حروبه على المولدين وزعيمهم ابن حفصون وهزمه عدة مرات ولما رأى الأمير عبد الله غلبة العرب على كورة البيرة اقر سعيد بن جودي والياً على البيرة واستمرت زعامته بضعة اعوام حتى قتل غيلة وقيل ان قتله كان بتدبير من الأمير عبد الله لأنه كان دائماً يتحدى بني امية في اشعاره [4] . ثم اقام العرب من بعده محمد بن اضحى الهمذاني فأقرّه الأمير عبد الله على رئاسته لما وجد فيه من الشجاعة والهمة في محاربة المتمرد ابن حفصون ولبث الهمذاني في رئاسته تلك حتى نهاية عهد الأمير عبد الله [5] .

اما اشبيلية [6] فقد كانت مسرحاً لصراع دموي بين سكانها الذين كانوا مزيجاً من العرب والمولدين والنصارى وكانت منزل عدد من البيوتات العربية التي تمتاز بالثراء

---

(١) قلعة رباح : مدينة من اعمال حيان تقع شمال شرق قرطبة وجنوبي طليطلة على وادي نهر آنه وهي مدينة حسنة لها حصون منيعة سقطت بيد النصارى سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م . ينظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، ٢٣/٣ . الحميري : الروض المعطار ، ص٤٦٩ .

(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ، ١٤٨/١ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٣٤/٢ .

(٣) قبيلة هوازن : من القبائل العربية التي وفدت على الأندلس بعد الفتح وسكنت البيرة جنوب الأندلس وكان بنو جودي من اشهر افراد هذه القبيلة وكان جعفر بن سلمان اول من استقر في البيرة وتولى احفاده مناصب عالية في الدولة ولعبوا دوراً مهماً في البيرة في عهد الإمارة الاموية ومن هؤلاء إسباط وجودي وسعيد بن سلمان بن جودي . ينظر : ابن الابار : الحلة السيراء ، ١٥٤/١ . ابن سعيد : المغرب ، ١٠٥/٢ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٣٤/٢ . وينظر طه : عبد الواحد ذنون ، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس ، دار الرشيد للطباعة ، (بغداد -١٩٨٢) ، ص٢٤٤ .

(٤) ابن الابار: الحلة السيراء ، ١٥٦/١ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٣٨/٢ .

(٥) ابن الابار : المصدر نفسه ، ٣٧٨/٢-٣٧٩ .

(٦) اشبيلية : مدينة قديمة البنيان جليلة القدر بينها وبين قرطبة (١٦٠كم) تشرف على نهر الوادي الكبير وهو في غربها واصل نسميتها اشبالي أي (المدينة المنبسطة) نزلها جند حمص عند الفتح سقطت بيد النصارى سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م . ينظر : البكري : جغرافية الأندلس ، ص١٠٧ . القزويني : اثار البلاد، ص٤٩٧. الحميري : الروض المعطار ، ص٥٨ .

والعصبية وكان بنو حجاج [1] وبنو خلدون [2] ابرز تلك البيوتات العربية وكان التنافس بين هذه الاسر أنفسها وبينها وبين الاسر المولدة على اشده على النفوذ والسيادة ، وكانت الرئاسة في اشبيلية قديمة في بيت ابي عبدة [3] فقد كان جدهم ابو عبدة واليها من قبل الأمير عبد الرحمن الداخل وكان حفيده امية بن عبد الغافر والياً لها زمن الأمير عبد الله الذي ارسل ابنه وولى عهده محمداً ليكون عضداً لأمية في حكم اشبيلية لكن الزعماء العرب الاخرين تمردوا على الأمير محمد وحاصروه في القصر لكنه استطاع الافلات ناجياً الى ابيه [4] فاستبد امية بن عبد الغافر بالامر من بعده رغماً عن الزعماء الاخرين مما ادى الى اعلانهم العصيان فقد رفع بنو خلدون لواء الثورة سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) وخرج زعيمهم كريب بن عثمان عن الطاعة وتحالف مع ابن مروان الجليقي المتمرد ببطليوس وهاجم اشبيلية وقطع السبل ثم تمرد المولدون ضد العرب اليمانية لقتلهم احد كبرائهم وتحرك في الوقت نفسه بنو حجاج فخشي والي اشبيلية سوء العاقبة فدس على عبد الله بن حجاج من قتله فاشتد بنو حجاج وانصارهم من العرب في قتال امية وكان قد تولى زعامتهم ابراهيم بن حجاج واسفر النزاع عن مقتل امية مدافعاً عن نفسه فأرسل الأمير عبد الله الى اشبيلية عمه هشام بن عبد الرحمن والياً لكنه لم ينجح في تهدئة الوضع وخسر ابنه في هذه الاحداث حين قتله المتمردون [5] فسادت الفوضى هناك فبادر الأمير عبد الله الى ارسال حملة قوية سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م) بقيادة ابنه الأمير المطرف ومعه الوزير عبد الملك بن عبد الله بن امية ولما شارفا على اشبيلية قتل

---

[١] بنو حجاج : يرجعون بنسبهم الى قبيلة لخم العربية وكان جدهم الاعلى حبيب بن عمير اللخمي يتصل نسبه بالقوط عن طريق امه سارة القوطية حفيدة الملك غيطشة ملك القوط ومن زعماء هذه الاسرة عبد الله بن حجاج وأخوه الاصغر ابراهيم . ينظر : ابن الابار : الحلة السيراء ، ٣٧٦/٢. وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٦٠/١ . طه : الفتح والاستقرار ، ص٢٥٢ .

[٢] بنو خلدون : وهم من قبيلة حضرموت اليمنية كان جدهم خالد بن عثمان المعروف بابن خلدون من كبار الشخصيات العربية في اشبيلية وقرمونة واليهم ينسب المؤرخ ابن خلدون وكان زعيمهم في هذه المدة كريب بن عثمان بن خلدون واخوه خالد . ينظر : ابن خلدون : العبر ، ٣٨٠/٧ . ابن الابار : الحلة السيراء ، ٩٦/١ .

[٣] بنو ابي عبدة : هم ابناء حسان بن ابي عيدة مولى مروان بن الحكم دخل جدهم الأندلس سنة ١١٣هـ مع ابنه عبد الغافر وكانوا من المقربين لحكومة قرطبة وكان لهم دور كبير في تاريخ الإمارة الاموية تولى عدد منهم الوزارة كالوزير عبيد الله بن ابي عبدة وغيره ينظر : ابن الابار : الحلة السيراء ، ١٢٠/١ .
ينظر : Live provencal , Histoire del ‘ Espagne Musulmane , (paris-1950) , Vol. II, p101 .

[٤] ابن خلدون : العبر ، ١٣٦/٤ .

[٥] عنان : دولة الإسلام ، ٣٣٢/١ .

الأمير الوزير عبد الملك [1] وندب للقيادة احمد بن هاشم بن عبد العزيز [2] ثم نشبت بينه وبين المتمردين معركة خارج المدينة هزم فيها الثوار وقتل منهم عدد كبير واسر ابراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون ولم يطلق سراحهما حتى اذعنت المدينة لمطالبه وسلمت الخراج المطلــوب والرهائن واتفق الطرفان على ان يحكم كريب بن خلدون المدينة وان يكون ابن حجــاج نائبــاً له [3] .

بعد ذلك وثب ابن حجاج على كريب بن خلدون واخيه خالد وقتلهمــا بموافقــة اهــل اشبيلية لأن ابن خلدون كان غليظاً وفظاً في تعامله معهم وكان قتله إياهما بالاتفاق مع الأميــر عبد الله [4] الذي اقره على ولاية اشبيلية وقرمونة [5] وقوي امره وطالــب الأميــر عبــد الله بالافراج عن ابنه عبد الرحمن المرتهن لديه من قبل فلما تباطأ الأمير في اجابته خلع الطاعــة وتحالف مع ابن حفصون سنة (٢٨٨هـ/٩٠٠م) وقاتل مع ابن حفصون فــي هجومــه علــى قوات الإمارة سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) [6] .

وقدر الأمير خطورة هذا التحالف وعواقبه فأجاب رغبة ابراهيم وافرج عن ابنه عبــد الرحمن ورده اليه فجنح ابراهيم الى الطاعة وأدى الخراج للأميــر فاســتقرت الامــور فــي اشبيلية[7] .

---

(١) كان سبب قتله ان الأمير المطرف كان يكرهه لأنه كان الشخص المقرب الى ابيه الأمير عبــد الله وكــان يندبه للاعمال الجليلة دونه خاصة بعد ان ساءت علاقة المطرف بأبيه بعد قتل المطرف لأخيه الأمير محمد سنة ٢٧٧هـ/٨٩١م ، وكان الأمير عبد الله مطلعاً على كره ابنه للوزير لذا كان دائماً يحذره من عاقبة هذا الكره فيقول (بالله لئن احدثت في ابن امية حدثاً لأقتلنك به) كما كان يحث ابن امية على اخذ الحــذر مــن المطرف (لا يجمعنك به السرداق ولا تراه الا على ظهر دابتك) . ينظر : ابن القوطيــة : تــاريخ افتتــاح الأندلس، ص١١٦ . ابن خلدون : العبر ، ١٣٧/٤ .

(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ، ٣٧٣/٢-٣٧٤ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ١٣٦/٤ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٢٩/٢ .

(٥) قرمونة : مدينة قديمة البناء اسمها القديم (كارب موية) ومعناه (صديقي) تقع على مقربة من جنوبي نهــر الوادي الكبير شمال شرق اشبيلية على بعد ٣٢كم لها سور قديم البناء مبني بالحجارة وتعد من اجمل بقــاع الأندلس واحصنها سقطت بيد النصارى سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٧م . ينظــر : الحمــوي : معجــم البلــدان ، ٣٣٠/٤. الحميري : الروض المعطار ، ص٤٦١ . ابن غالب : فرحة الانفس ، ص٢٩٢ . ابن الــشباط : محمد بن علي : صلة السمط وسمط المرط ، تحقيق احمد مختار العبادي ، معهد الدراســات الإســلامية ، (مدريد –١٩٧١) ، ص١٣٨ .

(٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص١٢٠ –١٢١ .

(٧) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص١٢٣ . ينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٣٣٣/١ .

اما المجموعة الثالثة من المتمردين فهم حكام الحصون الذين استغلوا حالة الفوضى والاضطراب في انحاء الأندلس فاستقلوا بحصونهم ومن هؤلاء عثمان بن عمرون الذي تمرد في مدينة لبلة [1] واخرج عامل الأمير عبد الله منها . ومن شرق الأندلس خرج المتمرد ديسم بن اسحاق في كورة تدمير [2] واستولى على مدينتي مرسية [3] ولورقة[4] واستفحل امره وكثر اتباعه وحالف ابن حفصون واستولى على معادن الفضة بتدمير فضرب اسمه على الدراهم واستكثر من شراء العبيد والموالي حتى بلغ عدد جنده خمسة الآف فارس[5] . سير اليه الأمير عبد الله سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) حملة بقيادة احمد ابن محمد بن ابي عبدة فاخترقت كورة تدمير وهاجمت مرسية ونشبت بينهم وبين قوات ديسم معركة في ظاهر مدينة لورقة هزم فيها المتمردون فعاد بعدها ديسم الى الطاعة حتى وفاته سنة (٢٩٣ هـ /٩٠٥م) [6].

كما ثار محمد بن عبد الرحمن بن زيد بن اسحاق المعروف بالشيخ الخزاعي الاسلمي في قيلوشة من اعمال تدمير وقوي امره فسير اليه الأمير عبد الله اكثر من حملة عسكرية حتى عاد الى الطاعة في اواخر ولاية الأمير عبد الله فاقره الأمير عبد الرحمن على مناطق نفوذه [7] .

---

(١) لبلة : مدينة في غربي اشبيلية بينهما (٨٤) كم وتقع على الطريق بين اشبيلية وقرطبة وتعرف بـ (لبلة الحمراء) أفتتحت سنة ٩٤هـ/ ٧١٤م على يد القائد عبد العزيز بن موسى بن نصير وسقطت بيد النصارى سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م . ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ١٠/٥ . القزويني : اثار البلاد ، ص٥٥٥ . الحميري : الروض المعطار ، ص٥٠٧ .

(٢) تدمير : كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان ومدينة شرقي قرطبة فيها معادن كثيرة ومعاقل حصينة بينها وبين قرطبة مسير سبعة ايام وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى اسم ملكها القوطي تدمير ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ١٩/٢ .

(٣) مرسية : مدينة بالأندلس من اعمال تدمير تقع على ضفتي نهر شقورة وتسمى بستان شرقي الأندلس لكثرة مزارعها وبساتينها وقد سقطت بأيدي النصارى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م . ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ١٠٧/٥ . ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ٢٤٥/٢ .

(٤) لورقة : في الأندلس من بلاد تدمير وهي كثيرة الخيرات والزروع وهي على ظهر جبل وبها اسواق وربض في اسفل المدينة وعلى الربض سور بينها وبين مرسية (٨٠كم) ومعنى اسم لورقة في اللغة اللاتينية (الدرع الحصين) وهذه التسمية مطابقة لها لأنها من المعاقل الحصينة . ينظر : الحميري : الروض المعطار ، ص٥١٢-٥١٣ .

(٥) العذري : نصوص عن الأندلس ، ص١٢ .

(٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص١١٩ . ينظر : عنان ، دولة الإسلام ، ٣٣١/١ .

(٧) ابن حيان : المقتبس، تح: ملتشور ، ٢١/٣-٢٢ . العذري : نصوص عن الأندلس ، ص١٣-١٤ .

ومهما يكن من امر فأن من الخطأ الفادح ان نضع مسؤولية هذه الاحـــداث والانهيـــار السياسي على عاتق الأمير عبد الله وحده فقد قضى ربع قرن من حياته في حروب متصلة مع المتمردين الذين تكاثروا من كل ناحية ولم يدّخر جهداً في الدفاع عن دولة الامـــويين وعلـــى الرغم من انه لم يوفق في القضاء على هذه التمردات نهائياً الا انه اســـتطاع علـــى الاقـــل ان يقضي على الخطر الداهم وان يمزق – نوعاً ما – شمل المتمردين وان يـــستميل نفـــراً مـــن اخطر زعمائهم وان يبسط سلطان الدولة من الناحية الاسمية على بعض القواعد الهامة مثـــل اشبيلية وسرقسطة وكان لهذه النتائج اثرها المهم فيما بعد في عهد خلفه الأمير عبـــد الـــرحمن الناصر في التمهيد للقضاء على عناصر التمرد وتوطيد سلطان الدولة الاموية في الأندلس .

الفصل الأول

الأوضاع السياسية الداخلية في الأندلس

خلال المدة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢-٩٦١م)

الفصل الأول

الأوضاع السياسية الداخلية في الأندلس
خلال المدة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢-٩٦١م)

أولاً- عهد الأمير والخليفة عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)

١- اسمه ولقبه وكنيته

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي بن هشام بن عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي[١] ويلقب بالناصر لدين الله[2] ويكنى بابي المطرف[3] كما يلقب بعبد الرحمن الثالث تمييزاً له من سلفيه عبد الرحمن الاول (الداخل) وعبد الرحمن الثاني (الاوسط).
ولد في رمضان من سنة (٢٧٧هـ/كانون الاول سنة ٨٩١م)[4] ونشأ في بلاط الإمارة محبوّاً برعاية جده الأمير عبد الله.

٢- بيعته وتوليه الحكم

---

[١] ابن حزم : علي بن احمد (ت٤٥٦هـ): جمهرة انساب العرب، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٨٣)، ص١٠٠ ينظر ترجمته في: ابن الفرضي: عبد الله بن علي (ت٤٠٣هـ)، تاريخ علماء الأندلس، مطابع سجل العرب، (القاهرة-١٩٦٦)،١/٧، ابن الابار ، الحلة السيراء، ١/١٩٧، الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب العربي، (بيروت-١٩٨٩)، ط١،ص٣٥٩، ودول الإسلام، تحقيق فهيم شلتوت وآخرون مطبعة الهيئة المصرية للكتاب، (القاهرة-١٩٧٤)،١/٢١٦ ، وسير اعلام النبلاء، تحقيق ابراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطباعة، (بيروت-٢٠٠١)، ط١٥،١١/٥٦٢، والعبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٨٥)، ٢/٨٥، ابن الخطيب: لسان الدين محمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ)، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف، (بيروت-١٩٥٦)، ص٢٨، ابن الاثير: الكامل،٨/٥٣٥، ابن خلدون: العبر، ٤/١٣٧.

[٢] المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي (ت٦٤٧هـ): المعجب في تلخيص اخبار المغرب، (القاهرة-١٩٤٩)، ص٥٧ ابن الخطيب: الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢٠٠٢)،٣/٣٥٣.

[٣] ابن الابار: الحلة السيراء، ١/١٩٧، ابن تغري بردي : جمال الدين يوسف (ت٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب للطباعة ، (مصر.د.ت)، ٤/٣٣٠.

[٤] الحميدي: محمد بن ابي النصر (ت٤٨٨هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، مطابع سجل العرب، (القاهرة-١٩٦٦)، ص١٣.

وبعد وفاة جده الأمير عبد الله سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) ولى عبد الرحمن الإمارة على الرغم من وجود العديد من اعمامه واعمام ابيه ممن هم احق منه بالعرش من حيث السن. وكانت وراء مباركة البيت الاموي ومبايعتهم له اسباب عديدة اهمها:

١- إن عبد الرحمن يمتلك صفات ومميزات[1] لم تتوفر لغيره من الأمراء الامويين فقد عاصر كثيراً من الاحداث الشديدة وتمرن على تحمل المسؤولية وحمل اعباء الحكم وشارك جده في كثير من المهمات وقد نجح الأمير عبد الرحمن في كثير من الواجبات التي اسندت اليه نجاحاً باهراً وادى ذلك باقتدار كبير لذلك كان ظهوره على رأس السلطة متوقعاً من الجميع العام منهم والخاص وبدى كأن الجميع يعرفونه.

٢- إن إمارة الأندلس بما تحمله من المشاكل والاضطرابات تبدو للكثير من افراد العائلة المالكة مَغرماً وتركة مثقلة بالمتاعب والاخطار والمسؤوليات الجسام لذلك نراهم يزهدون في ترأس هذه الإمارة ويرحبون بعبد الرحمن بن محمد أميراً عليهم وتكلم بلسانهم عمه الأمير احمد بن عبد الله فقال : (والله لقد اختارك الله على علمٍ للخاص منا والعام ولقد كنت انتظر هذا من نعمة الله علينا فأسأل الله ايزاع الشكر وتمام النعمة والهام الحمد).[2]

٣- كانت رغبة الأمير عبد الله باستخلاف عبد الرحمن هي التي اهلته لشغل هذا المنصب فقد كان عبد الرحمن من المقربين اليه وكان يسكن معه في قصر الإمارة من دون سائر ابنائه واخوته الذين كانوا يعيشون في منازل خاصة بالمدينة كما انه كان يجلسه مكانه في بعض الاعياد وعرض الجند حتى يقال انه رمى اليه بخاتمه دليلاً على رضاه عنه وايثاره بالإمارة دون باقي أمراء البيت الاموي وبذلك يقول ابن عذاري (وكان يسكن القصر مع

---

(١) عن صفات الأمير عبد الرحمن ينظر: الحميدي: جذوة المقتبس، ص١٢. ابن الاثير: الكامل ، ٥٣٥/٨ ، ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص٢٩. والاحاطة، ٣٥٣/٣. ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٣٢/٢، ابي الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت٧٣٢هـ): المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية، (مصر-د.ت) ، ١٠٢/٢ ، مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة : لويس مولينا، (مدريد-١٩٨٣)،١٦٠/١، وينظر : بدر: احمد: تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري(عصر الخلافة)، (دمشق-١٩٧٤)، ص٣، عنان، دولة الإسلام، ٣٧٤/٢، حسن : حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة-١٩٦٥)،ط٣،١٧٢/٧.

(٢) Provencal: Live, Gomez: Emilio Garcia, Una Cronica Anonima De Cabd Al-Rahman III Al-Nasir, (Madrid-1950), pp.29-30.

عنان: دولة الإسلام ، ٣٧٤/٢ ؛ حمادة : محمد ماهر: الوثائق السياسية والادارية في الأندلس وشمال افريقيا، مؤسسة الرسالة ، (بيروت -١٩٨٠)، ط١، ص ١٥٦ .

جده دونهم فتهيأ اجلاسه دونهم مكانه بغير منازعة وقيل ان جده رمى بخاتمه اليــه ابانــة منه لاستخلافه).[1]

ومهما يكن من امر فقد جلس عبد الرحمن للبيعة يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة (٣٠٠هـ/تشرين الاول سنة ٩١٢م) في قاعة المجلس الكامل بقصر قرطبة فبايعــه اعمامــه واعمام ابيه وباقي أمراء بني امية وكبار الموظفين في الدولة ووجوه القوم والموالي والفقهــاء وباقي اهالي قرطبة فاصبح بذلك عبد الرحمن بن محمد أميراً على الأندلس وبهــذه المناسـبة انشد شاعر البلاط ابن عبد ربه[2] يوم توليه قصيدة مطلعها :

بــــدا الهــــلال جديــــداً   والملــــك غــــضٌ جديــــد

يـــــا نعمــــة الله زيــــدي   مــــا كــــان فيــــه مزيــــد[3]

٣- التحديات الداخلية أو السياسة الداخلية

أ- القضاء على العصاة والمتمردين

بعد ان اخذ الأمير عبد الرحمن البيعة من الخاصة والعامة في قرطبة انفــذت الكتب بأخذ البيعة الى العمال في سائر الكور والاقاليم لفرز اهل الطاعة من أهــل العــصيان الذين يرفضون مبايعة الأمير والانقياد الى سلطته ثم اعلن عن سياسته باصدار منــشور عــام الى المتمردين المستقلين في نواحيهم وتضمن هذا المرسوم مبدأين:

١- التأكيد على التسامح بحق المتمرد الذي يعلن الطاعة والولاء للسلطة المركزية.

٢- التهديد باجتثاث معاقل المتمردين الذين يبقون على عصيانهم وتمردهم[1].

---

(١) البيان المغرب، ١٥٧/٢.

(٢) هو ابو عمر شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد ربه حبيب بن حدير بن سالم القرطبي مولى الأمير هشام بن عبد الرحمن الاموي ولد سنة ٢٤٦هـ ونشأ بقرطبة وتثقف بثقافة عصره من فن وادب ممــا ضــمنه كتابه الشهير (العقد الفريد) لازم الأمير عبد الله ونادمه ومدحه بشعره ثم اتصل من بعــده بــالأمير عبــد الرحمن ولازمه حتى وفاته سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م. ينظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ،٤٩/١-٥٠، الحميدي، جذوة المقتبس، ١٦٤/١، الحموي: شهاب الدين يــاقوت (ت٦٢٦هــ)، معجــم الادبــاء، دار المأمون، (مصر-١٩٣٦)، ٢١٢/٣-٢٢٠ . ينظر : راضي، علي محمد، الأندلس والناصر، دار الكاتــب العربي، (القاهرة-١٩٦٧)،ص٥٦.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة-١٩٦٢)، ٤٩٨/٤.

وقد ساعد هذا المنشور على كسب العديد من زعماء المتمردين والخارجين واستخدامهم في ضرب القوى التي ظلت على عنادها واستمرت في الاغارة على ممتلكات الدولة[2] .

لقد ادرك الأمير عبد الرحمن ان سياسة التساهل والتردد التي اتبعها اسلافه من أمراء الأندلس مع هؤلاء المتمردين كانت سياسة غير نافعة وانه لابد من الحزم وعدم ترك الفرصة لهؤلاء لاستعادة قوتهم لذا نراه لم يقنع بالأتاوة السنوية والخضوع الاسمي الذي يعلنه هؤلاء المتمردون احياناً للتهرب من المواقف المحرجة التي يقعون فيها عند مهاجمة قوات الإمارة لهم بل فرض عليهم النزول عن حصونهم والانتقال الى بلاطه لينخرطوا في جيشه[٣].
لقد تم اخضاع العصاة على مراحل:

(١) القضاء على تمرد ابن حفصون واولاده

كانت مشكلة ابن حفصون من اخطر المشاكل الى توارثها الأمراء الامويون منذ عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٢هـ/٨٥٠-٨٨٦م) حتى زمن الناصر. وترجع خطورة هذا التمرد الى قوة شخصية قائده وشراسته وارتباطه باتصالات داخلية وخارجية غذت هذا التمرد وقوته فقد كان لابن حفصون اتصالات مع متمردين اقوياء داخل الأندلس كإبراهيم بن حجاج حاكم اشبيلية وغيره من المتمردين الاخرين[4] ، كما كانت له اتصالات خارجية مع الدولة الفاطمية التي ظهرت على ساحة الاحداث في المغرب سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م) حيث كانت تمد المتمرد بالمؤن والامدادات[5]. كما تحالف ابن حفصون مع

---

[١] العبادي : احمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار الحرية للطباعة، (بغداد-١٩٧٧)، ص١٨٠، السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٥٠.

[٢] لقد لبى العديد من الجند في الكور المجندة دعوة الأمير واحتشدوا لديه للمشاركة في غزواته ومن هؤلاء عرب جند دمشق في كورة البيرة ، ينظر ابن حيان: حيان بن خلف (ت: ٤٦٩هـ) ، المقتبس، تح: شالميا، (مدريد-١٩٧٩)، ٥٨/٥. ينظر : ابو ضيف، مصطفى: القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة، (الدار البيضاء-د.ت)، ص٢٩٤.

[٣] بدر، تاريخ الأندلس، ص٦.

[٤] ابن عذارى: البيان المغرب، ١٢٩/٢. مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص١٢٠، وينظر: عنان، دولة الإسلام، ٣٣٣/١. ابو ضيف، المرجع السابق، ص٢٧٥.

[٥] ابن حيان: المقتبس، تح: شالميا، ٨٧/٥. ينظر: العبادي: في تاريخ المغرب، ص١٩٥.

ملوك النصارى في الشمال[1]. فضلاً عن الاوضاع الداخلية الرديئة للاندلس التي شجعته على الاستمرار بتمرده.

لكن الوضع اختلف في عهد الأمير عبد الرحمن الناصر حيث حدثت تغيرات مهمة في سياسة الدولة الاموية من جهة وللمتمرد نفسه من جهة أخرى.

أما الدولة الاموية فقد اصبحت سياستها في عهد الأمير عبد الرحمن اكثر حزماً وقوة في معاملة المتمردين واخذت تكيل لهم الضربات الواحدة تلو الأخرى ولم تدع لهم فرصة تجميع قواهم. كما اعتمد الأمير عبد الرحمن الناصر على نفسه في قيادة الحملات العسكرية وفي ذلك يصفه المؤرخ الانكليزي لين بول[٢]. ((وزاد في حماسة جنوده ان رأوا أميرهم الشاب الشجاع في مقدمتهم وهو شيء لم يعهدوه من عبد الله جده فساروا وراءه معجبين مستميتين واخذت المدن بالأندلس تفتح للأمير أبوابها واحدة اثر واحدة)).

أما المتمرد ابن حفصون فقد كان في هذا الوقت قد تقدم به السن وفقد الكثير من اعزائه وانصاره المقربين[3] فأصبح اضعف مما كان قبلاً.

فبدأت خطة الناصر بالقضاء على حلفاء ابن حفصون في كورة البيرة ونواحيها وكان اغلبهم من المولدين كسعيد بن هذيل وعبيد الله بن الشاليه وقد سميت هذه الغزوة بـ(غزوة المنتلون) وبلغ عدد ما استولى عليه الناصر من حصون في هذه الغزوة التي بدأت في (رجب ٣٠٠هـ/شباط سنة ٩١٢م) زهاء (٧٠) حصناً كبيراً مع توابعها التي بلغت (٣٠٠) ما بين حصن صغير وبرج.[4]

وذكر ابن حيان[5] ان ابن حفصون سارع للانتقام لما حل بحلفائه بان هجم بقواته على البيرة وحاول الايقاع بها واخذ ثأره من عربها لكن اهلها وبالتعاون مع الاسناد الذي ارسله

---

(١) تحالف ابن حفصون مع غرسية ملك نافار، والفونسو الثالث ملك ليون ينظر: رينو: جوزيف ، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا في ق ٨-٩م، ترجمة : اسماعيل العربي، دار الحداثة، (الجزائر-١٩٨٤)، ص١٥٨، الحجي، اندلسيات، ١٢٣/٢.

(٢) Lane Poole: Stanley, the moors in spain, khayatsreprint, (Beirut-1967), p. 19.
وترجمه: علي الجارم ، ص١٠٦

(٣) من هؤلاء حفيده عمر بن ايوب الذي اسره الناصر سنة ٣٠١هـ/٩١٣م وقائده المقرب ابو الشهلاء الذي قتل في السنة نفسها واحتز رأسه ، ينظر : ابن حيان: المقتبس، تح: شالميا ، ٩٣/٥.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تح: شالميا ، ٦١/٥-٦٢. ابن عذاري: البيان المغرب، ١٦١/٢ ، ينظر: عنان دولة الإسلام،٣٧٦/٢. سالم: السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في المغرب والأندلس، دار المعارف، (القاهرة-١٩٦٢)، ص٢٨٠. السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم ، ص١٥٢. المعاضيدي: خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الأندلس، مطبعة التعليم العالي، (بغداد-١٩٨٨)، ص١١٣. مؤنس: حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مطبعة المستقبل(القاهرة-١٩٨٠)،ط١،ص٣٠٩. Provencal , Gomez, op.cit., p.33

(٥) المقتبس، تح: شالميا ٦٧/٥ .

عبد الرحمن من لدنه استطاعوا رد هجومه وقتل واسر العديد من رجاله المقربين ومنهم حفيده عمر بن ايوب.

اراد الأمير عبد الرحمن توجيه ضربة شديدة لابن حفصون يمنعه فيها من تجميع قواه فبادره في شوال سنة (٣٠١هـ/أيار سنة ٩١٣م) بحملة عسكرية قصد بها اقطاعه الخاص في رية والجزيرة واستطاع الاستيلاء على الحصون المتطرفة في الكورتين ووصل في تقدمه الى سواحل البحر المتوسط فدخل مدينة الجزيرة الخضراء في ذي القعدة من السنة المؤرخة/ حزيران سنة (٩١٣م) فكانت المحطة الاخيرة في غزوته هذه ثم قفل راجعاً الى عاصمته قرطبة في ذي الحجة من السنة نفسها / تموز سنة ٩١٤م[1] .

لقد شلت هذه الهجمات من حركة المتمرد ابن حفصون بعد ان حرمته من حلفائه من المتمردين الذين كان يعتمد عليهم اثناء الازمات فقد تم القضاء عليهم جميعاً كما ان استيلاء الناصر على مناطق نفوذ ابن حفصون على الساحل الجنوبي للاندلس المواجه للمغرب حرمه من الاسنادين المادي والمعنوي الذي كان يتلقاه من الدولة الفاطمية في المغرب وفي هذا الشأن يقول ابن عذاري[2] : (والفيت للمشرك عمر بن حفصون مراكب في البحر كانت تميره من العدوة فاحرق جميعها).

ثم توقفت الحملات على هذه الجبهة خلال السنتين التاليتين بسبب حلول الجفاف في الأندلس (٣٠٢-٣٠٣هـ/٩١٤-٩١٥م) وانشغال الناصر في تلافي مؤثرات هذه المحنة مما أعاقه عن الخروج بحملات ضد المتمرد بنفسه لكن ذلك لم يمنعه من ارسال حملات صغيرة ضدهم لاعلام المتمردين بان الإمارة غير غافلة عنهم ولحماية ما تم تحريره من المدن والحصون.

لقد اثبتت خطة الأمير عبد الرحمن جدواها فقد ارغمت المتمرد ابن حفصون على طلب الصلح سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) والاعتراف بسلطة الأمير عبد الرحمن فاجاب طلبه وعقد

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٦٤-١٦٥. ينظر: عنان: دولة الإسلام، ٢/٣٧٧.

(٢) البيان المغرب، ٢/١٦٥.

له على عدد من الحصون التي بلغت حسب بنود الصلح ما يقرب من ١٦٢ حصناً[1] واستقرت الامور اكثر في الأندلس بعد وفاة ابن حفصون سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م). [2]

ترك ابن حفصون اربعة ابناء كانوا يحكمون مدناً وحصوناً بتفويض من والدهم وباقرار من الأمير عبد الرحمن لهم على تلك المناطق فكان جعفر في قلعة ببشتر نيابة عن والده وعبد الرحمن في حصن طرش[3] وسليمان في ابذة[4] اما حفص الاصغر فقد كان ملازماً لاخيه جعفر في ببشتر. وقد سار هؤلاء الابناء سيرة ابيهم الاولى في اعلان العصيان على الإمارة الاموية وكان السباق الى ذلك الابن الاكبر جعفر الذي اعتنق النصرانية واخذ يضايق اخوته على حصونهم لا سيما اخيه عبد الرحمن فاضطر هذا الى محالفة الأمير عبد الرحمن الناصر وسلم اليه الحصن والتحق بقرطبة وعاش بكنف الأمير عبد الرحمن بحال حسنة[5] . وفي عام (٣٠٨هـ/٩٢٠ م) قتل جعفر بن عمر وكان وراء مقتله اسباب عدة منها المنافسة بينه وبين اخوته على النفوذ مما ادى إلى قيام احدهم وهو سليمان الى الاقدام على التآمر على حياته ودليل ذلك حلوله محلة بعد مقتله كما لا يستبعد ان يكون مقتله كان بتدبير من الأمير عبد الرحمن فيما تذكر بعض الروايات ان جعفر حاول العودة الى الإسلام فنقم عليه اتباعه النصارى فتآمروا عليه واغتالوه.[6]

ومهما يكن من امر فقد تولى سليمان الحكم مكانه في ببشتر وما لبث ان غلبه الغرور ومارس دور ابيه في مقارعة السلطة المركزية[7] فقرر الناصر القضاء عليه وأرسل اليه عدة

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تح: شالميا ، ١١٢/٥. ينظر: عنان: دولة الإسلام، ٣٨٠/٢.

(٢) ابن حيان، المصدر نفسه، ١٣٨/٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧١/٢، ينظر: بدر، تاريخ الأندلس، ص٨، ابو ضيف، القبائل العربية، ص٩٢٢ فيما يجعل ابن الخطيب وفاة ابن حفصون في عام ٣٠٦هـ/٩١٨م ينظر: اعمال الاعلام، ص٢٣ ، وينظر كذلك Dozy, op.cit., Vol. II, p.392 .

(٣) طرش: حصن منيع قديم على شاطيء البحر المتوسط الشمالي بينه وبين قرية شاط حوالي (٢٤)كم ، ينظر: الادريسي: ابي عبد الله محمد بن عبد الله (٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة-١٩٩٤)، ٥٦٥/٢.

(٤) ابذة: مدينة صغيرة من اعمال جيان تقع الى الشمال الشرقي منها على مسافة ٥٠كم من قرطبة بينها وبين بياسة ١٤كم ينظر : الادريسي: نزهة المشتاق، ٢٠٣/١، الحميري، الروض المعطار، ص٦.

(٥) ابن حيان: المقتبس، تح: شالميا ، ١٥٤/٥-١٥٥ ، وينظر: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٥٥.

(٦) ابن خلدون: العبر، ١٣٥/٤ وينظر: عنان، دولة الإسلام ، ٣٨٤/٢.

(٧) ابن حيان: المقتبس، تح: شالميا ، ١٦٨/٥-١٦٩ ، ابن خلدون، العبر، ١٣٥/٤.

حملات انتهت بمقتله سنة (٣١٤هـ/٩٢٧م) [1] لكن تمرد آل حفصون لم ينته اذ استلم زمامه اصغر الابناء المدعو حفص واعلن استقلاله بالمناطق التي تحت نفوذه فلم يمهله الناصر طويلاً فخرج اليه بحملة كبيرة الى ببشتر ذاتها وشدد عليه الحصار وابتنى إزاءها حصناً للتضييق عليه حتى اضطر حفص الى الاذعان فسلم ببشتر الى الناصر واستسلم سنة (٣١٥هـ/٩٢٨م) وحمل هو واهله الى قرطبة حيث عفا عنه الناصر وقلده منصباً رفيعاً في الجيش الاموي[2] .

وبذلك قضي على هذا التمرد الذي دام زهاء خمسين سنة ولم يتمثل خطر هذا التمرد بطول مدته فقط بل بتهديداته المستمرة لسلطة الأمراء الامويين في الأندلس وبطموح عمر بن حفصون لنيل إمارة الأندلس وبتعصب المولدين والمستعربين له مما يجعل نجاحه ليس تغييراً في شخصية الأمير فقط بل انقلاباً كاملاً وتغييراً في جنسية الحكم ودين الحاكمين[3].

ولعل في طريقة معاملة الأمير عبد الرحمن الناصر للعصاة في تمرد ابن حفصون ما يدل على جسامة هذا الخطر فنراه مثلاً عندما ظفر بسليمان بن حفصون سنة (٣١٤هـ/٩٢٧م) احتز رأسه وقطعت اشلاؤه وارسلت الى قرطبة حيث رفعت على باب السدة[4] ونبش قبر ابن حفصون واخرجت جثته وصلبت الى جانب جثتي ابنيه واصبحت عبرة للناظرين[5] وفي الاجراءات التي اتخذها عبد الرحمن الناصر اثر سقوط ببشتر ما يدل على الشعور نفسه والى ذلك يشير المؤرخ الانكليزي لين بول[6] بقوله : (حينما وقف الأمير على مشارف هذا الحصن المنيع بعد استيلائه عليه ونظر من بعده الشاهق الى القمم الشديدة الانحدار التي تحيط به ثار وجدانه وغمرته عواطفه فسجد لله شكراً على هذا الفتح المبين وبقي مدة اقامته بالحصن صائماً وشمل أعداءه بالصفح والغفران).

---

(١) ابن حيان: المقتبس، تح: شالميا ، ٢٠٥/٥ ، ينظر : بدر، تاريخ الأندلس، ص٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٩٣/٢ وينظر : النصولي: انيس زكريا، الدولة الاموية في قرطبة، المطبعة العصرية، (بغداد-١٩٢٦)،١٠٠/١، Provencal, Gomez, op.cit,pp.74-75 .

(٣) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم ، ص ١٥٥ .

(٤) باب السدة: هو احد ابواب قصر الإمارة في قرطبة الذي يؤدي الى مكان جلوس الأمير او الخليفة ثم توسع معناه ليدل على مجموعة الابنية الخاصة بالوزراء وكبار موظفي الدولة او البلاط بشكل عام وقد جرت العادة على ان تعرض امام هذا الباب جثث المعدومين او رؤوس المتمردين المقتولين ينظر: ابن حيان ، المقتبس، تح: شالميا ، ٢١٦/٥ ، وينظر: بدر: تاريخ الأندلس، ص١٤٩.

(٥) ابن حيان: المقتبس، تح: شالميا ، ٢١٦/٥-٢١٧ وينظر : عنان: دولة الإسلام، ٣٨٦/٢.

(٦) Lean-pool, op.cit., p.110.

(٢) اخضاع اشبيلية ومناطق شرق الأندلس

لم تقتصر نشاطات الناصر في السنوات الست عشرة الاولى من حكمه على محاربة ابن حفصون وحلفائه من المولدين بل كان يجهز على المتمردين الاخرين عندما تكون الظروف مواتية كضعف ينتاب زعماءها او انشقاق يحدث بينهم ومن هؤلاء بنو حجاج فقد رأى الناصر ان الوقت حان للتخلص من هذه الاسرة التي استبدت كثيراً في مناطق نفوذها فقد توفي زعيمها القوي ابراهيم بن حجاج سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م) واقتسم اولاده ارثه فاخذ عبد الرحمن بن ابراهيم اشبيلية فيما اخذ محمد الابن الاصغر لابراهيم قرمونة[1] . لكن في سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) توفي عبد الرحمن بن حجاج فاجتمع اهل اشبيلية على تأمير احمد بن مسلمة- وهو من بني حجاج ايضاً – عليهم وهذا مما أثار محمد بن حجاج صاحب قرمونة الذي رأى ان ابن مسلمة قد اغتصب حقه لانه عدّ اشبيلية ارثه من اخيه لذلك اتجه الى الأمير الناصر وتحالف معه لقتال ابن مسلمة فأرسل معه الأمير قواتاً لاسناده لان هذا التحالف يقدم فرصة ثمينة للناصر لكي يسترد اشبيلية[2] لكن الاستيلاء على اشبيلية جاء من جهة أخرى حيث استطاع الناصر ان يتعاون مع احد رجالات اشبيلية البارزين وهو عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية ويدبر معه امر استنزال ابن مسلمة وتم الامر وتسلم الأمير اشبيلية وعين عليها والياً من قبله هو سعيد بن المنذر القرشي الذي قام بهدم سورها ليمنع اهلها من الثورة مجدداً على الإمارة[3].

لقد استاء محمد بن حجاج لخروج اشبيلية من يده فعزم على الانسحاب بقواته الى قرمونة واعتصم بها ثم عاد وهاجم اشبيلية لاستعادتها من يد الوالي الجديد مستغلاً ضعف تحصينها بعد هدم سورها مؤخراً لكن قوات اشبيلية هزمته فارتد الى قرمونة[4] . فلما علم الناصر بمهاجمة ابن حجاج لاشبيلية قام بارسال مدد اليها لمعاونة واليها لصد هجوم ابن حجاج ومن جهة أخرى ارسل الناصر صاحب الشرطة قاسم بن وليد الكلبي الى محمد بن حجاج الممتنع بقرمونة ليدعوه الى الطاعة ونبذ العصيان لانه كان صديقاً له، ففكر ابن حجاج في الامر ملياً فوجد انه من الافضل ان يجنح الى السلم بعد أن تحرج موقفه بخروج اشبيلية من يده وادرك استحالة الدفاع عن قرمونة ذاتها فاستجاب لدعوة قاسم بن الوليد وارسل الى

---

[1] ابن حيان: المقتبس، تح: شالميا ، ٧٠/٥ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ١٦٣/٢ ، وينظر : عنان، دولة الإسلام، ٣٧٧/٢؛ ابو ضيف ، القبائل العربية، ص٣٠٢.

[2] المصدر نفسه، ٧١/٥.

[3] المصدر نفسه ، ٧٢/٥-٨٠ .

[4] المصدر نفسه ، ٨٢/٥ .

الناصر يطلب منه الصلح فوافق الناصر على منحه اياه وكان من بنود الصلح ان يلتحق محمد ابن الحجاج بقرطبة وان يترك نائبه وصاحبه حبيب بن عمروس ابن سؤادة نائباً عنه في قرمونة فتم الصلح ورحل محمد بن حجاج الى قرمونة حيث اكرمه الناصر وولاه خطة الوزارة[1]. لكن تمرده لم ينته إذ انكشف خداعه حينما اعلن صاحبه ابن سؤادة العصيان والامتناع بقرمونة فبعث الناصر بابن حجاج وصاحب الشرطة قاسم الكلبي اليه ليرداه عما هو فيه لكنهما لم ينفذا الامر كما يجب فأمر الناصر بالقبض عليهما وايداعهما في السجن[2]. في حين تولى هو حرب ابن سؤادة وحاصر قرمونة مدة عشرين يوماً[3]. وضيّق عليها حتى اضطر ابن سؤادة الى طلب الامان فاجابه الناصر لذلك عام (٣٠١هـ/٩١٣م)[4]. وهنا نلاحظ ان الناصر كان لا يبدأ بحرب العصاة حتى يستنفد كافة الوسائل السلمية وهذا ما جعله محل اكبار واحترام ليس من اتباعه فحسب بل من اعدائه ايضاً .

استغل الأمير عبد الرحمن الناصر حالة الهدوء النسبي الذي تمتعت به الأندلس بعد القضاء على تمرد بني حفصون وبني حجاج ليوجه قواته نحو مناطق أخرى، فوجه أولاً قائده وحاجبه بدر بن احمد نحو مدينة لبلة في اقصى غرب الأندلس حيث اعلن عاملها عثمان بن نصر العصيان بها فحاصرها الحاجب بدر اياماً حتى انهك الحصار اهلها فارتأى قسم من اتباع ابن نصر التخلي عنه والانضمام لقوات الإمارة فتسللوا ليلاً من المدينة وقدموا على الحاجب طالبين الأمان فرحب بهم وزاد ذلك من فرص الاستيلاء على لبلة فهاجمها الحاجب بقواته واقتحم المدينة وقبض على عاملها وارسل مصفداً بالقيود الى قرطبة[5]. ثم وجه الأمير قواته نحو مناطق شرق الأندلس لاسيما كورة تدمير التي كانت تغص بالمتمردين من العرب والموالي والبربر الذين استغلوا حالة الفوضى السياسية قبل عهد الأمير عبد الرحمن الناصر وموقع تدمير المتميز على الساحل ووقوعها ضمن منطقة جبلية يسهل الامتناع بها والدفاع عنها ليعلنوا العصيان ضد الدولة.

---

(١) ابن حيان: المقتبس، تح: شالميا ، ٥/٨٢-٨٣.

(٢) المصدر نفسه ، ٥/٩١.

(٣) المصدر نفسه ، ٥/٩١.

(٤) المصدر نفسه، ٥/٩١.

(٥) المصدر نفسه ، ٥/١٢٨.

ومن هؤلاء المستقلين بنو الشيخ في قيلوشة ولقنت[1] وقد تم للأمير الناصر القضاء عليهم سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م)[2] في حين تم القضاء على ابن وضاح[3] في لورقة منذ سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) وبعدها قضى على تمرد بني ابي الجوشن في منطقة بلنسية وذلك سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)[4] ، وبذلك تم تطهير مناطق شرق الأندلس من اثار التمرد واعادة المستقلين الى حضيرة الدولة.

(٣) اخضاع الثغور

كانت الثغور تحكم من أسر متنفذة شبه مستقلة وكان أمراء الأندلس لا يتدخلون في شؤونها لا في قليل ولا في كثير فكان الأمير الاموي يسجل لهم على مناطقهم مقابل ان يقوموا بتقديم العون العسكري له اثناء غزو الممالك النصرانية في الشمال وما عدا ذلك فهم احرار في تصرفاتهم داخل اقطاعياتهم. وقد قامت هذه الاسر بادوار متناقضة في ولاءها لحكومة قرطبة او لملوك النصارى في الشمال فتارة نراها تعطي ولائها لحكومة قرطبة وتارة أخرى تركن الى ملوك الاسبان وهذا التناقض في الولاء تحكمت به عوامل كثيرة منها :

١- ان اكثر هذه الاسر كانت من المولدين الذين لم يفقدوا شخصياتهم الخاصة بهم على الرغم من اندماجهم السريع في المجتمع الأندلسي[5]. وارادوا ان يكون لهم كيان مستقل في مناطق الثغور كما ان هذه الاسر كانت تستهدف التنكيل بالقبائل العربية كما فعل لب بن

---

(١) لقنت : مدينة صغيرة تقع على شاطئ البحر المتوسط بينها وبين دانية ١٤٠كم ، سقطت بأيدي النصارى سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) . ينظر: الحموي: معجم البلدان، ٢١/٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥١١.

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، ص١٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ١٩٧/٢.

(٣) ابن وضاح: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن وضاح بن يحيى بن وضاح مولى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، استغل موت ديسم بن اسحق صاحب لورقا سنة (٢٩٣هـ/٩٠٥م) وضعف خلفائه من بعده فاستولى على لورقا واعلن استقلاله فيها وبقي مستقلاً حتى زمن الأمير الناصر الذي عمل على اخضاعه سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) وارسله الى قرطبة باهله . ينظر: ابن حيان: المصدر السابق، ١٩٦/٥-١٩٧؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص١٢-١٣. وينظر: ابو ضيف ، القبائل العربية، ص٣١٤.

(٤) ابن حيان: المصدر السابق ، ٢٣٨/٥.

(٥) مؤنس: فجر الأندلس، ص٤٣١.

موسى بن قسي بعرب سرقسطة سنة (٢٦٠هـ/٨٧٤م)[1]، أي ان تمرد هؤلاء المولدين كان حسب قول ابن حيان[2] : ((عصبية للمولدين على العرب)).

٢-ان كبر حجم الاسرة الواحدة وسيطرتها على مجموعة من المدن والحصون المنيعة ووجود جيش من الاتباع والامصار كان العامل النفسي الذي جعل هذه الاسر تفكر في الانفصال في هذه المنطقة – أي الثغور- التي توصف بانها منطقة جبلية وعرة علماً ان طبيعة الأندلس الجبلية ساعدت على كثرة حركات التمرد فيها حسب قول ابن الخطيب[3] : ((منعة البلاد وحصانة المعاقل وبأس أهلها بمقاربتهم للنصارى في الشمال)).

٣- كانت ظروف الأندلس في عصر الإمارة عاملاً شجع هذه الاسر على الاستقلال فانشغال جيش الإمارة في مجاهدة النصارى في الشمال وانشغاله في قمع حركات التمرد الأخرى في انحاء الأندلس الأخرى مكن هذه الاسر من انتهاز الفرص المناسبة لقيامها بالتمرد ولهذا كان ولاءها يتناقض في السنة الواحدة.

٤- كانت ظروف الأندلس الحرجة في عصر الإمارة قد اجبرت الأمراء في قرطبة احياناً على غض النظر عن الوسائل التي تستخدمها هذه الاسر في تقوية نفوذها وفي كثير من الاحيان كان زعيم الاسرة يشتري صفح الحكومة عنه بالمال او ان تشتري حكومة قرطبة المدن والحصون من هذه الاسر وسيلةً من وسائل القضاء على تمردهم[4]، وعلى أية حال فإن حكومة قرطبة من جانبها ساهمت بصورة غير مباشرة بتقوية مثل هذه الاسر وساعدت على تماديها في التمرد لانها لم تكن جدية في علاقتها مع هذه الاسر حيث كان الأمير او من ينوب عنه يعطي الامان ويعقد الصلح بكل سهولة مع زعيم الاسرة المتمرد، فهذا التساهل شجع هذه الاسر على التمرد متى شاءت وعلى عقد الصلح مع حكومة قرطبة متى تشاء خدمةً لمصالحها الخاصة. ولكن يبدو ان ركون هذه الاسر الى نصارى الشمال عند الشدة هو الذي اجبر حكومة قرطبة على مثل هذا السلوك وسيلة لكسب تأييد الاسر المتنفذة في الثغور المجاورة لاراضي النصارى في الشمال لكي تتفرغ لمحاربة الممالك الاسبانية .

---

(١) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٣١.

(٢) المقتبس، ١٥/٣.

(٣) اعمال الاعلام، ق٢، ص٣٦.

(٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٥،٣٠.

وقد سار الأمير عبد الرحمن في البدء على سياسة سلفه في تعامله مع هذه الاسر وكان دافعه الى ذلك انشغاله باخماد الثورات التي هي اقرب منالاً اليه والاكثر خطراً على العاصمة قرطبة فضلاً عن خشيته من احتمال تحالفهم مع اعدائه الاسبان ضده فيفتح على نفسه جبهة أخرى. لكنه بعد ان قضى على الخطر الداهم لعاصمته من المتمردين التفت لوضع حد لاهل الثغور الذين طال استبدادهم بالامور. وكما نعلم ان ثغور الأندلس ثلاثة هي:

١ - الثغر الادنى

ابتدأ الأمير عبد الرحمن باخضاع اقرب الثغور اليه وهو الادنى الذي يشمل مدينة بطليوس واحوازها والتي كانت لاكثر من اربعين عاماً معقلاً من معاقل المتمردين وكان بنو مروان الجليقي[1] لا يزالون يسيطرون عليها وكان قائدهم زمن الأمير الناصر هو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن مروان الجليقي الذي تولى زعامة بطليوس بعد مقتل والده عبد الله في سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) [2].

وقد جاورت بني مروان الجليقي في الثغر الادنى اسرتان من المولدين ايضاً هما اسرة بني عبد الملك بن ابي الجواد في باجة واسرة بني بكر بن خلف في اكشبونية[3] وكانت تربطها علاقات وتحالفات مع بني مروان الجليقي[4] استعد الناصر للقضاء على تمرد الثغر الادنى وابتدأ ببني مروان الجليقي حيث خرج سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) متجهاً نحو بطليوس بجيشه فحاصرها حصاراً شديداً وفي اثناء الحصار قاتل المتصدين له من اصحاب المدن القريبة منها مدينة باجة التي حاصرها الناصر حتى انهكت فطلبت الامان فتم لها ذلك في جمادى الاخرة من سنة ٣١٧هـ/تموز من سنة ٩٢٩م.[5]

ثم عاد الى بطليوس التي كان الحصار مستمراً حولها من قوات الإمارة فلما طال الحصار على المدينة اضطر مقدمها عبد الرحمن الجليقي الى طلب الامان والصلح فاجابه

---

(١) ينظر نسبهم في مخطط رقم (١).

(٢) قتله اصحابه من المولدين في بطليوس لاختلاف وقع بينهم ينظر: ابن حيان، المقتبس، تح: شالميا، ١٨٨/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٥/٢.

(٣) اكشبونية : مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل اشبونة وهي غربي قرطبة ، ينظر: الحموي معجم البلدان، ٢٤٠/١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٥/٢ وينظر: محمد: عواد صالح : الأندلس في عهد الطوائف الاولى (٢٣٨-٣٠٠هـ/٨٥٣-٩١٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة،(الموصل-١٩٨٦)،ص٤٩.

(٥) ابن حيان ، المقتبس، تح: شالميا ، ٢٤٨/٥.

الناصر اليه فسلم المدينة وارسل هو واهله واكابر رجاله الى قرطبة ثم عين الناصر للمدينة والياً جديداً هو عثمان بن عبد الله وذلك سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م)[1] ولما رأى صاحب اكشبونية خلف بن بكر ما حل بحليفيه بادر الى الخروج الى الناصر معتذراً اليه طالباً الصفح فتقبل الناصر توبته واقره على ولايته على ان يلتزم بأداء الجباية وبحسن السيرة.[2]

٢- الثغر الاوسط

استمر الناصر في حملاته لاستنزال المتغلبين فتوجه نحو الثغر الاوسط التي كانت طليطلة وشنتبرية اهم مدنه. فابتدأ بمدينة شنتبرية [3] التي كانت معقلاً لبني ذنون وهم من البربر الذين استقلوا بهذه المدينة واحوازها منذ عهد الأمير عبد الله (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) ورفضوا الانصياع الى السلطان وتأدية واجبهم تجاه الإمارة الأندلسية وهو مشاركة جيش الإمارة في جهاد النصارى في الشمال فلما خرج الناصر في صائفة سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) المسماة غزوة بنبلونة وجه قواته نحوها وحاصرها حتى اضطر زعيمها يحيى بن موسى بن ذي النون الى طلب الامان والعودة للطاعة فقبل الناصر توبته وعفا عنه.[4]

وبعد التخلص من تمرد شنتبرية اتجه الناصر الى طليطلة التي اشتهرت بعصيانها المستمر على الحكومة في جميع ادوار الدولة الاموية في الأندلس وبقيت كذلك حتى زمن الناصر الذي استنفد جميع الطرق السلمية لاستمالة المتمردين لكن دون جدوى وتمادوا في غيهم حتى اضطر الناصر الى قيادة حملة ضدها واستمر في محاصرتها لمدة سنتين (٣١٨-٣٢٠هـ/٩٣٠-٩٣٢م) فلما اعياهم الحصار خرج مقدمها ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تح: شالميا ، ٢٧١/٥-٢٧٢ ؛ وينظر عنان : دولة الإسلام ، ٣٨٩/٢ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس، تح: شالميا ، ٢٤٨/٥-٢٤٩ ؛ وينظر : بدر: تاريخ الأندلس، ص ١٥ .

(٣) شنتبرية: مدينة كبيرة كثيرة الخيرات تقع شمال شرق طليطلة بالقرب من منابع نهر التاجه من اهم حصونها اقليش الذي اتخذه الفتح بن موسى بن ذنون قاعدة له لاعلان تمرده على الإمارة الاموية منذ سنة ١٦٠هـ، بينها وبين قرطبة حوالي ٤٨٠كم ينظر: الحموي: معجم البلدان، ٣٦٦/٣؛ الحميري : الروض المعطار، ص٥١-٥٢.

(٤) ابن حيان: المقتبس، تح: شالميا ، ١٩٥/٥-١٩٦ ، ابن عذاري: البيان المغرب، ١٨٩/٢ وينظر: عنان: دولة الإسلام ، ٤٠٠/٢.

وطلب الامان من الناصر فمنحه اياه في رجب من سنة ٣٢٠هـ/ كانون الثاني سنة ٩٣٢م فدخل المدينة وازال بعض المباني واقام مكانها مقراً للقادة المرابطين بها.[1]

٣- الثغر الاعلى

كانت مناطق الثغر الاعلى اكثر المناطق في الأندلس استقلالاً عن حكومة قرطبة لانها الاكثر قرباً من حدود الممالك النصرانية في الشمال وتربطها بهذه الممالك تحالفات وعهود. كانت اسرة بني موسى بن قسي هي المسيطرة على معظم مناطق الثغر الاعلى لا سيما سرقسطة وتطلية منذ عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٢هـ/٨٥٠-٨٨٥م) وكانوا كثيري التمرد على السلطة المركزية مما دفع –كما ذكرنا سابقاً- الأمير محمداً الى ايكال مهمة مجابهتها الى اسرة عربية هي اسرة بني تجيب وامن لها مستلزمات الحرب[2]. فبدأ شان بني قسي يضعف ونجمهم يأفل شيئاً فشيئاً حتى انتهى امرهم في بداية حكم الأمير الناصر.[3] وعلى الرغم من ان التجبين قد حققوا للإمارة الاموية بعض المكاسب كقضائهم على بني قسي وانتزاع الحصون منهم ولكنهم ظهروا في الوقت نفسه قوة عارض زعماؤها الإمارة الاموية. سار الأمير عبد الرحمن على سياسة ترك هذه الاسرة والاسر الأخرى المتنفذة في الثغر الاعلى كأسرة بني الطويل[4] وشأنها فعندما يتخاصم زعماء اسرة من الاسر مع بعضهم او مع زعماء آخرين كان يقف موقف المنتظر لما يسفر عنه الصراع ليسجل لكل متغلب على موضعه كما انه كان كثيراً ما يغض الطرف عن علاقاتهم سواء الحربية او الودية وحتى المصاهرة مع جيرانهم النصارى كما حدث ان تحالف محمد بن هاشم التجيبي صاحب

---

(١) ابن عذاري: المصدر نفسه، ٢٠٧/٢-٢٠٨ وينظر: مؤنس: معالم تاريخ الأندلس، ص٣١٣.

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٤١ ؛ ينظر: بدر : تاريخ الأندلس، ص١٧.

(٣) العذري: المصدر نفسه، ص٤٠ ؛ ينظر: الحجي : اندلسيات، ١١٩/٢.

(٤) اسرة بني الطويل: وهم من بني محمد بن عبد الله بن شبريط المعروف بالطويل وسمي بذلك لطوله الفائق وكان بنو الطويل او بنو شبريط من اكبر اسر المولدين بالثغر الاعلى وكان جدهم الاول شبريط من اعيان المولدين في الثغر لكنه كان محجوباً كغيره من الزعماء المولدين لغلبة بني قسي على الثغر فلما اضمحل شأن بني قسي عاد بنو شبريط الى الظهور فاستولى الطويل على اراضي بني قسي في لارده وبربشتر وحصن منتشون وكان محمد شديد الباس اشتهر بغزواته على اراضي النصارى لا سيما نافار وبرشلونة قتل سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) ولم تذكر المصادر سبب قتله. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٥٠٠، ابن عذاري: البيان المغرب، ١٦٤/٢، وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٣٤٢/١-٣٤٣.

سرقسطة[1] وقريبه مطرف بن منذر صاحب قلعة ايوب[2] مع راميـرو الثـاني ملـك ليـون وظهرت اثار هذا الحلف سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م) حينما غزا الناصر اراضي ليون ولـم يتقـدم بنو هاشم التجبيون لمساعدته بل جاهر محمد بالخروج عليه وخلع طاعته واعترف بسلطة ملك ليون على سرقسطة واحوازها[3].

وهنا قرر الخليفة الناصر ان يضرب التجيبيون ضـربة قاضـية فقـاد بنفسـه سـنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م) حملة عسكرية وابتدأ بمحاصرة قلعة ايوب التي استنجد حاكمها بملك ليـون فانجده بفرقة من فرسان البة والقلاع[4] لكن الامر انتهى بمقتل المطرف حاكم القلعة ومن كان معه من جند حليفه النصراني.[5]

كان فتح قلعة ايوب اول صدع خطير في تمرد بني تجيب فهي فـضلاً عـن منعتهـا الطبيعية كان بها عدد كبير من فرسان سرقسطة الاكابر وخمسمائة من الفرسـان النـصارى الذين لم ينج منهم الا عدد قليل.[6]

وازدادت اوضاع بني تجيب سوءاً بعد الحصار الشديد الذي ضـربه الناصـر علـى سرقسطة في سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م) فاسقط في يد ابن هاشم التجيبي فطلب الامان والصلح في عيد الاضحى من السنة المؤرخة بعد ان ترددت بينه وبين الناصر الرسل والمفاوضات ودخل الناصر بجيشه مدينة سرقسطة وفقاً للسلم المعقـود يـوم الخمـيس ١٤ محـرم مـن سـنة

---

(١) تولى محمد بن هاشم التجيبي حكم سرقسطة سنة ٣١٩هـ/٩٣١م بعد وفاة ابيه هاشم بن محمد التجيبـي ، ينظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص٤٤.

(٢) قلعة ايوب: هي مدينة رائعة البقعة حصينة شديدة المنعة كثيرة الخصب وهي قريبة من مدينة دورقة بينهما (٣٦)كم وبينها وبين سرقسطة (٦٤)كم امر ببنائها الأمير محمد بن عبد الرحمن لمواجهة تمرد بني قـسي في سرقسطة. ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٤٦٩.

(٣) ابن حيان: المقتبس، تح: شالميا ، ٣٧٩/٥-٣٨١ ، وينظر : الحجي، اندلسيات، ١٢٠/٢.

(٤) البة والقلاع: منطقتان جغرافيتان يستعملان معاً في النصوص العربية والبة هي الاقليم الواقع عنـد منـابع نهر ابره على الضفة اليمنى منه الى الشرق من جبال قنتبرية اما القلاع فيراد به المنطقـة التـي تعـرف بقشتالة وقد سماها العرب القلاع لكثرة قلاعها وكان العرب في غزواتهم لسرقسطة او الـشمال الاسـباني يمرون بالبة والقلاع في طريقهم لذا يذكر الاقليمان معاً . ينظر: ارسلان، الحلل السندسية، ٣٢١/١.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تح: شالميا ، ٣٩٦/٥-٣٩٩.

(٦) عنان: دولة الإسلام ، ٤٠٨/٢ .

٣٢٦هـ/٢١ تشرين الاول سنة ٩٣٧م وشهد منعتها وحصانة اسوارها فامر بهدم الاسوار وشحنها بجند الإمارة فساد بها الامن والهدوء.[1]

ادرك الناصر مدى اهمية بقاء بني تجيب قادة للثغر الاعلى لمعرفتهم بظروف المنطقة ومقدرتهم الادارية فكانوا بنظره الاقدر على ادارة هذه المنطقة لذا قام باعادة محمد بن هاشم الى منصبه قائداً لسرقسطة والثغر فاستمر بنو تجيب قادة للثغر الاعلى حتى بعد وفاة الناصر سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م).

ب - إعلان الخلافة الأندلسية

بعد ان استتب الامر للأمير عبد الرحمن في الأندلس اقدم على امر خطير هو تلقبه بالالقاب الخلافية فقد أكدت المصادر العربية الإسلامية انه في سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) قرر الأمير عبد الرحمن بن محمد ان تكون الدعوة له مخاطباته والمخاطبات عنه في جميع ما يجري ذكره فيه بأمير المؤمنين فعهد الى صاحب الصلاة احمد بن بقي[2] بان يعلن ذلك للناس في خطبة الجمعة مستهل ذي الحجة سنة ٣١٦هـ/ شباط سنة ٩٢٨م وكان نص الكتاب الخاص بذلك هو : (بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد: فانا احق من استوفى حقه واجدر من استكمل حظه ولبس من كرامة الله تعالى ما البسه فنحن للذي فضلنا الله به واظهر اثرتنا فيه ورفع سلطاننا اليه ويسر على ايدينا ادراكه وسهل بدولتنا مرامه وللذي اشاد في الافاق من ذكرنا وعلو امرنا واعلن من رجاء العاملين بنا واعاد من انحرافهم الينا واستبشارهم بدولتنا والحمد لله ولي النعمة والانعام بما انعم به واهل الفضل بما تفضل علينا فيه وقد رأينا ان تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك اذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه ومتسم بما لا يستحقه وعلمنا ان التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق اضعناه واسم ثابت اسقطناه فامر الخطيب بموضعك أن يقول به واجر مخاطباتك لنا عليه ان شاء الله والله المستعان).[3]

---

(١) ابن حيان: المقتبس، تح: شالميا ، ٤٠٤/٥-٤١٠ ، وينظر: عنان: المرجع السابق، ٤٠٨/٢-٤١٢ .

(٢) هو احمد بقي بن مخلد يكنى أبا عبد الله او أبا عمر تولى منصب قاضي الجماعة في الأندلس توفي سنة ٣٤٤هـ، ينظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ٤٤/١ ، الحميدي: جذوة المقتبس، ص١١٨.

(٣) ابن حيان: المقتبس، تح: شالميا، ٢٤١/٥-٢٤٢، ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص٣٠، ابن عذاري: البيان المغرب، ١٩٧/٢ . وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٤٣٠/٢ ، حمادة: الوثائق السياسية، ص١٦١ . النقيب: احلام حسن: الخلافة في الأندلس من (٣٥٠-٣٦٦هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، (بغداد-١٩٩٢م)، ص٣ ، وينظر كذلك Provencal, Gomez, op. Cit., pp.78-79.

على انه لا بد ان نقف قليلاً لنناقش البواعث التي دفعت الأمير عبد الرحمن الى اعلان الخلافة الإسلامية بالأندلس على الرغم من وجود خلافة أخرى في المشرق هي الخلافة العباسية.

فحين نعود الى مؤسس الدولة الاموية في الأندلس عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م) نجد انه بعد نجاحه في اقامة صرح الإمارة الأندلسية الاموية متحدياً كل عوامل التحدي والتي كان اولها الخلافة العباسية في بغداد لم يبلغ في تحديه محاولة اتخاذ القاب الخلافة ليس زهداً فيها ولكونها حقاً له لانه سليل الخلفاء الامويين في الشام لكنه لم يرغب في اضافة مشاكل خارجية اقوى من ارادته وهو الذي كان همه منصرفاً الى احكام السيطرة على مدن واقاليم الأندلس واعادة الوحدة اليها ، فضلاً عن شعوره بان الخلافة وحدة لا تتجزأ ولا تتعدد وان الخروج عنها عصيان وان الخليفة الشرعي هو حامي حمى الحرمين الشريفين في الحجاز اصل العرب والملة [1] فهو وان كان قد قطع الدعوة لبني العباس [2] لكنه لم يلقب نفسه بلقب خليفة بل اكتفى بلقب أمير الأندلس او ابن الخلائف وهذا كان هو الاصل النظري للخلافة السنية في بادئ الامر لكن التطورات السياسية التي حدثت في العالم الإسلامي مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي حتمت الخروج عن ذلك الاصل .

ويبدو ان عبد الرحمن الناصر كان مدفوعاً ازاء هذا القرار بعدة اعتبارات :

١- ان الوحدة السياسية في الأندلس قد قطعت شوطاً كبيراً في طريق التنفيذ بعد ستة عشر عاماً من النضال الصعب توجه بانتصاره العظيم على ابن حفصون اخطر المتمردين

---

(١) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ) ، مقدمة ابن خلدون ، دار العودة ، (بيروت – ١٩٨١)، ١٨٠/١ . وينظر : العبادي ، في التاريخ العباسي ، ص ١٨١، الصالح : مرمول محمد: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (الجزائر-١٩٨٣) ، ص ١٨٧.

(٢) ذكر ابن كردبوس ان أمراء بني امية الذين سبقوا الناصر كانوا يخطبون لبني العباس فيما اكد المؤرخ ابن الابار ان الأمير عبد الرحمن الداخل اقام الخطبة لبني العباس لمدة عشرة اشهر وقد ساق قصة بين فيها سبب قطع الدعوة للعباسيين خلاصتها ان أميراً اموياً هو عبد الملك بن عمر بن مروان كان قد فر من الشام خوفاً من العباسيين ودخل الأندلس فاكرمه الداخل وولاه اشبيلة فلما وجد الامويين يدعون للمنصور العباسي اشار على الداخل بقطع الدعوة للعباسيين وذكره بسوء صنيع بني العباس بالامويين وهدده بقتل نفسه مالم يتوقف الداخل عن الدعاء للعباسيين على المنابر فقطع الداخل حينذاك الخطبة لهم بعد ان خطب لهم عشرة اشهر . ينظر : ابن كردبوس : ابو مروان عبد الملك بن مروان (عاش ق ٦ هـ) ، الاكتفاء في اخبار الخلفاء (تاريخ الأندلس) ، تحقيق احمد مختار العبادي ، (مدريد-١٩٧١) ، ص ٦٢ . ابن الابار ، الحلة السيراء ، ٣٥/١-٣٦.

حينذاك على الرغم من ان بضعة مواقع كانت لم تزل خارجة عن سلطته لكن امرها لم يكن يقلقه كثيراً بعد ما بلغه من قوة ونفوذ أهلاه لاتخاذ هذه الخطوة الخطيرة [1] .

٢- ان الخلافة العباسية التي انفردت بهذا اللقب بعد قضائها على الامويين بعد معركة الزاب سنة (١٣٢هـ/٧٥٠م) [2] . انحدرت سمعتها الى الحضيض في عهد الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٨٠-٩٣٢م) حيث كانت سلطة الخليفة العباسي من هذا الوقت لا تتعدى تخوم بغداد وكان الخليفة نفسه تحت رحمة قواده الاتراك الذين استبدوا بالحكم واصبحوا اصحاب الكلمة النافذة في الدولة واخيراً جاء اغتيال المقتدر سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) على يد قائده التركي مؤنس [3] ليضع الخلافة العباسية امام منعطف خطير شجع على اتخاذ مواقف اكثر جرأة في مناهضتها والخروج عليها وباختصار فان العباسيين في هذه الفترة لم يكونوا اهلاً لحمل لقب الخلافة [4] فانتهز الناصر الفرصة واعلن الخلافة ليتحرر من آخر ما يربطه برمز الخلافة العباسية وهو اللقب وليستكمل هيبة المملكة التي بناها بجهوده .

٣- لم يغب عن ذهن الناصر وهو يزمع اتخاذ مثل هذا القرار جيرانه في المغرب العربي وهم الفاطميون وتحركاتهم المريبة المعادية للامويين اذ ان بروزهم قوة جديدة في المغرب واعلانهم الخلافة سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م) من الاسباب التي دفعت الأمير عبد الرحمن للرد عليهم بالمثل بعد ثبوت أحقيته بألقابها من دولة منحلة (العباسية) وأخرى طارئة هي (الفاطمية) [5] .

٤- لاحظ الأمير عبد الرحمن ضعف مكانة الأمراء الامويين من قرطبة في المدة السابقة الى عهده نتيجة التمردات والفتن الداخلية بحيث ان لقب (أمير) اصبح لقباً مبتذلاً تلقب به معظم العصاة والخارجين عن السلطة المركزية مما جعل الحاجة ماسة إلى رفع مكانة

---

(١) بيضون : ابراهيم : الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار النهضة العربية ، (بيروت – ١٩٧٨) ، ص ٢٩٥ . السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم ، ص ١٥٧ . الغنيمي : عبد الفتاح مقلد : كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون ، (بغداد – ١٩٩٣) ، ص ٢١٥.

(٢) الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، (القاهرة ،د.ت) ، ٤٣٢/٧.

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ٢٤١/٨.

(٤) ارنولد : السير توماس ، الخلافة ، ترجمة حسن حيدر اللبناني ، دار العزاوي للطباعة ، (بغداد – ١٩٦١)، ص ٤٠.

(٥) بيضون : الدولة العربية ، ص ٢٩٦ ، السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص ١٥٧.

الأمير الاموي الحاكم الفعلي والشرعي لعموم البلاد باتخاذ ألقاب الخلافة التي لا يستطيع ان يتلقب بها الا من كان يمتلك شروطها [1] . لذلك جاء اتخاذ القاب خلافة رداً على كل التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الدولة في زمن عبد الرحمن الناصر فجعل للحاكم مكانة متميزة بعد ان تلقب بالقاب الملك الكثير ممن خرجوا على السلطة المركزية ونافسوا الأمير الاموي في سلطاته ومن ناحية أخرى كان ذلك رداً على ظهور الخلافة الفاطمية في المغرب .

ج- بناء مدينة الزهراء

تعد المنشآت المعمارية مظهراً متقدماً من مظاهر الحضارة ودليلاً من دلائل الرخاء الاقتصادي وقد امتلكت الأندلس من عهد الخلافة كل المقومات المؤهلة لان تكون بحق وليدة عصر الخليفة الناصر وان تصبح العاصمة قرطبة صورة حقيقية لمظاهر ازدهار وبذخ ذلك العصر [2] . ولعل اهم اثار الناصر المعمارية هي مدينة الزهراء وهي مدينة خلافية بنيت على بعد ٥ كم شمال غربي العاصمة قرطبة [3] على سفح جبل العروس[4] بدأ ببنائها سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م) [5] وكان للناصر عند بناء هذه المدينة دوافع عديدة [6] منها:

١- اراد الناصر ان يتخذ من هذه المدينة مقراً لنظام الحكم الجديد (الخلافة) .

---

(١) السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم ، ص ١٥٧.

(٢) السامرائي وآخرون : المرجع نفسه ، ص ١٧٦.

(٣) Arie : Rachel , unefigure de prouede L'Espagne Musulmane , Andalusian Studies , (Tunis-1993) , No. 10 , p.8.

(٤) يسميه ابن حوقل جبل بطلش ينظر : ابن حوقل : ابو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ)، صورة الارض ، دار مكتبة الحياة، (بيروت – ١٩٧٩) ، ص ١٠٧ .

(٥) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ١٦٢/١ .

(٦) يردد بعض المؤرخين رواية قصصية مفادها ان الناصر ماتت له جارية وتركت اموالاً كثيرة واوصته ان يخصص هذا المال لافتداء اسرى المسلمين وطلب في بلاد الافرنج اسيراً فلم يوجد فشكر الله تعالى على ذلك لكن جارية أخرى اسمها الزهراء كانت اثيرة لديه اوحت اليه بان ينشئ بهذا المال مدينة تسمى باسمها وتخصص لسكناها فانشأ لها الناصر هذه المدينة . ينظر : المقري : احمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق يوسف الشيخ محمد ، دار الفكر ، (بيروت-١٩٩٨) ، ٢٤٥/١، وينظر : العزي: نجلة ، قصر الزهراء في الأندلس ، دار الحرية ، (بغداد – ١٩٧٧) ، ص ٣٠.

٢- الابتعاد عن صخب العاصمة قرطبة بعد ان ضاقت بسكانها الذين بلغوا اكثر من خمسمائة الف نسمة [1] وبلغت دورها حوالي مائة وثلاثة عشر الف دار [2] .

٣- كان بناء المدن صفة اتصف بها الخلفاء والسلاطين العظماء تخليداً لعصورهم المجيدة[3] وقد عرف عن الناصر كلفه الشديد بالبناء كما يؤكد ذلك المقري[4] بقوله : ((كان الناصر لدين الله كلفاً بعمارة الارض واقامة معالمها وتخليد الاثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان فافضى به الاغراق في ذلك الى ان ابتنى مدينة الزهراء)). كما ان ابن حيان[5] قد اكد ذلك عند حديثه عن خسارة المسلمين في معركة الخندق ضد النصارى سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) بقوله: ((واشتدت على الناصر لدين الله نكبته في غزوته هذه... فاتهم سعده واعتكر فكره... فأشير عليه بعكس همه الى اغلب اللذة عليه وكانت البنيان... وقصد الاستغراق فيه فأنشأ مدينة الزهراء بأسفل قرطبة)).

وفضلاً عما ذكر فقد ساعدت ظروف الأندلس العامة على القيام بمثل هذه الاعمال فالأمن والسلام الذي نعمت به الأندلس حينذاك بعد القضاء على كل الفتن والتمردات الداخلية والتغلب على الأعداء في الخارج كانا من العوامل التي ساعدت على بناء هذه المدينة الملكية هذه من الناحية السياسية أما الناحية الاقتصادية فالأندلس في هذه المدة شهدت رخاءاً اقتصادياً كبيراً فقد قدر المؤرخون مقدار الجباية في الأندلس زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر من كافة الكور والقرى بخمسة آلاف ألف وأربعمائة وثمانين الف دينار اي ما يعادل خمسة ملايين واربعمائة وثمانين الف دينار[6] وكان الناصر يقسم هذه الجباية الى ثلاثة اثلاث: ثلث للجند،

---

(١) العذري : نصوص عن الأندلس ، ص ١٢٤ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٥٨ ، ينظر : السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم ، ص ١٧٦ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٣٢/٢.

(٣) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٧٧.

(٤) المقري : احمد بن محمد (ت١٠٤١هـ): ازهار الرياض في اخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة فضالة، (الرباط-١٩٧٨)،٢٧٧/٢؛ ينظر: العزي : المرجع السابق،ص٣٢، راضي، الأندلس والناصر،ص٤٤.

(٥) المقتبس، تح: شالميا ، ٤٣٧/٥.

(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٣٢/٢، المقري: نفح الطيب، ٨٩/٢ ؛ وينظر: السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٧٦.

وثلث للبناء، وثلث مدخر[1] وتدلنا المبالغ التي تم صرفها على بناء هذه المدينة على مدى عظم النفقات التي رصدها الناصر لاستكمال بناء الزهراء فقد بلغت نفقة بنائها ثلاثمائة الف دينار كل عام طوال عهد الناصر أي خمساً وعشرين سنة هذا عدا ما انفق عليها في عهد الحكم المستنصر[2] إذ حشد لها الناصر امهر المهندسين والصناع والفنانين من سائر الانحاء لا سيما من بغداد والقسطنطينية[3] وجلب اليها اصناف الرخام الابيض والاخضر والوردي من رية وقرطاجنة افريقية وتونس ومن الشام والقسطنطينية وجلب لها من سواري الرخام اربعة آلاف وثلاثمائة واربعاً وعشرين سارية[4] وكان يشتغل في بنائها كل يوم من العمال والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب الفاً وخمسمائة[5] ويعد لها من الصخر المنحوت نحو ستة آلاف صخرة في اليوم[6] .

ان الزهراء قد انشئت على شكل طبقات ثلاث بعضها فوق بعض ففي الطبقة السفلى انبسطت الجنائن والبساتين وفي الطبقة الوسطى قامت منازل الموظفين في البلاط اما مقر الخليفة فكان في الطبقة العليا حيث يشرف على كل المدينة[7] .

كانت المباني الرئيسة لمدينة الزهراء تتكون من : [8]

١- المسجد.

٢- القصور والمجالس.

٣- المساكن والدور.

٤- ابواب المدينة.

---

(١) ابن الخطيب: اعمال الاعلام،ص٣٧ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٣١/٢، المقري: نفح الطيب، ٨٩/٢؛ مجهول: ذكر بلاد الانلدس، ١٦٣/١.

(٢) المقري : نفح الطيب، ٨٨/٢ .

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٣١/٢ ؛ ابن خلدون: العبر ، ١٤٤/٤ . وينظر : السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص١٧٨.

(٤) ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص٣٨، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ١٦٣/١.

(٥) المقري : نفح الطيب، ٨٧/٢ . وينظر : عنان : دولة الإسلام، ٣٩٧/٢.

(٦) ابن الخطيب : اعمال الاعلام، ص٣٨. وينظر : هلال: جودة وآخرون : قرطبة في التاريخ الإسلامي، دار العلم للطباعة، (القاهرة-١٩٦٢)،ص٦٣، Arie, op. Cit., no.10, p.8 .

(٧) الحميري: الروض المعطار، ص٩٥ . وينظر: العميد: طاهر مظفر: اثار المغرب والأندلس، دار الكتب للطباعة، (بغداد-١٩٨٨)،ص٢٩٠.

(٨) العزي: قصر الزهراء، ص٥٠. العميد: اثار المغرب، ص٢٩١.

١- المسجد: يقع المسجد بين الطبقتين الثانية والثالثة من المدينة وكان يعمل فيه كل يوم الف بنّاء ومائتا نجار وخمسمائة اجير وصانع[1] وقد بني في مدة ثمانية واربعين يوماً فجاء في غاية الاتقان والجودة[2] وقد امر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد ووضع حوله مقصورة عجيبة الصنع وكان ذلك بعد اكتماله يوم الخميس ٢٣ شعبان سنة ٣٢٩هـ/٦ حزيران سنة ٩٤٠م[3] .

٢- القصور والمجالس: تقع في الطبقة العليا من المدينة وهي عدة قصور تقع الى الشرق من السور الشمالي لمدينة الزهراء[4] ويسهب المقري[5] في وصف هذه القصور التي تمتد بخط متوازٍ من الشرق الى الغرب بموازاة السور الشمالي للمدينة وتفتح على شارع ضخم هو (السطح الممرد)[6] وما تم اكتشافه من هذه القصور هو المجلس الغربي او المجلس الكبير الذي يقع الى الغرب من هذه القصور ويعتقد ان المجلس الكبير هو قصر الخلافة الحقيقي في المدينة[7] اما القصور الأخرى فتقع في الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة منها قصر يتكون من عشرة اروقة وما زالت هذه القصور مجهولة لم يتم الكشف عنها[8] ومن المباني الأخرى المشهورة هي القبة التي جعل الناصر قراميدها من الذهب والفضة وقد انكر بعض كبار رجال الدولة لا سيما قاضي الجماعة بقرطبة منذر البلوطي[9] على

---

(١) المقري: نفح الطيب، ٨٤/٢.

(٢) المقري: المصدر نفسه، ٨٤/٢. وينظر: العميد: اثار المغرب، ص٢٩١.

(٣) المقري: ازهار الرياض، ٢٦٦/٢ .

(٤) الادريسي: نزهة المشتاق، ٢١٢/١ .

(٥) نفح الطيب، ١٠٠/٢ ، ازهار الرياض، ٢٦٥/٢.

(٦) المقري : نفح الطيب، ١٠٠/٢ ، وينظر: العميد: اثار المغرب، ص٢٩٢، العزي: قصر الزهراء، ص٥٠.

(٧) العميد: اثار المغرب،ص٢٩٣ ، العزي : قصر الزهراء، ص٥٣.

(٨) العزي: نفس المرجع، ص٥٤.

(٩) هو منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي قاضي الجماعة وصاحب الصلاة بقرطبة وكان من المقربين للناصر كان صارماً لم يكن يخشى في الحق لومة لائم بقي في منصبه حتى وفاته سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م. ينظر:الخشني:محمد بن الحارث(ت٣٦١هـ) : قضاة قرطبة، دار الكتاب اللبناني،(بيروت-١٩٨٩)،ص٢٣٧؛ ابن خاقان : ابو النصر الفتح بن محمد (ت٥٢٩هـ): مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الأندلس، تحقيق : محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة للطباعة(بيروت-١٩٨٣)، ط١،ص٢٣٧-٢٥٢.

الخليفة الناصر الاسراف في تزيين الزهراء لا سيما القبة الموشاة بالذهب والفضة مما جعل الناصر ينقض القبة ويعيد بناءها من جديد[1] .

٣- الدور والمساكن: في الطبقة الثالثة من المدينة وفي اكنافها شيدت دور خاصة لحاشية الخليفة التي بلغت اربعمائة دار[2] واحتوت ايضاً دوراً للصناعة ودور العدة او دور السلاح حيث كانت تحوي فيها حوالي ستة آلاف درع وقوس[3] اما دار السكة فقد نقلت اليها بعد بنائها[4] وتشمل مباني الزهراء ايضاً الحمامات فكان فيها اثنان واحد خاص بالقصر الخليفي وآخر عام للمدينة كما احتوت هذه الطبقة من المدينة على السجن الذي يسمى (المطبق)[5] .

٤- ابواب المدينة : ذكر المؤرخون ان للزهراء اربعة ابواب هي باب الاقباء وباب السدة وباب الجبل وباب الصحراء[6] ومن تسميات هذه الابواب امكن تحديد مواقعها وما تؤدي اليه من اقسام المدينة فباب السدة يؤدي الى القسم الاوسط من المدينة[7] فيما كان باب الاقباء يؤدي الى القسم العلوي من المدينة وباب الجبل هو الموجود في سور المدينة الشمالي الذي يؤدي الى خارج المدينة اما الباب الاخير فهو باب الصحراء الموجود في سور المدينة الجنوبي المؤدي الى السهل والوادي الممتد خارج اسوار المدينة[8] .

هذه هي اقسام المدينة وقد انتقل الناصر الى المدينة بعد اكتمال بناء قصرها الخلافي والجامع سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م) ونقل اليها جميع دوائر الدولة ودواوينها[9] .

---

(١) المقري: ازهار الرياض،٢/٢٨٠-٢٨٢ .

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/٢٣٢ . وينظر: العميد : اثار المغرب، ص٢٩٥.

(٣) العزي: قصر الزهراء، ص٥٦.

(٤)ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/٢١٥.

(٥) ابن حيان: المقتبس، تح الحجي ، ص٨٧.

(٦) المقري: ازهار الرياض، ٢/٢٩٠. وينظر : العزي: قصر الزهراء، ص٥٧ ، العميد: اثار المغرب، ص٢٩٥.

(٧) العزي: قصر الزهراء، ص٥٧، الهاشمي: تهامي راجي: الابواب بالأندلس، مطبعة فضالة، (الرباط- ١٩٧٩)،ق١، ص٣٧.

(٨) العزي: المصدر نفسه، ص٥٧ .

(٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢،٢١٢ .

ولا يهمنا ما حوته هذه المدينة من تحف وذخائر بقدر ما يهمنا كونها احدى التحديات التي واجهت الأندلس او بالاحرى الخليفة الناصر فقد كان اتمام هذه المدينة على الوجه الذي هي عليه من الروعة والجمال بمثابة تحدٍ ابرز عبقرية صاحبه الذي لم يفلت منه شيء عبقريته هذه التي كانت تدعو الى الاعجاب من تصرفها في ابسط الامور كما تدعو اليه في التصرف في اعظم الامور[1] .

وكان بناء هذه المدينة جزءاً من الرد على التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت عبد الرحمن الناصر ودلالة على استقرار الدولة ورخائها .

ثانياً- عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)

١- اسمه ومولده وصفاته

هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الاموي[2] .

كنيته ابو المطرف[3] او ابو العاص[4] لقبه المستنصر بالله وقيل ان الخليفة الناصر هو الذي لقبه بهذا اللقب منذ صغره[5] . ولد في الرابع والعشرين من شهر جمادي الاخرة سنة ٣٠٢هـ/التاسع من كانون الثاني سنة ٩٢٤م[6] .

وكان الحكم حسن السيرة صافي السريرة رفيقاً بالرعية فاضلاً عادلاً من اهل الدين والعلم جامعاً اليهما تشدداً في ابطال الخمور من الأندلس وذلك لورعه الشديد [7].

---

(١) Dozy, op. cit., vol. II, p. 115.
- Arie, op. Cit., no. 10, p. 8.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ٧/١، ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٣٣/٢؛ ابو الفدا : المختصر، ١١٧/٢، ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص٤١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ٥٦٢/١ .

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٣٣/٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٣٥٨- سير اعلام النبلاء، ٥٦٢/١٥.

(٤) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص١٦ . ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ١٢٧/٤ .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٦٦/٢ .

(٦) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ١٥/١ ؛ ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٠١/٥ .

(٧)ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص١٠٠. الحميدي : جذوة المقتبس ، ص١٦ . الضبي : احمد بن يحيى (ت٥٩٩هـ) : بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس ، طبع بمطبعة روخس ، (مدريد – ١٨٨٤م) ٤٠/١-٤١ ؛ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٤١، الاحاطة ٢٦٨/١ .

٢ - ولايته للعهد وتوليه الخلافة

اتجهت نية الخليفة الناصر الى ان يعهد بالخلافة الى ابنه الحكم المستنصر الذي عينه ولياً للعهد وهو في الثامنة من عمره [1] وكان يؤثره على جميع اولاده كما يؤكد ذلك ابن خلدون : ((كان الناصر قد رشح ابنه الحكم وجعله ولي عهده وآثره على جميع اولاده ودفع اليه كثيراً من التصرف في دولته))[2] .

ولم يتورع في سبيل ذلك عن قتل ابنه الاخر عبد الله عندما علم بتدبيره لخلع الحكم عن ولاية العهد وقد اشترك في المؤامرة اشخاص كثر كالفقيه احمد بن عبد البر [3] الذي كان يروم تولي منصب قاضي الجماعة كما دلت على ذلك مقولة الناصر : ((اما ابن عبد البر فأنا اعلم انه الذي زين لهذا العاق ذلك ليكون قاضي الجماعة ويأبى الله ذلك)) [4] .وقد حدد المتآمرون ثاني ايام عيد الاضحى من عام ٩٣٩/٣٣٨م لتنفيذ المؤامرة والتخلص من ولي العهد (الحكم) لكن عين الناصر اليقظة لم تغفل عما كانوا يدبرونه فأحبط المؤامرة وزج بالمتآمرين في السجن حيث لقوا مصيرهم المحتوم [5].

ولم يكن الحكم المستنصر حين ولايته حديثاً على شؤون الملك فطالما كان يندبه أبوه لمباشرة مختلف المهام فكان يصطحبه معه في الكثير من غزواته ليخوض معه غمار الحروب[6] وكان يتركه في بعض الاحيان في القصر الخلافي لتسيير شؤون الدولة نيابة عنه اثناء غيابه [7] ولم يكتف الناصر بتقديم ابنه في حروبه فقط بل قدمه ايضاً في فترات السلم حيث كان يعهد اليه بالكثير من الاعمال الأخرى فمثلاً عندما قدم رسل امبراطور الروم الى

---

[١] ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٨٠/٢ . وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٧/٤ .

[٢] العبر ، ١٤٣/٤ .

[٣] احمد بن محمد بن عبد البر من اهل قرطبة من موالي بني امية يكنى ابا عبد الملك كان بصيراً بالحديث فقيهاً متصرفاً في فنون العلم له كتاب في تاريخ الفقهاء في قرطبة وقد استعان به ابن الفرضي في تصنيف كتابه المشهور تاريخ علماء الأندلس ، توفي في السجن بسبب اشتراكه مع ابن الأمير الناصر في الخروج على الخليفة سنة ٣٣٨هـ . ينظر : ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ٥٠/١-٥١ ، تر : رقم (١٢٠)؛ ابن الابار : الحلة السيراء ، ٢٠٨/١ .

[٤] ابن الابار : المصدر نفسه ، ٢٠٨/١ .

[٥] ابن سعيد : المغرب ، ١٨٦/١ ؛ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٣٩ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٠٢/٣ ؛ مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ١٦٢/١ .

[٦] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٢٠٩/٥ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٩٣/٢ – ٢٠٢ .

[٧] ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٨٢/٢ ، ١٨٥ ، ١٨٩ .

قرطبة سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) [1] احب الناصر ان يحتفل بهم احتفالاً عظيماً فطلب الى ابنه الحكم ان يقوم بإعداد هذا الاحتفال لاظهار عظمة الخليفة ومكانته الكبرى بين شعبه وامام هؤلاء الوافدين [2] وكان بمقدور الناصر ان يعهد بهذا العمل الى أي رجل من رجال دولته لكنه اختار الحكم ليظهر تفوقه في هذا المجال ويختبر ذكاءه . وكان الحكم جديراً بالمسؤولية الملقاة على عاتقه فقد قام بدعوة الكثير من الخطباء والعلماء والشعراء امثال أبي علي القالي والقاضي سعيد بن منذر البلوطي والفقيه محمد بن عبد البر فاستعد الجميع لاستقبال الوافدين فقام الفقيه ابن عبد البر لألقاء كلمة الافتتاح لكنه صعق من هول الموقف فسقط مغشياً عليه [3] عندئذٍ اشار الحكم الى ابي علي القالي ليحل محله لكن القالي اصابه ما أصاب صاحبه الفقيه فوقف ساكتاً لا يدري ما يقول [4] حينذاك قام القاضي منذر بن سعيد البلوطي وخطب خطبة رائعة انست الحاضرين مواقف الخطباء السابقين [5] وهنا نلاحظ فطنة وذكاء الحكم المستنصر الذي احتاط لمثل هذا الامر واعد له عدته فجمع هؤلاء العلماء دفعة واحدة فإذا قصر احدهم اكمل الاخر عنه .

كما عهد الناصر الى ابنه الحكم بالاشراف على بناء مدينة الزهراء سنة (٣٢٥هـ / ٩٣٦م) [6] .

وعندما توفي الناصر لدين الله سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م) استلم زمام السلطة ابنه الحكم المستنصر وكان عمره يؤمئذٍ سبعة واربعين عاماً [7] حيث اخذت البيعة الخاصة من حاجبه جعفر بن عثمان المصحفي [8] ثم اخذت البيعة العامة من اهالي قرطبة وولاة الاقاليم وقد حرص المستنصر على ابقاء جهاز الدولة كاملاً مثلما كان في عهد ابيه لثقته العالية بقدرة ابيه على اختيار الرجال الافذاذ [9] .

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢١٣/٢ .
(٢) المقري : ازهار الرياض ، ٢٧٢/٢ – نفح الطيب ، ٢٨٧/١ . وينظر : الحجي : اندلسيات ، ٦١/١ .
(٣) المقري : ازهار الرياض ، ٢٧٣/٢ – نفح الطيب ، ٢٨٨/١ . وينظر : المزروع : وفاء عبد الله سليمان : الخليفة الاموي الحكم المستنصر ، الدار السعودية للطباعة ، (جدة – ١٩٨٢) ، ص٢٨ .
(٤) المقري : نفح الطيب ، ١/ ٢٨٨ – ازهار الرياض ، ٢٧٣ . وينظر : الحجي ، اندلسيات ، ١/ ٥٤-٥٦ .
(٥) المراكشي : المعجب ، ص٥٥-٥٦ . وينظر : المزروع : الحكم المستنصر ، ص٢٨ .
(٦) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٣١/٢
(٧) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص١٦ ؛ المراكشي : المعجب ، ص٥٩ ؛ ابن سعيد ، المغرب ١٨٦/١ ؛ ابن الابار : الحلة السيراء ، ٣٣٣/١ . وينظر النقيب : المرجع السابق ، ص٢٠ .
(٨) هو ابو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة القبسي كان عظيم المنزلة عند الحكم المستنصر قديم الصحبة له وكان والده عثمان المصحفي مؤدباً للحكم ايام ابيه الناصر ولما افضت الخلافة الى الحكم قلده الوزارة والحجابة وامصاه على الكتابة الخاصة وكان جعفر من الشعراء الأندلسيين المجيدين . وينظر: الحميدي : جذوة المقتبس ، ٢١٨٧ ؛ المراكشي : العجب ، ص٦٢ . وينظر : المزروع ، الحكم المستنصر ، ص٣٥ .
(٩) المقري : ازهار الرياض ، ٢٨٦/٢ . وينظر : المزروع ، الحكم المستنصر ، ص٣٥-٣٧ .

٣- سيرته العلمية

كان ازدهار الحياة العلمية نتيجة من نتائج استقرار الاوضاع الداخلية وثمرة من ثمرات قوة ومكانة الدولة الأندلسية بعد ان جعلت الممالك الاسبانية الشمالية تقف موقف المدافع وعلى طول الخط فقد برز الحكم المستنصر في العالم في مقدمة الذين خدموا الحركة العلمية وهيأوا لها مقومات النجاح [1] وكانت عظمة الحكم العلمية وليدة نتاج وتفاعل بين جهد ذاتي ومناخ وبيئة محيطة شأنه في ذلك شأن كل العظماء والبارزين في التاريخ الانساني [2] ويمكن تحديد اطار هذه البيئة في المجالين السياسي والاقتصادي فمن الناحية السياسية كانت الأندلس زمن الناصر قد توحدت والتأم شملها واصبح سلطانها معترفاً به من ملوك الدويلات الاسبانية في الشمال . اما من الناحية الاقتصادية فكان الناصر حريصاً على توفير كافة المستلزمات التي تؤمن لأبنائه حياة مستقرة مادياً ونفسياً فقد كان يخصص موارد اقتصادية مستقلة لكل ابن من ابنائه على حدة وتعيين شخص للاشراف على استثمارها من جهة والاعتناء بتربية وتثقيف هؤلاء الابناء [3] مما يعوض عن عناية الاب الذي لا تدع له مهامه السياسية وقتاً كافياً للاشراف على تربية ابنائه كثيري العدد في الغالب [4] .

وقد كان هذا العمل تقليداً ساد البلاط الاموي منذ ايام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣/ ٨٥٢-٨٨٦م) وإلى ذلك يشير ابن حيان بقوله : (كان يعجل – أي الأمير محمد – لكل واحد من الابناء ، اول ترعرعه بقصر يسكنه وضياع تغل له وعقار بداخل البلد يجري عليه خرجه ... ويختار لكل ولد منهم من وجوه الناس وأولى مروءتهم وكيلاً يسند بشأنه اليه ويقلده النظر في دخله وخرجه) [5] وهذا ما حدث للحكم حيث وفر له الناصر بيئة عائلية مناسبة وعهد به الى كبار علماء عصره ليتلقى على ايديهم العلم على اصوله الصحيحة وقد صادف اهتمام الاب رغبة في الابن كبيرة في فهم دروسه واستيعابها . وهنا يجب ن نشير الى اهم العلماء والشيوخ والمؤدبين الذين تلقى الحكم العلم على ايديهم وكان على رأسهم قاسم بن

---

[١] الكبيسي : خليل ابراهيم : تشجيع الحكم المستنصر للحركة العلمية في الأندلس ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، (بغداد – ١٩٩٠) ، العدد ٤١-٤٢ ، ص١٥١ .

[٢] بدر : احمد : الحياة الفكري في الأندلس ، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية ، (دمشق – ١٩٨٥) ، العدد ١٩-٢٠ ، ص١٠٧ .

[٣] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٤/٥ .

[٤] بدر : الحياة الفكرية ، ص١٠٨ .

[٥] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٥/٥ .

اصبغ المكنى بأبي محمد وكان من أئمة الحديث وله فيه تصانيف كثيرة [1] وكذلك احمد بن دحيم المكنى بأبي عمر الذي ولاه الناصر احكام القضاء بطليطلة[2] وزكريا بن خطاب الكلبي الذي كان من اوثق رواة الحديث وكان الناس يرحلون اليه الى تطلية للسماع منه والاستزادة من علمه [3] ومنهم النحوي الشهير ابو علي القالي [4] الذي استقدمه الناصر الى الأندلس لينشر علمه بها فنزل ضيفاً مكرماً على الخليفة الناصر سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م) واكرم مثواه واحسن منزلته واختصه بتعليم ولي عهده الحكم[5] ومن العلماء الاخرين عثمان بن نصر بن عبد الله بن حميد المصحفي والد الحاجب جعفر المصحفي الذي كان من اهل العلم والادب [6] ومنهم ايضاً هشام بن الوليد بن محمد الغافقي الذي كان عروضياً نحوياً بارعاً كان مؤدب الخليفة الناصر ثم ندبه الناصر فيما بعد لتأديب ابنه الحكم [7] وكذلك محمد بن اسماعيل النحوي المعروف بالحكيم من اهل قرطبة وكان عالماً بالنحو والحساب [8] .

لقد كان لهؤلاء العلماء والمؤدبين اثر كبير في بلورة شخصية الحكم المستنصر العلمية وتوجيهه في كافة مجالات العلم والمعرفة ولما افضت اليه الخلافة لم يدخر وسعاً في تشجيع العلم والعلماء في الأندلس وقد اتخذ عدة وسائل لذلك منها الاعفاء من الخروج مع الجيش مقابل تأليف كتاب وهذا ما حدث مع الفقيه عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار (ت ٣٥٢هـ) والد القاضي يونس قاضي الجماعة بقرطبة الذي يحدثنا عن ذلك فيقول : (لما اراد الحكم المستنصر غزو الروم سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة تقدم الى والدي ليكون في صحبته فاعتذر بضعف جسمه فقال المستنصر لاحمد بن نصر قل له : ان ضمن لي ان يؤلف من

---

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص٣٣٠ .

(٢) ابن القرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ٤٧/١ ، تر . رقم (١١٠) .

(٣) ابن القرضي : المصدر نفسه ، ١٧٦/١-١٧٧ ، تر . رقم (٤٤٤) .

(٤) هو اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون من موالي الخليفة عبد الملك بن مروان ولد سنة ٢٨٨هـ بمدينة مناجرد من نواحي ديار بكر نشأ في بغداد وكان عالماً بكل العلوم ، لا سيما اللغة والنحو له عدة تصانيف اهمها كتاب الامالي ينظر : ابن القرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ٨٣/١-٨٤ تر . رقم (٢٢٣)، القالي : ابو علي اسماعيل . الامالي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ١/ المقدمة .

(٥) المراكشي : المعجب ، ص٦٠ . وينظر : الكبيسي : تشجيع الحكم المستنصر ، ص١٥٣ .

(٦) ابن القرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ٣٤٨/١-٣٤٩ ، تر : رقم (٨٩٨) .

(٧) ابن الفرضي : تاريخ علماء ، ١٧١/٢ ، تر . رقم (١٥٤٥) . وينظر : المزروع : الحكم المستنصر ، ص١١٩ .

(٨) ابن الفرضي : المصدر نفسه ، ٥٤/٢ ، تر . رقم (١٣٠١) .

اشعار خلفائنا بالمشرق والأندلس مثل كتاب الصولي في اشعار خلفاء بني العباس اعفيته من الغزو وخرج احمد بن نصر اليه بذلك فقال : افعل ذلك لأمير المؤمنين ان شاء الله) [1] .
ومن الوسائل التشجيعية الأخرى التي كان يستخدمها الحكم لحث العلماء على التأليف والتصنيف الجوائز واسناد الوظائف المهمة اليهم مثلما حدث مع احمد بن عبد الملك الاشبيلي (ت ٤٠١هـ) الذي كان من احفظ الناس لأقوال الامام مالك واصحابه فجمع للخليفة الحكم كتاباً حافلاً سماه (الاستيعاب) بالتعاون مع ابي بكر محمد بن عبد الله القرشي ثم رفعه الى الحكم فسر به الخليفة كثيراً فوصلهما بجائزة كبيرة ثم قدمهما للشورى [2] .

ومنهم ايضاً ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت٣٧٩هـ) النحوي الشهير كان متمكناً في اللغة العربية تمكناً كبيراً فألف للحكم كتاباً سماه (الواضح) واختصر له كتاب (العين) للخليل بن احمد الفراهيدي فقلده الحكم منصب صاحب الشرطة[3] .

وقد امتد نشاط المستنصر الى خارج الأندلس حيث عمل على استقدام العلماء من شتى امصار العالم الإسلامي لينشروا علمهم في الأندلس فقد استقدم محمد بن الحارث الخشنى (ت٣٦١) من سبتة وكان احد علماء عصره والف للحكم العديد من المؤلفات في التراجم [4] كذلك شجع علي بن محمد بن اسماعيل المعروف بأبي الحسن الانطاكي على التوجه الى الأندلس وكان قبل ذلك يسكن مصر وكان عالماً بالقراءات بصيراً بالعربية والحساب والفقه [5] ومن القيروان استقدم الحكم العالم محمد بن يوسف الوراق الذي الف للحكم كتاباً ضخماً سماه

---

[١] الحميدي : جذوة المقتبس ، ص٢٥٢-٣٥٣ ؛ الضبي : بغية الملتمس ، ص٣١٩ . وينظر : الكبيسي : تشجيع الحكم ، ص١٥٤ . المزروع : الحكم المستنصر ، ص١٢٨ .

[٢] ابن بشكوال : ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت٥٧٨هـ) ، الصلة ، (القاهرة -١٩٦٦) ، ٢٢/١-٢٣ ؛ الضبي : بغية الملتمس ، ص٧١ . وينظر : المزروع : الحكم المستنصر ، ص١٢٩ .

[٣] ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ٩٢/٢ تر : رقم (١٣٥٧) ؛ ابن خاقان: مطمح الانفس، ص٢٧٦؛ المراكشي : المعجب ، ص٦٢ .

[٤] ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ١١٤/٢-١١٥ ، تر. رقم (١٤٠٠) . وينظر : بدر : الحياة الفكرية، ص١١٤ .

[٥] ابن الفرضي : المصدر نفسه ، ٣١٦/١ . نر ، رقم (٩٣٤) . وينظر : الكبيسي : تشجيع الحكم المستنصر، ص١٥٢ .

(مسالك افريقية وممالكها) [1] ومن حلب شجع الفقيه ابا الحسن بن الفارس على الوفود إليه فأجرى عليه وتوسع له [2] . وفضلاً عن ذلك كان للحكم المستنصر طائفة من الموظفين يتصيدون له كل ما هو جديد من العلم في المشرق الإسلامي حتى يقال انه اشترى من ابي فرج الاصفهاني [3] نسخة من كتابه (الاغاني) قبل ان يخرجه للناس بألف دينار من الذهب العين [4] ونتيجة لذلك اجتمع لديه من نفائس الكتب في مختلف العلوم ما لم يجتمع لأحد قبله ولكثرتها قام الحكم بإنشاء مكتبة كبيرة على مقربة من القصر الخلافي في الزهراء وذكر ابن حزم [5] ان عدد فهارس الكتب التي كانت فيها تقدر بـ (٤٤) فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين فقط وقد اشاد احد المستشرقون بجهود الحكم العلمية بالقول: (لم يحكم اسبانياً يوماً من الايام حاكم على هذه الدرجة من العلم، نعم ان كل من جاؤوا قبله من أمراء الأندلس وخلفائها كانوا رجالاً ذوي علم وولع بجمع الكتب ولكن احداً منهم لم يطلب الكتب القيمة والنادرة بهذه الهمة)[6].

لم يكن الحكم المستنصر مشجعاً للعلم فقط بل هو نفسه كان عالماً وله دراية كبيرة في شتى المعارف والعلوم كالفقه واللغة والادب ولكن بروزه كان بعلم الانساب بصورة خاصة وبلغ فيه من الدقة والاتقان حداً جعله حجة يستشهد به علماء الأندلس [7] وقد الف في هذا

---

(١) الحميدي: جذوة المقتبس، ص٩٧؛ ابن الابار: ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٥٨هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تصحيح عزت العطار الحسيني، (القاهرة-١٩٥٦)، ٣٦٦/١. وينظر: بدر : الحياة الفكرية، ص١١٤؛ الكبيسي ، تشجيع الحكم، ص١٥٣.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ، ٢٥٢/٢.

(٣) هو ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد يتصل نسبه بمروان بن محمد اخر خلفاء بني امية بالمشرق اصبهاني الاصل بغدادي المنشأ ولد سنة ٢٨٤هـ توفي سنة ٣٥٦هـ في بغداد وله تصانيف كثيرة بعثها سراً الى الخليفة الحكم مثل (كتاب نسب بني عبد شمس-ايام العرب- التعديل والانتصاف) ونال جزاءها سراً من الحكم . ينظر : ابن خلكان : شمس الدين احمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق : احسان عباس: دار صادر، (بيروت-١٩٧٧)، ٣٠٨/٣-٣٠٩.

(٤) ابن الابار: الحلة السيراء، ٢٠١/١.

(٥) جمهرة انساب العرب، ص١٠٠.

(٦) بالنثيا : انخل حنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة : حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة-١٩٥٥)، ص١٠.

(٧) لقد اعتمده ابن الفرضي مصدراً في تصنيفه لكتابه تاريخ علماء الأندلس . ينظر : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٣٥٤/١ . وينظر : ابو صالح ، وائل : جهود الحكم المستنصر في تطور الحركة العلمية في الأندلس ، بحث منشور في مجلة دراسات اندلسية ، (عدد ٦)، تونس-١٩٩١ ، ص٤٣ .

المجال تصانيف منها كتاب (أنساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب) كان مرجعاً استعان به معظم الذين ارخوا لعلماء الأندلس [1] وفي عهده نرى الانفتاح على دراسات وعلوم كان محذوراً التعامل معها لا سيما الفلسفة وعلم الكلام مما كان رائدهما في الأندلس محمد بن مسرة القرطبي [2] ، وكان الخليفة الناصر يقاوم الفلسفة ويتتبع اصحابها بالعقاب فاصدر مرسوماً عاماً سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م) [3] يدين فيه الفلاسفة واتباع ابن مسرة لأنه عدّ الخوض في الامور الفلسفية يؤدي الى انقسامات مذهبية في الأندلس [4] .

ومن جليل اعمال الحكم المستنصر إنشاؤه كتاتيب في قرطبة لتعليم اولاد الفقراء والمعوزين بالمجان ثم جعل للمعلمين المشرفين على هذه الكتاتيب مرتباً ثابتاً يعينهم فيها على معايشهم وفي هذا الصدد يشير ابن عذارى [5] : (من مستحسنات افعاله وطيبات اعماله اتخاذه المؤدبين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع وبكل ربض من ارباض قرطبة واجرى عليهم المرتبات) .

---

(١) المقري : نفح الطيب ، ٣٣٢/٣ . وينظر ، ابو صالح : جهود الحكم ، ص٣٧ .

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة من اهل قرطبة وبها ولد سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م ودرس على يد علماء عصره المشهورين لا سيما ابن وضاح والخشني لكنه جاهر ببعض الآراء الدينية والفلسفية المتطرفة فاتهم بالزندقة فغادر الأندلس فاراً الى المشرق وانفق هناك بضعة اعوام وتفقه على يد المعتزلة والكلاميين واهل الجدل ثم عاد الى الأندلس وهو يخفي آراءه الفلسفية تحت ستار النسك والورع وكان ذلك بداية عصر الناصر فاختلف اليه الطلاب من كل حدب وصوب وكان يستهويهم بغزير علمه حتى التف حوله الكثيرون واختلف الناس في امر ابن مسرة فمنهم من يرتفع به الى مرتبة الامامة في العلم والزهد والورع ومنهم من يتهمه بالزندقة وترويج البدع والانحراف عن مبادئ الدين الصحيحة ، توفي ابن مسرة بقرطبة سنة ٣١٩هـ/٩٣١م وشيع الى قبره باحترام من خصومه واجلال من اتباعه ينظر : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس، ٤١/٢-٤٢ . الحميدي : جذوة المقتبس ، ص٥٨ ، بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص٣٢٦-٣٣٠ . عنان : دولة الإسلام ، ٤٣١/٢ . مؤنس : حسين : شيوخ العصر في الأندلس ، الدار المصرية للطباعة ، (القاهرة – ١٩٦٥) ، ص٦٣-٦٤ ، هلال : قرطبة في التاريخ ، ص١٢٤-١٢٥ ، سالم : عبد العزيز : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، دار النهضة العربية (بيروت – ١٩٧٢) ، ٢١٦/٢-٢١٨ ، صادق ، جعفر حسن : الرحلات العلمية من الأندلس الى المشرق في عصر الإمارة ، رسالة ماجستير غير منشورة، (الموصل –١٩٨٥) ، ص١٣٦-١٤٩ .

(٣) ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٢٦/٥-٢٨ . وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٤٣٢/٢ . حمادة : الوثائق السياسية، ص١٧٥-١٧٦ .

(٤) الوزاد ، محمد : حضور مذهب ابن مسرة في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري ، بحث منشور في مجلة كلية الاداب ، جامعة فاس ، العدد (٧) لسنة ١٩٨٣ ، ص١١٩ .

(٥) البيان المغرب ، ٢٤٠/٢ .

وفي نهاية حكمه اصيب الحكم المستنصر بشلل اقعده عن الخــروج والحركــة فلــزم فراشه وتولى تدبير شؤون دولته اثناء مرضه الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ثم ما لبــث ان توفي الحكم في الثاني من شهر صفر سنة ٣٦٦هــ/الاول من تــشرين الاول مــن ســنة ٩٧٦م(1) .

(1) تذكر معظم الروايات ان وفاة الحكم المستنصر في هذا التاريخ . ينظر : ابن القرضي : تاريخ علماء الأنــدلس ، ص٧ ، الذهبي : العبر ، ١٢٤/٢ ، ابن الابار : الحلة السيراء ، ١٠١/٢ ، المقري : نفح الطيب، ١٨٥/١ . وينفرد ابن عذاري في قوله ان وفاة الحكم كانت في الثالث من رمضان سنة ٣٦٦هــ . ينظر: البيان المغرب ، ٢٥٣/٢ .

الفصل الثاني

نشأة الممالك الإسبانية الشمالية

الفصل الثاني

نشأة الممالك الإسبانية الشمالية

أولاً- قيام الممالك الإسبانية في شمال الأندلس

كان قيام الممالك الإسبانية في الشمال أحد اخطر التحديات السياسية التي واجهت الدولة العربية الإسلامية في الأندلس منذ قيامها حتى آخر لحظة من حياتها بل كانت السبب الأول في سقوطها إلى جانب أسباب أخرى . فبعد ان أتم المسلمون بقيادة الوالي موسى بن نصير [1] والقائد طارق بن زياد [2] فتح معظم أجزاء الأندلس خلال المدة (٩٣-٩٥هـ/٧١١-٧١٤م) وصلوا إلى المناطق الشمالية والشمالية الغربية لا سيما إقليم استوريش في جليقية [3] التي تسميها المصادر العربية (الصخرة) [4] والتي لم يتم فتحها وكان من أسباب عدم فتح هذه المنطقة على ما يبدو:

---

(١) هو موسى بن نصير اللخمي من أهم القادة المسلمين الذين وجهتهم الخلافة الأموية إلى الغرب ولد سنة ١٩هـ في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وتقلب في بعض المناصب العسكرية والإدارية المهمة قبل ان يُعهد له بولاية المغرب وقاد بعض الحملات البحرية من عصر معاوية بن ابي سفيان ولي المغرب سنة ٨٦هـ وقد ابدى براعة في حكم هذا الاقليم ودخل الأندلس سنة ٩٣هـ/٧١١م وكان له فيها فتوحات مشهورة مذكورة في كتب المؤرخين وتوفي في دمشق سنة ٩٧هـ ينظر : ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ) ، فتوح مصر واخبارها ، مطبعة بريل (ليدن – ١٩٣٠)،ص٢٠٣-٢١٣ ، وينظر : عنان محمد عبد الله ، تراجم إسلامية (شرقية واندلسية) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، (القاهرة – ١٩٧٠) ، ص١٢٥-١٣٨ .

(٢) هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو يتصل نسبه بقبيلة نفزة البربرية كان مولى موسى بن نصير وشاركه معاركه في المغرب وأظهر براعة لذا اختاره موسى لحكم طنجة وكانت اكثر بقاع المغرب اضطراباً وعلى يديه فتحت الأندلس سنة ٩٢هـ . ينظر : ابن عذاري : البيان المغرب ، ٤٣/١ . الذهبي: تاريخ الإسلام ، ٣٩٣/٦ وينظر : عنان : تراجم إسلامية ، ص١٣١ .

(٣) جليقية : اقليم واسع من اقاليم دولة القوط يقع في الجهة الشمالية الغربية من البلاد ويمتد من نهر دويرة جنوباً حتى خليج بسكونية شمالاً يمتاز هذا الاقليم بشدة حصانته ووعورة اراضيه ينظر : البكري : جغرافية الأندلس ، ص٧١ . الحموي : معجم البلدان ، ١٥٧/٢ . الحميري : الروض المعطار ، ص١٦٨.

(٤) مجهول : اخبار مجموعة ، ص٣٥؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٩/٢ . وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٣٠٧/١ . السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم ، ص١٣٢ . طه : عبدالواحد ذنون : دراسات اندلسية ، دار الكتب للطباعة، (الموصل -١٩٨٦) ، ص١٥٦.

١- طبيعة منطقة الصخرة الجغرافية حيث أنها منطقة وعرة جرداء تمتاز بمراكزها الدفاعية الكثيرة التي تصلح للمعارك الحربية [1] .

٢- كان من أسباب عدم إتمام الفتح – إن لم يكن من أهمها – استدعاء القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق من الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) [٢] لقد قدرت المصادر عدد القوط الذين تحصنوا بهذه المنطقة بثلاثين رجلاً وعشر نسوة[3] .

وقد تركزت فلول القوط بعد هزيمتهم ومقتل ملكهم لذريق في واقعة وادي البرباط سنة (٩٢هـ/٧١١م) في مكانين رئيسيين الأول في هضاب كانتبريا في الشرق والثاني في هضاب استوريش في الغرب وقد تزعم الجماعة الأولى الدوق بطرة أو بتروس (Pedro) الذي ينتمي إلى أحد الأصول القوطية النبيلة فقد كان من قادة الجيش القوطي في عهد الملك القوطي ويتزا (غيطشة) (٧٠١-٧١٠م) وعهد خلفه الملك رودريك (لذريق) (٧١٠-٧١١م) إلا أن هذه الإمارة لم تكن مهمة ونادراً ما كانت تشكل خطراً [4] فقد كانت هدفاً سهلاً للقوات الإسلامية الذاهبة إلى بلاد الإفرنج [5] .

---

[١] عنان : محمد عبد الله : الاثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، مؤسسة الخانجي ، (القاهرة -١٩٦١) ، ص٦٦ ، عباس : فائزة حمزة : التحديات الخارجية للاندلس في عصر الإمارة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (الموصل-٢٠٠١)،ص٤٩.

[٢] كان سبب استدعاء القائدين موسى وطارق الى دمشق ما نميّ الى الخليفة الوليد من خلاف موسى وطارق في الأندلس وخوفه من ان ينتهي هذا الخلاف بتفريق كلمة المسلمين في تلك البلاد النائية فضلاً عن تخوفه من مشروع موسى بن نصير الذي يرمي الى اختراق اوربا بجيشه القوي وان يصل الى الشام عن طريق القسطنطينية وهذا المشروع في حال كان صحيحاً سيعرض المسلمين الى خطر كبير في تلك البلاد البعيدة جداً عن مركز الخلافة الاموية في دمشق ينظر : ابن خلدون : العبر ، ١١٧/٤ . وينظر : عنان : تراجم إسلامية ، ص١٣٤ ، الصوفي : خالد : تاريخ العرب في الأندلس ، دار النجار للطباعة ، (بيروت – ١٩٧١)، ١٤٤/١-١٤٥ .

[٣] مجهول : اخبار مجموعة ، ص٣٥ وينظر Lean – pool , op. Cit , p.114

[٤] El- Hajji , A.A.,Andalusian Diplomatic Relations with westren Europe During the Umayyad Period , (Beirut – 1970) , P.39 .

[٥] بلاد الافرنج : هي بلاد الغال او (غاليس او غالة) وتقع خلف جبال البرتات التي تفصل الأندلس عن اوربا وكانت تطلق على القسم الجنوبي من فرنسا الحالية وقد استعملت هذه التسمية لتدل في بعض الاحيان على الامبراطورية الرومانية ايام شارلمان . ينظر : البكري : جغرافية الأندلس ، ص١٤٣-١٤٥ ، القزويني ، آثار البلاد ، ص٩٨ .

أما المجموعة الثانية فالتفت حول زعيم آخر هو بلايو أو بلاجيوس وتعرفه المصادر العربية باسم بلاي [1] أو بتسمية (أحد علوج النصارى) [2] ويلف اصل هذه الشخصية الغموض لكنه على الأرجح ينتمي إلى اصل قوطي نبيل وتقول بعض الروايات انه كان ابناً للدوق فافيلا دوق كنتبرية [3] وهو الذي قتل الملك وتيزا (غيطشة) لذا كان مقرباً من الملك اللاحق رودريك (لذريق) وقد وقع بلاي في اسر المسلمين وسجن في قرطبة لكنه تمكن من الفرار في زمن والي الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنة (٩٨هـ/٧١٨م) واتجه إلى منطقة اشتوريس واخذ يتنقل في هذه المنطقة واستقر في مدينة كانجاس إحدى مدن جليقية حيث التف حوله نفر من القوط الهاربين من المسلمين والايبريين والرومان المقيمين في هذه المنطقة فأخذ يحرضهم على الوثوب بالمسلمين ويعيب عليهم التراجع والاستسلام [4] فابتدأ بلاي مع اتباعه مقاومتهم عام (٩٨هـ/٧١٨م) وقد حاول بعض الولاة المسلمين في الأندلس التصدي لهذه التجمعات الإسبانية وذلك بعد أن نمت وازداد خطرها وبدأت تعتدي على المسلمين المجاورين لأماكن تجمعها مستغلة انشغال المسلمين بنزعاتهم الداخلية ، ففي عهد الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي (٩٨-١٠٠هـ/٧١٨-٧٢٠م) انطلقت حملة إلى الشمال لإخضاع هذه الشراذم واجتاحت بلاد البشكنس [5] وهضاب اشتوريش واصطحبت هذه الحملة الكونت اوباس [6] ليقنع بلاي بالتسليم والكف عن الاعتداء على المسلمين لكن بلاي واتباعه

---

[1] مجهول ، اخبار مجموعة ، ص٣٥ . ابن خلدون : العبر ، ١٧٩/٤ . المقري : نفح الطيب ١٧/٣ وينظر:
Provencal , Op. Cit. , Vol.1 , p.66.

[2] علوج ومفرده العلج وهو صفة للرجل الضخم الابله الذي لم يمارس اسباب الحضارة كان العرب يطلقونه على الأعاجم لا سيما الذين لا يعترفون بسلطان او سلطة ينظر : ابن منظور : محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٩٧) ، ٣٢٦/٢ .

[3] ابن خلدون : العبر ، ١٧٩/٤ وينظر :
T.B.Trend , the civilization of Spain , (London – 1967) , P.31 .

[4] ابن خلدون : العبر ، ١٧٩/٤ .

[5] بلاد البشكنس او بسكونية : وتشمل الاقاليم الممتدة من غرب جبال البرتات حتى شرق اشتوريش بمحاذاة شاطئ خليج بسكونية وتشمل مقاطعة نافار وعاصمتها بنبلونة وبسكاية ينظر : البكري : جغرافية الأندلس، ص٧٩. وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ١١١/١ .

[6] هو الاسقف اوباس او اوبة ابن الملك غيطشة وقد تحالف مع العرب المسلمين منذ الفتح انتقاماً من الملك لذريق لقتله اباه غيطشة فعينه المسلمون بعد الفتح حاكماً لطليطلة . ينظر : ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٣٠ . وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٦٠/١ .

فضلوا عدم الاستسلام وتحصنوا بمغاورهم المنيعة التي حالت بينهم وبين المسلمين فعادت هذه الحملة دون أي نتيجة حاسمة [1] .

كما سارت حملة أخرى بقيادة الوالي عقبة بن الحجاج السلولي (١١٦-١٢٣هـ/٧٣٤-٧٤١م) إلى جليقية [2] معقل الفلول الإسبانية وقد عرف عن هذا الوالي ورعه وحبه الشديد للجهاد في سبيل الله [3] فاقتحم عقبة بجيشه هذه المناطق سنة (١١٨هـ/٧٣٦م)

واسترد منهم بعض المواقع التي سبق أن استولوا عليها من قبل مستغلين سوء أوضاع المسلمين لا سيما بعد خسارتهم المفجعة في بلاط الشهداء واستشهاد الوالي عبد الرحمن الغافقي سنة (١١٤هـ/٧٣٢م) [4].

وتشير بعض الروايات النصرانية إلى أن بلاي وجماعته قد حققوا نصراً كبيراً على المسلمين سنة (١٠٤هـ/٧٢٢م) حينما أرسل الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي (١٠٣-١٠٧هـ/٧٢١-٧٢٥م) حملة لسحق العصاة النصارى في الشمال بقيادة القائد علقمة اللخمي وقد بالغت هذه الروايات في تصوير هذه الحادثة فجعلتها أشبه بالفتح الذي تم بإرادة القوى الإلهية[5] وقد عرفت هذه الموقعة عندهم باسم كوفا دونجا الشهيرة وعدّوها تاريخاً حاسماً أثارت حماسة النصارى لمواصلة الكفاح ضد العرب المسلمين وبداية الحركة المسماة بحركة الاسترداد (La Recon quista) [٦] ، أما مصادرنا الإسلامية فقد أشارت إلى بلاي هذا والى مقاومته للمسلمين ولكن إشارتها كانت موجزة فابن حيان يذكر بداية نشأة الممالك النصرانية لاسيما جليقية بقوله (انه في أيامه – أي أيام عنبسة بن سحيم الكلبي -قام بجليقية علج خبيث يدعى بلاي فعاب على العلوج طول الفرار واذكى قرائحهم حتى سما بهم إلى طلب الثأر ودافع عن أرضه ومن وقته اخذ نصارى الأندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم من أرضهم

---

[١] ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٥/٢ . مجهول : اخبار مجموعة ، ص٢٨. وينظر : عنان : دولة الإسلام، ٢١١/١.

[٢] مجهول : اخبار مجموعة ، ص٣٤ .

[٣] مجهول : المصدر نفسه ، ص٣٣ .

[٤] ابن الاثير: الكامل، ٧٤/٥؛ ابن خلدون: العبر، ١١٩/٤، فيما تضع بعض المصادر تاريخ وفاته عام ١١٥هـ/٧٣٣م. ينظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٣١٧؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص٢٥٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٧/٢.

[٥] لورد: دورثي: اسبانيا شعبها وارضها، تر: طارق فودة، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة-١٩٦٥)، ص٥٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٣٣. وينظر : Trend, Op.Cit., p.32.

[٦] مؤنس: حسين : فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة، (القاهرة-١٩٥٩)، ص٣١٠.

والحماية عن حريمهم، وقد كانوا لا يطعمون في ذلك)[1]. مما يفهم منه أن بلاي كان رجلاً شجاعاً هاله تراجع قومه المستمر أمام المسلمين ويحدد دور بلاي بأنه واضع الأساس لحركة الاسترداد وصاحب الفضل الأول فيها[2]، ويقول صاحب فتح الأندلس[3] . (وقام علج خبيث من أعيانهم في أيام عنبسة بأرض جليقة اسمه بلايه بن فافلة على من كان يملك أطراف جهته من العرب فنفاهم عنها فملك سنتين...) وهي رواية مختصرة ولكنها تقرر أن بلاي كان مستقلاً بناحيته عن المسلمين ثم ثار على من بأطراف هذه الناحية من العرب فهزمهم وطردهم عنها[4].

ومن هنا نرى أن المصادر النصرانية هي الوحيدة التي تذكر موقعة كوفادونجا وتبالغ في تقدير نتائجها في حين ان مصادرنا الإسلامية لا تحدثنا عنها وفي تقديرنا أن هذه المعركة – إن حدثت حقاً- فإنها لا تعدو أن تكون جولة مسلحة بين المسلمين وهذه الفلول الإسبانية ربحتها هذه الفلول وقد ساعدتهم في هذا الظفر حصانة المواقع المتمركزين فيها في الشمال. وحالة الانقسام التي أصابت المسلمين التي امتدت (١١٨-١٣٨هـ/٧٣٦-٧٥٦م) والتي كانت فرصة ذهبية للأسبان في الشمال استثمروها في بناء وتقوية ممالكهم الناشئة فيما كانت وبالاً على المسلمين لأنها شهدت حروبهم وانقساماتهم على أنفسهم فكانت هذه المرحلة مرحلة الحرب الأهلية التي شغلت العرب المسلمين عن متابعة نشاط هذه الإمارات والحد منه فنمت وكبرت وأصبحت قوة يحسب حسابها وكانت بداية هذه الحرب تمرد البربر على العرب الذي اشتعلت شرارته في المغرب ثم انتقلت عدواه إلى الأندلس[5]، وبعد إخماد هذا التمرد تبعته

---

(١) رواه المقري عن ابن حيان في نفح الطيب، ٩/٢-١٠.

(٢) مؤنس: فجر الأندلس، ص٣٢٥.

(٣) مؤلف مجهول: فتح الأندلس، نشر : دون خواكين دي جونثالث، (الجزائر-١٨٨٩)، ص٢٦.

(٤) مؤنس: المرجع السابق، ص٣٢٧.

(٥) وهي الفتنة التي حدثت في عهد الوالي عبد الملك بن قطن الفهري سنة ١٢٢هـ حينما تمرد البربر على العرب في الاقاليم الشمالية من الأندلس لاسيما جليقية ووماردة وقورية وطلبيرة – اسوة باخوانهم البربر في المغرب حين تمردوا على العرب وقتلوا كلثوم بن عياض قائد الجيش الاموي- ووصل تمرد البربر ذروته وكادوا يستولون على قرطبة لولا ان عبد الملك اتصل بالقوة الشامية المحاصرة في سبتة بقيادة بلج ابن بشر القشيري نتيجة لضغط البربر عليهم هناك فاستطاعا معاً القضاء على تمرد البربر في الأندلس، ينظر: ابن عذارى: البيان المغرب ٣٠/٢-٣١؛ المقري: نفح الطيب، ٥٣/٢.

فترة من الصراع بين القبائل اليمنية والقيسية[(1)] ثم ختمت هذه الفترة بالصراع بين يوسف الفهري[(2)] والصميل[(3)] من جهة والأمير عبد الرحمن الداخل من جهة أخرى انتهت بمعركة المسارة سنة (١٣٨هـ/٧٥٦م) وتربع الأمير عبد الرحمن الداخل على عرش الأندلس مؤسساً إمارة أموية مستقلة .

فابتدأ نشاط الممالك الإسبانية الشمالية في أوائل القرن الثاني الهجري/القرن الثامن الميلادي حيث التف العديد من الاتباع حول بلاي واختاروه ملكاً عليهم وكان ذلك إيذاناً بميلاد اشتوريش النصرانية فقد وجد بلاي ان الفرصة سانحة لتوطيد سلطانه في المناطق الجبلية بعد انشغال العرب بمشاكلهم الداخلية كما ذكرنا ، كما ان معظم سكان المناطق الجبلية المصاقبة لمناطق نفوذ بلاي كانوا من البربر[(4)] الذين كانوا في حالة تمرد دائم مما جعل الأسبان

---

(١) بدأت هذه الفتنة منذ دخول بلج بن بشر الأندلس سنة ١٢٣هـ الذي كان يطمح الى سيادة الأندلس فناصب عبد الملك بن قطن العداء ثم اقدم على خلعه مما اثار احقاد اليمانية فانظموا الى ابنيه (امية وقطن) اللذين ارادا الانتقام من بلج واتباعه من القيسية لقتله اباهما فانقسمت الأندلس بين يمنية وقيسية واشتعلت الحرب بينهما واستمرت هذه الفتنة حتى دخول عبد الرحمن الداخل الأندلس سنة ١٣٨هـ، ينظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢٢٠-٢٢١، دوزي: رينهارد، تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة : حسن حبشي، دار المعارف، (القاهرة-د.ت)، ١٦/١٥٤-١٦٥، عنان، دولة الإسلام، ١٢٢-١٢٦.

(٢) هو يوسف بن عبد الرحمن بن ابي عبدة بن عقبة بن نافع الفهري، كان فارساً شجاعاً وخطيباً مفوهاً تولى حكم الأندلس سنة ١٢٩هـ وكان توليه حكم الأندلس بمثابة حسم للمنازعات بين القيسية واليمنية ، توفي سنة ١٤٢ هـ. ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ٣٤٧/٢-٣٥٠؛ عنان: دولة الإسلام، ١٢٨/١.

(٣) هو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي وقد دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري وكان جواداً شجاعاً جسوراً وقد بلغ بهذه الصفات ما بلغ وساد في الأندلس وأصبح من رجالها المعدودين. ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ٦٧/١.

(٤) كان البربر هم الغالبية الساحقة في جيش طارق بن زياد كذلك كانوا باعداد لابأس بها في جيش موسى ابن نصير يضاف الى ذلك الاعداد الكبيرة منهم الذين عبروا الى الأندلس بعد سماعهم بانتصار طارق على القوط الغربيين فسكن معظهم في المناطق الجبلية في الشمال وكان استقرارهم واستقرار العرب في الاماكن التي نزلوها لاول مرة يخضع لعامل الصدفة لا غير على الرغم من ان بعض الباحثين يلقي بتبعة استقرار البربر في هذه المناطق الجبلية الجرداء على العرب المسلمين لان البربر-حسب زعمهم- لم يكن لديهم الخيار لان العرب اختصوا لانفسهم باكثر الجهات خصباً ويزعمون أن العرب انفسهم هم الذين قرروا وحددوا اماكن استقرار البربر في الأندلس وانهم -أي العرب- لم يكونوا عادلين في تقسيمهم للاراضي بين هؤلاء البربر فقد اقطعوهم الاراضي الجدباء في ليون وغاليسية واشتوريش حيث وقع عليهم عبء مكافحة النصارى الذين لم يكن من اليسير فل شوكتهم، حول هذا الموضوع ينظر: سالم، تاريخ المسلمين واثارهم ، ص١٢٣، طه، الفتح والاستقرار العربي، ص٢٧١، دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ١٥٧/١. Provencal, Op.Cit., Vol. I, p.87.

يستغلون ذلك ويعملون على طردهم من أراضيهم في الشمال بالتعاون مع أبناء جلدتهم من النصارى.

واستمر بلاي في حكم إمارة جليقية (اشتوريش) حتى وفاته التي اكد ابن خلدون[1] بانها كانت سنة (١٣٣هـ/٧٤٩م) وخلفه على العرش ابنه فافيلا الذي لم يطل أمد حكمه سوى عامين إذ توفي سنة (١٣٥هـ/٧٥٢م)[2] ولم يعقب وريثاً. وفي هذا الوقت نفسه مات الدوق بيدرو (بطرة) دوق كانتابريا وخلفه على العرش ابنه الفونسو وكانت إمارة كانتربا قد قويت واشتد ساعدها وأقامت مع جليقية أواصر التحالف بتزويج أميرها الفونسو من ابنه بلاي المدعوة ارموزندة[3].

ولما كان فافيلا لم يعقب ولداً فقد اختير صهره الفوسو خلفاً له على عرش جليقية فاتحدت المملكتان وتكونت منهما مملكة واحدة هي مملكة ليون النصرانية أو مملكة جليقية[4] تمتد من بلاد البشكنس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً[5].

عمل الفونسو الأول الملقب بالكاثوليكي[6] على توسيع مملكة ليون واستطاع إزاحة المسلمين الذين كانوا يسكنون غاليسية واستورقة[7] وعين الفونسو الأول أخاه فرويلا حاكماً على مقاطعة كانتابريا فهاجم فرويلا بعض الأراضي الإسلامية وخربها وقد استغل الفونسو انشغال الوالي يوسف الفهري بإخماد الفتن الداخلية واستولى على مدينة لك[8].سنة

---

(١) ابن خلدون: العبر، ١٧٩/٤. وينظر: الحجي، عبد الرحمن علي: تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، (بيروت-١٨٧٦)، ص٢٧٠ واندلسيات، ٤٢/٢؛ طه: دراسات اندلسية، ص١٥٨.
Provencal, Op.Cit., Vol. 1, p. 68.

(٢) ابن خلدون: العبر، ١٧٩/٤.

(٣) عنان: دولة الإسلام، ٢١٢/١ ؛ الحجي: اندلسيات، ٤٢/٢؛ طه: دراسات اندلسية، ص١٥٨؛ السامرائي واخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٣٤.

(٤) ابن خلدون: العبر، ١٧٩/٤. وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٢١٣/١.
Provencal, Op.Cit, Vol.I, p.68, EL-Haiji, Op.Cit, p.47.

(٥) عن حدود مملكة جليقية، ينظر: خارطة رقم (٢).

(٦) ابن خلدون : العبر، ١٧٩/٤. وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٢١٣/١، طه : دراسات اندلسية، ص١٥٨.

(٧) مجهول: اخبار مجموعة، ص٦٢ وينظر : عنان: دولة الإسلام، ٢١٤/١؛ الحجي: اندلسيات، ٤٣/٢.

(٨) لك: مدينة من اعمال محص البلوط في الشمال الغربي للاندلس على ربوة مرتفعة من الارض كانت من اوائل المدن التي خرجت من ايدي المسلمين، ينظر : الحموي، معجم البلدان، ٢٢/٥؛ ارسلان، الحلل السندسية، ٥٩/٢.

(١٣٧هـ/٧٥٤م) [1] وكانت الطريقة التي يتعامل بها الأسبان مع أهالي المناطق التي يستولون عليها في غاية العنف والقسوة ومن ذلك يقول لين بو [2](كانت حروب المسيحيين نقمة وسوط عذاب على أعدائهم فقد كانوا جفاة أميين وكانت اخلاقهم على اتساق مع أميتهم وما كان يتوقع من هؤلاء الجفاة المتوحشين الا التعصب والقسوة فإنهم لم يؤمنوا مستجيراً ولم يتركوا فاراً ولم يبقوا على جريح وهذا يذكرنا والحزن ملء صدورنا بما كان للعرب من بطولة ورفق وسماحة خلق ... في حين نرى اليوم رجال ليون وقشتالة العتاة يذبحون جميع رجال الحاميات ويستأصلون مدناً مليئة بالقطان حتى اذا نجا احد من سيفهم لم ينج من استعبادهم)، واستمر الفونسو الأول بالتعاون مع أخيه فرويلة بمتابعة جهوده لتوسيع مملكة ليون حتى وفاته سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م)[3].

والى الشرق من مملكة جليقية (ليون) قامت مملكة نصرانية أخرى هي مملكة نافار أو نبرة وتسميها الروايات العربية باسم إمارة بنبلونه[4] وتقع هذه المملكة إلى الجنوب الغربي من جبال البرتات وسكانها هم من البشكنس وكانت هذه المملكة تابعة ادارياً لأمراء ليون وعاصمة هذه المملكة هي بنبلونة[5] وقد حاول أمراء ليون مراراً ضم مملكة نافار إلى أملاكهم كلياً لكنهم لم يستطيعوا لتفاني أهلها في الدفاع عن استقلالهم[6].

وفضلاً عن هاتين المملكتين فقد نشأت مملكة أخرى خلف القلاع والحصون التي أقامتها ليون في الشمال لتحمي نفسها من المسلمين هي مملكة قشتالة أو (بردوليا) أو (البة والقلاع) كما يسميها العرب المسلمون[7] وتسميتها تدلنا انها مجموعة قلاع متناثرة يحكمها

---

(١) عنان: دولة الإسلام، ٢١٤/١.

(٢) Lean-pool: Op.Cit., p.119.

(٣) الحجي: تاريخ الأندلس، ص٢٧١ واندلسيات، ٤٣/٢.

(٤) ابن حيان: المقتبس، تح: المكي، ١٦/٢؛ ابن خلدون: العبر، ١٤١/٤.

(٥) بنبلونه: مدينة حصينة احدثها الرومان ثم استولى عليها القوط ثم العرب لكن العرب لم تطل مدة بقائهم فيها لان اهلها كانوا عتاة وشديدي المقاومة للمسلمين وتقع بنبلونه على الضفة اليمنى لاحد فروع نهر ايبرو بينها وبين سرقسطة (٢٥٠) كم، ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص١٠٤؛ ارسلان : الحلل السندسية، ١١٤/٢ .

(٦) عنان: دولة الإسلام، ٣٦٤/٣-٣٦٥؛ طه: دراسات اندلسية، ص١٦٠؛ السامرائي واخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٣٦؛ عباس: التحديات الخارجية، ص٥٩.

(٧) ابن الابار: الحلة السيراء، ١٣٥/١، ينظر : العبادي، احمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (الاسكندرية-١٩٦٨)، ص٤١؛ عنان، دولة الإسلام، ١٨٣/٣؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص١٣٦.

نبلاء كل منهم مسؤول عن حماية ممتلكاته لكنها من الناحية الاسمية كانت تابعة لأمراء مملكة ليون النصرانية وكانت عاصمتها مدينة برغش[1].

لقد كانت العلاقات بين هذه الإمارات النصرانية الثلاثة تتذبذب بين السلم والحرب حسب مصالح حكامها ومطامعهم فنراها تتقارب عندما تحس بخطر المسلمين يقترب منها فيما نجدها في حالة حرب فيما بينها عند تضارب مصالح حكامها مع بعضها وقد يلجأ معه بعض أمراء هذه الممالك إلى التحالف مع المسلمين والاستعانة بهم ضد الأمراء الآخرين[2].

ومما تقدم يمكن إجمال أسباب قيام هذه الممالك النصرانية التي مثلت خطراً حقيقياً عانت منه الدولة العربية في الأندلس في جميع أدوارها بما يأتي:

١- طموح قادة هذه الممالك وتصميمهم على استعادة ما فقدوه من أراضٍ ومحاولة توسيع حدود ممالكهم الصغيرة على حساب المسلمين بدعم وإسناد من أمراء وملوك أوربا الذين أفزعهم الخطر الإسلامي مما دفعهم إلى دعم هذه الممالك لتكون أشبه بخط دفاع متقدم يحميهم من المسلمين.

٢- الخصائص الموقعية للمنطقة التي أقام بها هؤلاء ممالكهم التي امتازت بالحصانة والبعد عن مركز السلطة المركزية في قرطبة .

٣- استهانة الفاتحين الأوائل بهذه الشرذمة القليلة من اتباع بلاي وعدم التعامل معهم بشكل حازم أعطى لهؤلاء الفرصة لتكوين الدول والإمارات وأصبحت من القوة بحيث أقدمت على مقاومة النفوذ العربي الإسلامي في الأندلس .

٤- إهمال الولاة الذين أتوا بعد موسى بن نصير وطارق بن زياد أمر هذه التجمعات الناشئة وعدّ ما يقومون به من اعتداء على مدن الأندلس بمثابة مناورات عسكرية لا تلبث ان تزول.

٥- اضطراب الوضع السياسي في الأندلس في المدة التي صاحبت قيام هذه الممالك ومرد ذلك الاضطراب يعود إلى أمور عدة منها قصر مدة حكم ولاة الأندلس فان عدد الولاة الذين تولوا أمر الأندلس كانوا حوالي (٢٢) والياً حكم اثنين منهم مرتين[3] ومعنى ذلك ان

---

(١) برغش: مدينة كبيرة منقسمة الى قسمين يفصلهما نهر وهي حصينة منيعة ذات اسوار تقع بالقرب من مدينة ليون، ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٨٨.

(٢) الجحي: اندلسيات، ٢/٥٤؛ طه: دراسات اندلسية، ص١٦٢.

(٣) كان ذلك الوالي عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي حكم الأندلس للمرة الأولى سنة ١٠٢هـ ثم عزل بعد سنة واحدة ثم تولى امر الأندلس ثانية سنة ١١٢هـ وبقي حاكمها حتى استشهاده في معركة بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ وكذلك الحال مع الوالي عبد الملك بن قطن، ينظر: ابن عذاري: البيان الغرب، ٢٣/٢.

متوسط حكم الوالي اقل من سنتين وهذا وحده يكفي لإعطائنا فكرة عن عــدم الاســتقرار الذي ساد الأندلس خلال تلك المدة . كما ان اضطراب السياسة العامة للدولة الأموية بعــد وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة (٩٦هــ/٧١٥م) ووقوعها فريسة للعصبيات القبليــة كان لابد ان يكون له أثره في الأندلس كما كان له اثره في كافة انحــاء الدولــة العربيــة الإسلامية[1]

٦- من حسن طالع هذه الممالك انه رافقت نشوءها ظروف سياسية صعبة مر بها المــسلمون في الأندلس فالتمردات والفتن والحروب الأهلية التي قامت بين العرب البلدانيين والعــرب الشاميين وخلافات هؤلاء جميعاً مع البربر ساهم وبشكل فعال في تفعيل دور هذه الممالك وهيأت لها الجو المناسب لتطوير ملكاتها الحربية وتوسيع ممالكها على حساب المسلمين.

ثانياً- نشاط الممالك الإسبانية خلال المدة (١٣٨-٣٠٠هــ/٧٥٥-٩١٢م)

أ- سياسة عبد الرحمن الداخل تجاه إسبانيا الشمالية (١٣٨-١٧٢هــ/٧٥٥-٧٨٨م)

انشغل الأمير عبد الرحمن الداخل بعد انتزاعه الأندلس من يوســف الفهــري بقمــع التمردات العديدة التي قامت ضد حكمه واستنفد قمعها كل جهد منه وطاقة انعكس ذلك بــشكل جلي على سياسته تجاه الممالك الإسبانية التي استغلت ذلك واندفعت وتوسعت علــى حــساب المسلمين.

كان قد تولى حكم جليقة الملك فرويلا الأول بعد وفاة والده الفونسو الكاثوليكي فابتــدأ حكمه بالهجوم على الأراضي الإسلامية وعبر نهر دويرة[2] واستولى على مدن عديــدة منهــا

---

(١) مؤنس : حسين: موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة- د.ت)، ٢٨/١.

(٢) نهر دويرة: نهر من انهار الأندلس ينبع من المنطقة الجبلية الواقعة في منطقة سرية التابعة لمقاطعة قشتالة شمال الأندلس ويصب في المحيط الاطلسي وعلى مصبه تقع مدينة برتقال او (بورتو) التي توصف بانهــا قاعدة مهمة من قواعد غرب الأندلس تمتاز بتحصناتها المنيعة واسوارها الكبيرة ، ينظــر: ابــن حيــان: المقتبس، تح: المكي، ٢/التعليقات والحواشي، ص٦٥٥؛ عنان، الاثار الندلسية، ص٣٩٥.

(لـــك) التـــي ســـبق ان غزاهـــا أبـــوه ســـنة ١٣٨/٧٥٤م وســـموره[1] وشقوبية[2] وغيرها وضمها إلى مملكته سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م)[3].

ولتجنب المزيد من الخسائر وافق الأمير عبد الرحمن الداخل علـى عقـد هدنـة أو معاهدة سلام لمدة خمسة أعوام مع مملكة جليقية ليأمن كل منهما جانـب الآخـر فـي سـنة (١٤٢هـ/٧٥٩م)[4] وكان نص الكتاب : (بسم الله الرحمن الرحيم كتاب أمان الأمير الكـريم والملك المعظم عبد الرحمن الأول للبطارقة والرهبان والأعيان والنصارى والأندلـسيين أهـل قشتالة ومن تبعهم من سائر البلدان كتاب امان وسلام وشهد على نفسه ان عهده لا ينـسخ مـا أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب وعشرة آلاف رطل من الفضة وعـشرة آلاف من خيار الخيل ومثلها من البغال مع ألف درع والف بيضة ومثلها من الرماح في كل عام إلى خمس سنين)[5].

يشير الكتاب إلى ان الاتفاق قد تم بين أهل قشتالة والأمير عبد الرحمن وقشتالة كانـت تابعة إدارياً لمملكة جليقية لذا نلاحظ ان التنازلات التي وافق على تقديمها فـرويلا الأول فـي هذه المعاهدة كانت بسبب ضغط الثورات التي كانت تحيق بعرشـه فـأراد ان يـأمن جانـب المسلمين ليتفرغ إلى مشاكله الداخلية[6].

---

(١) سمورة: مدينة تقع فوق مرتفع صخري على الضفة اليمنى لنهر دويرة سقطت بايـدي النـصارى سـنة ١٤٠هـ ثم فتحها المسلمون ثانية ، ينظر: الاصطغري: ابـراهيم بـن محمـد (ت٣٤٦هـ): المـسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، (القاهرة-١٩٦١)، ص٣٦؛ الحموي: معجم البلدان، ٢٥٥/٣.

(٢) شقوبية: مدينة من مدن قشتالة تقع على سفح وادي الرمله بينها وبين طليطلة ١٩٨ كم لـم تبـق بايـدي المسلمين الا مدة قصيرة ثم استولى عليها النصارى سنة ١٤٠هـ، ينظر: الحميري: الـروض المعطـار، ص٣٥٠؛ ارسلان، الحلل السندسية، ٣٦٠/١.

(٣) ابن خلدون: العبر، ١٢٢/٤؛ المقري: نفح الطيب، ٣٣٠/١.

(٤) Provencal, Op.Cit., Vol.I. p.116.

وينظر كذلك : الصوفي : تاريخ العرب في الأندلس، ٨٧/٢-٨٨؛ الدوري: ابراهيم ياس خضر: عبد الرحمن الداخل في الأندلس، دار الحرية للطباعة، (بغداد-١٩٨٢)، ص١٩٧-١٩٨.

(٥) الحجي: اندلسيات، ٦٣/٢-٦٤؛ حمادة: الوثائق السياسية والادارية في الأندلس، ص١٣٤ وينظر ايضاً: Provencal, Op.Cit., Vol.I. p.116-117.

(٦) كان فرويلا طاغية شديد البطش ولم يكن حكمه موفقاً فكثرت في عهده الثورات ففي جليقية الغربية قامـت ثورة ضده اخمدها بعد جهد كبير وقامت في نافار ثورة أخرى مما دفعه الى قمعها بشدة فاجتـاح نافـار بعنف وعاث في ارضها وكان مسرفاً في الانتقام والسفك قتل كثيراً من افراد اسرته حتى انه قتل أخاه بيده لذا كان الشعب يبغضه بسبب قسوته ، ينظر: عنان، دولة الإسلام، ٢١٧/١-٢١٨.

وبعد ان وطد سلطته داخل دولته وحال انقضاء أمد المعاهدة بدأ عبد الرحمن الداخل بتسيير عدة حملات عسكرية تجاه الممالك الإسبانية في الشمال ففي سنة (١٤٨هـ/٧٦٦م) فأرسل بعض قواده إلى الشمال على رأس قوة كبيرة فسارت حتى حدود جليقية واشتبكت مع النصارى والعصاة في عدة مواقع وعادت مثقلة بالغنائم والأسرى[1].

وفي سنة (١٥٠هـ/٧٦٨م) جهز عبد الرحمن جيشاً واسند قيادته إلى مولاه بدر وسيره إلى البة والقلاع (قشتالة) فتوغل فيها وأرغمها على أداء الجزية وقبض على الكثير من العصاة في تلك الأنحاء[2].

ويورد لنا المستشرق برفنسال نبأ موقعة كبيرة وقعت بين المسلمين والنصارى في مدينة مونتومو من أعمال جليقية بقيادة فرويلا سنة (١٥٧هـ/٧٧٣م) هزم فيها المسلمون وقتل منهم عدد كبير[3] فيما لم تشر الروايات العربية إلى موقعة بمثل هذه الخطورة لاسيما في هذا التاريخ الذي كان عبد الرحمن مشتبكاً فيه مع المتمرد شقيا البربري[4] في معارك أخذت كل جهوده وموارده.

وفي سنة (١٥٩هـ/٧٧٥م) اغتيل فرويلا وكان ابنه الفونسو الثاني صغيراً فانقسمت المملكة إلى قسمين انحازت الأغلبية إلى اورليوس اوارولي وهو ابن لفرويلا وأخ للملك الفونسو الأول (الكاثوليكي)[5] فقد حكم الولايات الشرقية (بسكونية –نافار) حيث كان يحكم ابوه من قبل فيما انحازت جليقية الغربية إلى شيلو اوشيلون الذي هو صهر للملك الفونسو الكاثوليكي زوج ابنته اروزندا[6].

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ٥٤/٢ وينظر : عنان: دولة الإسلام، ٢١٦/١؛ الدوري: عبد الرحمن الداخل، ص٢٠٠.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ٥٦/٢؛ المقري: نفح الطيب، ١٥٦/١ وينظر : عنان: دولة الإسلام، ٢٨١/١؛ الدوري: عبد الرحمن الداخل، ص٢٠١.

(٣) Provencal, Op.Cit., Vol.I. p.115.

(٤) هو شقيا بن عبد الواحد من قبيلة مكناسة البربرية تمرد في مدينة شنت برية شرقي الأندلس سنة ١٥١هـ/٧٦٨م وادعى انه فاطمي النسب فالتف حوله العديد من البربر واستمرت ثورته عشر سنوات حتى تم للأمير قتله بالتعاون مع احد زعماء البربر في شنتبرية سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م. ينظر: مجهول: اخبار مجموعة، ص١٠٧. وينظر : السامرائي واخرون: تاريخ العرب، ص١١٣؛ الدوري، عبد الرحمن، ص١١٥.

(٥) EL-Hajji, Op.Cit., p.41.

(٦) عنان: دولة الإسلام، ٢١٨/١.

هنا سعى اورليوس إلى محالفة المسلمين إتقاء لخطر الملك الافرنجي شارلمان حينما هاجم بلاد الشكنس مقر حكم اورليوس وهو في طريقه إلى سرقسطة[1] لذا لم تقع حروب بين المسلمين والنصارى في هذه المدة لانشغال الطرفين بشؤونه الداخلية حتى وفاة اورليوس سنة (١٦٥هـ/٧٨١م)[2] فاختار البشكس شيلو مكانه لان الفونسو بن فرويلة الأول لا يزال طفلاً فاتحدت مملكة جليقية مرة أخرى.

استمر شيلون ملكاً على جليقية حتى وفاته سنة (١٦٨هـ/٧٨٤م)[3] من غير ان يترك ذرية فأوصى بالعرش للفونسو ابن فرويلا تحت وصاية زوجته اروزندا لكن الأشراف وغالبية الشعب رفضوا ان يحكمهم طفل وامرأة فثارت ضد حكمهما ثورة قادها مورجات اومورقاط[4] فاستولى على جليقية الغربية واتخذ من برافيا عاصمة له في حين التجأ الفونسو إلى مدينة البة حيث يوجد أخواله من البشكنس للاحتماء بهم[٥].

وقد عزز مورقاط مركزه بالتحالف مع العرب المسلمين مما دفع الحزب المناصر للفونسو الثاني إلى التحالف مع الإفرنج أعداء المسلمين نكاية به. لقد كان رجال الدين والنصارى المتعصبون يبغضون مورقاط ويثيرون الشعب عليه لانه بالغ في التودد إلى المسلمين والتقرب إليهم ولأنه يمت اليهم بصلة الدم بواسطة أمه العربية لكنه على الرغم من ذلك استطاع ان يحكم مملكته الصغيرة حتى وفاته في سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م)[6].

مما سبق نرى ان الأمير عبد الرحمن الداخل لم يرسل حملات كبرى إلى الشمال الإسباني تتناسب والخطر الذي تشكله هذه الممالك للاندلس وربما كان السبب هو انشغاله

---

(١) قام شارلمان بالتوجه الى الأندلس سنة ١٦٢هـ وذلك تنفيذاً للاتفاق الذي بينه وبين زعماء سرقسطه سليمان بن يقضان الكلبي والحسين بن يحيى الانصاري اللذين ثارا على عبد الرحمن الداخل واستنجدوا بملك الافرنج شارلمان ووعداه بتسليم سرقسطه له ان هو ساعدهما في قتال عبد الرحمن وبالفعل قدم المساعدة وقاد جيشاً بنفسه وصل به إلى سرقسطة لكن احد الزعيمين وهو حسين الانصاري رفض تسليم المدينة له. ينظر : ابن خلدون: العبر، ٢٦٩/٤ وينظر : السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٢٥.

(٢) يضع ابن الاثير وفاة اورليوس في عام ١٥٨هـ ينظر: الكامل، ٣٥/٦.

(٣) ابن خلدون: العبر، ١٨٠/٤ وينظر : عنان: دولة الإسلام، ٢١٨/١؛ الدوري: عبد الرحمن الداخل، ص٢٠١.

(٤) هو ابن غير شرعي للفونسو الأول من جارية عربية : ينظر: عنان: دولة الإسلام، ٢١٩/١.

(٥) عنان: دولة الإسلام، ٢١٨/١-٢١٩؛ الحجي: اندلسيات، ٤٤/٢.

(٦) El-Hajji, Op.Cit., p.42, Provencal, Op.Cit., Vol.I. p.117.

بإخماد التمردات الداخلية الكثيرة التي اجتاحت حكمه واخذت الكثير من وقته وجهده[1] كما أن إمكانات الإمارة الأندلسية قد أصبحت محدودة بعد انفصالها عن الخلافة الإسلامية فأصبحت تعتمد على إمكانات وموارد محدودة لا تستطيع معها ان تقوم بحملات كبيرة[2] .

ب - سياسة خلفاء عبد الرحمن الداخل تجاه الممالك الإسبانية في الشمال (١٧٢-٣٠٠هـ/٧٨٨-٩١٢م)

تولى الأمير هشام الحكم بعد وفاة والده عبد الرحمن الداخل سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م) وتشيد المصادر بعدله وورعه[3] مما انعكس على سياسته تجاه الأعداء فقد كان مكثراً من جهادهم وحماية ثغور المسلمين وتأمينها[٤] .

من جانب آخر اختار الجلالقة بعد وفاة مورقاط الأمير برمند أو برمودو بن فرويلا واخا اورليوس الذي كان حاكماً لإمارة البشكنس من قبل لكن برمند لم يحكم على ما يبدو الا القسم الغربي من جليقية.[5]

فأبتدأ الأمير هشام حملاته ضد نصارى الشمال سنة (١٧٥هـ/٧٩١م) حيث وجه إليهم حملة بقيادة القائد أبي عثمان عبيد الله بن عثمان[6] الذي التقى بجيوش العدو وتمكن من هزيمتهم وأهلك منهم ما يقرب من تسعة آلاف مقاتل.[7]

---

(١) عن التمردات في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل راجع: عنان: دولة الإسلام، ١/١٥٥-١٦٤ والسامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٠٩-١١٤ والدوري : عبد الرحمن الداخل، ص٩٩-١٣٠.

(٢) الدوري: عبد الرحمن الداخل، ص٢٠٣.

(٣) ابن الاثير: الكامل، ١٤٨/٦، ابن عذاري: البيان المغرب، ٩١/٢. وينظر: الصوفي: تاريخ العرب، ١١٠/٢.

(٤) مجهول: اخبار مجموعة، ١٢٠.

(٥) الحجي: اندلسيات، ٤٥/٢.

(٦) هو اول من تولى منصب الوزارة لعبد الرحمن الداخل وجمع له بين الوزارة والكتابة لمكانته ونجدته ونصرته فهو احد زعماء الموالي الاموية في جند البيرة الذين ناصروا الأمير عبد الرحمن الداخل ومهدوا له امر دخول الأندلس وتملكها . ينظر: ابن حيان: المقتبس، تح: المكي ، ٥٣٠/٢، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٦، المقري: نفح الطيب، ٤٣/٤-٤٥ .

(٧) ابن الاثير: الكامل، ١٢٣/٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٦٣/٢؛ ابن خلدون: العبر، ١٣٤/٤.

وفي العام نفسه أرسل هشام حملة أخرى إلى جليقية بقيادة الحاجب يوسف بن بخت[1] والتقى بقوات الملك برمند الأول واشتبك معه في معركة من اشد المعارك كان الظفر فيها للجيش الإسلامي وقتل فيها ما لا يقل عن عشرة آلاف من الجلالقة[2] وعلى اثر هذه الهزيمة تنازل برمند عن العرش للفونسو الثاني بن فرويلا ولجأ إلى عزلة الدير.[3]

ثم تولى الفونسو الثاني الملقب بالعفيف حكم مملكة جليقية عام (١٧٥هـ/٧٩١م) وكان ملكاً حازماً مقداماً ضبط المملكة ونهض بها نهضة شاملة وحصن ثغورها وقواعدها وعمل على تحسين وضعها الاجتماعي واتخذ من مدينة اوفييدوا[4] عاصمة له[5] .

تلقى الملك الفونسو الثاني ضربة مؤلمة حين وجه إليه الأمير هشام حملة قوية بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث[6] سنة (١٧٦هـ/٧٩٢م) دمرت ما صادفته في طريقها من تحصينات وحققت انتصاراً على قواته.[7] واستمر يكيل له الضربات ففي ربيع سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م) سير الأمير هشام إلى جليقية حملة أخرى بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد ابن مغيث أخي عبد الملك فاخترق المسلمون مغاور جليقية حتى مدينة استرقة في أقصى الشمال ففر السكان النصارى إلى رؤوس الجبال وتأهب الفونسو ملك جليقية للقاء المسلمين

---

(١) ابو الحجاج يوسف بن بخت الفارسي مولى عبد الملك بن مروان دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري سنة ١٢٣هـ وكان من رؤساء الموالي في البيرة وكان من القائمين بامر الداخل قبل عبوره الى الأندلس حيث اخذ له البيعة من جندرية ومالقة وبعد عبور الداخل للاندلس انزله في منزله في قرية طرش لذلك عهد اليه الداخل بالحجابة بعد ذلك وكان يستخلفه في قصر قرطبة عند غيابه ولما ولي هشام الإمارة ابقى يوسف حاجباً له وكان من القادة المجربين في الحروب . ينظر: ابن حيان: المقتبس، تح: المكي ، ٤٥٣/٢، مجهول: اخبار مجموعة، ص٦٦-٦٧، ابن الابار: الحلة السيراء، ٣٧٥/٢.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ٩٥/٢ . وينظر: الصوفي : تاريخ العرب، ١٢١/٢.

(٣) عنان: دولة الإسلام، ٢٢٣/١، الحجي : اندلسيات، ٤٥/٢ .

(٤) اوفييدو أو اوبيط كما تسميها المصادر الإسلامية مدينة تقع الى الغرب من بلاد البشكنس وتمتد حتى خليج بسكونية شمال اسبانيا. ينظر: ارسلان: الحلل السندسية، ٥٨/٢.

(٥) عنان: دولة الإسلام، ٣٥٤/١ . وينظر Provencal, op. Cit., vol.1 p. 143 .

(٦) من اكابر رجال الدولة الاموية في الأندلس وهو حفيد مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك واخو الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد وقد كان عبد الملك من قواد الصوائف في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن. ينظر: ابن الابار: الحلة السيراء، ١٣٥/١.

(٧) ابن الاثير: الكامل، ١٢٣/٦، ابن خلدون: العبر، ١٢٥/٤. وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٢٢٣/١. .Provencal, op. Cit., Vol.I, p. 143.

على رأس جيش من الجلالقة وحلفائهم البشكنس ونشب القتال بين الفريقين بقاصية جليقية في المكان المعروف بـ(الصخرة) وانتصر الجلالقة في البداية في بعض الوقائع المحلية وقتل جماعة من المسلمين في كمين دبر لهم لكن النصارى هزموا في النهاية وعاث المسلمون في جليقية وأصابوا الكثير من الغنائم.[1] وقد توفي الأمير هشام سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م) فتولى الحكم بعده الأمير الحكم الذي ابتدأ حكمه بإرسال حملة تأديبية إلى قشتاله (ألبة والقلاع) بقيادة الحاجب عبد الكريم بن مغيث وكانت حملة مقتصرة على الفرسان ليتاح لها التحرك بسهولة في تلك الأرض الوعرة فتوغل القائد بالجيش في عمق الأراضي القشتالية دون مقاومة تذكر ثم عاد أدراجه بعد تخريب عدد من الحصون والقلاع فيها.[2]

مرت بعد ذلك خمس سنوات شغل الحكم خلالها بالتمردات الداخلية وكانت إسبانيا الشمالية تستغل أوضاع الأندلس لتشن عدوانها عليها فوجدت الفرصة سانحة عندما تمكن ملك الإفرنج شارلمان من الاستيلاء على مدينة برشلونة[3] سنة (١٨٥هـ/٨٠١م)[4] فعبر الملك الفونسو نهر دويرة وتوغل في أراضي المسلمين وعاث فيها قتلاً ونهبا وكانت حملاته موجهة بالأخص نحو أطراف الثغر الأدنى لبعدها عن مركز حكومة قرطبة وضعف وسائل الدفاع فيها. وقد حاول حاكم طليطلة عمروس بن يوسف[5] التصدي لمحاولات الأسبان العدوانية فقاد حملة عسكرية توغلت في جليقية وناورت قوات الأسبان لكنها لم تحقق أية نتيجة حاسمة.[6]

استمر الملك الفونسو الثاني بالتحرش بالأراضي الإسلامية في الأندلس مما جعل الحكم يقود حملة عسكرية بنفسه سنة (١٩٤هـ/٨١٠م) إلى أراضي جليقية ووصلت إلى مدينة

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب، ٦٦/٢؛ ابن خلدون: العبر، ١٢٥/٤ . وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٢٢٥/١.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ٦٩/٢ . وينظر: بيضون، الدولة العربية، ص٢٢٣.

- Provencal, op. Cit., Vol.I p.174.

(٣) برشلونة: مدينة قديمة البناء تقع على البحر المتوسط بينها وبين طركونة ١٠٢ كم لها ميناء وسوق وربض واكثر سكانها يهود. ينظر:البكري: جغرافية الأندلس، ص٩٦.

(٤) ابن الاثير: الكامل، ١٤٩/٦ . وينظر: السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص٢٤٠.

(٥) كان عمروس بن يوسف مولداً من اهل وشقه ذا وجاهة وبأس اظهر طاعة الحكم ودعا له خلافاً لكثير من زعماء الثغر الخوارج فسر الحكم منه ودعاه الى خدمته واختاره للقيادة ثم اختاره لولاية طليطلة وهو صاحب موقعة الحفرة سنة ١٩١هـ/٨٠٧م حيث قتل الخارجون في طليطلة. ينظر: ابن خلدون: العبر، ١٢٦/٤. وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٢٣٧/١ .

(٦) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٢٨.

وادي الحجارة[1] غرباً واثخن في تلك الأنحاء وهزم النصارى في عدة وقائع وغنم وسبى جموعاً كثيرة مما ادى إلى اطمئنان نفوس المسلمين في مناطق الثغر الأدنى وردع النصارى.[2]

كانت آخر حملة قام بها الحكم في الشمال الإسباني سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م) اذ سير الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى جليقية في جيش ضخم وكان الجلالقة وحلفاؤهم البشكنس ما يزالون على عدوانهم وعبثهم بالأراضي الإسلامية المجاورة فتوغل المسلمون في أراضي جليقية ونشبت بينهم وبين النصارى موقعة شديدة على ضفاف نهر ارون استمرت عدة أيام وانتهت بهزيمة النصارى وقتل عدد كبير منهم ووقع في الأسر جماعة من أمرائهم وأكابرهم وعاد الحاجب إلى قرطبة ظافراً.[3] لقد عملت هذه الغزوة على تحجيم تحركات النصارى في الشمال فلم تحدثنا المصادر عن اية غزوة قام بها الحكم حتى وفاته بعد ست سنوات من تاريخها ثم تولى الحكم بعده ابنه الأمير عبد الرحمن الثاني سنة (٢٠٦هـ/٨٢٢م) وقد سار هذا الأمير على سنة آبائه وأجداده في التصدي لأطماع الممالك الإسبانية ورد هجماتها عن الأراضي الأندلسية الإسلامية.

بدأ الأمير عبد الرحمن الثاني برنامجه في الجهاد مبكراً فبعث في سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م) حملة طرقت مدن قشتالة بقيادة الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث رداً على الهجوم الذي قام به الملك الفونسو الثاني على مدينة سالم[4] ثم اتجه الحاجب نحو أراضي ليون حيث احرق حصونها وفرض عليهم ان يدفعوا جزية كبيرة وان يطلقوا سراح أسرى المسلمين لديهم ثم عاد إلى قرطبة مثقلاً بالغنائم والسبي وكانت هذه الصائفة آخر حملة قادها الحاجب عبد الكريم اذ توفي في محرم من سنة (٢٠٩هـ/٨٢٤م)[5] تبعت هذه الحملة حملتان الأولى سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م) فتحت خلالها حصون عديدة في أراضي جليقية منها

---

[١] وتعرف بمدينة فرج وهي بين الشمال والشرق من قرطبة بينها وبين طليطلة ١٢٦كم . ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٦٠٦.

[٢] ابن عذاري: البيان المغرب، ٧٥/٢ .

[٣] ابن عذاري: البيان المغرب، ٧٥/٢ . وينظر: بيضون، الدولة العربية، ص٢٣٦.

[٤] مدينة سالم تقع على الطريق بين مجريط وسرقسطة تبعد عن مجريط(مدريد) حوالي ١٣٥كم تقع الى الشمال منها كانت من اهم ثغور الأندلس ولها قلعة منيعة وكانت مركزاً عسكرياً منيعاً. ينظر : الحميري: الروض المعطار، ص١٦٣. وينظر: ارسلان: الحلل السندسية، ٨١/١-٨٢.

[٥] ابن عذاري: البيان المغرب، ٨٤/٢، المقري: نفح الطيب، ١٦١/١ . وينظر: عنان:دولة الإسلام، ٢٥٣/١.

حصن القلعة[1] والثانية حدثت في عام (٢١٢هـ/٨٢٧م) وصلت خلالها الجيوش العربية إلى برشلونة[2].

ونتيجة لهذا النشاط الحربي المتواصل من جانب حكومة قرطبة بدأت سياسة إسبانيا الشمالية تأخذ منحى آخر حيث عملت على تأييد الثوار والمتمردين وإيوائهم لتزيد من اضطرام الأوضاع الداخلية في الأندلس ولتشغل حكومة قرطبة بها وينفسح الطريق أمامها للاستيلاء على المزيد من أراضي الأندلس الإسلامية فوجد الملك الفونسو الثاني الفرصة سانحة عندما لجأ إليه المتمرد محمود بن عبد الجبار بمدينة ماردة بعد أن قاتله الأمير عبد الرحمن الأوسط فرحب به الفونسو الثاني واكرم وفادته ورأى فيه سلاحاً يمكن استعماله ضد حكومة قرطبة وأقام عنده خمسة أعوام لكن المتمرد ثاب إلى الطاعة وبعث إلى الأمير عبد الرحمن يطلب منه الصفح فلما علم الفونسو بذلك أرسل إليه من يقتله سنة (٢٢٥هـ/٨٤٠م).[3]

وفي السنة نفسها قاد الأمير عبد الرحمن بنفسه حملة إلى جليقية التي تعدّ أقوى منافس للمسلمين في الأندلس فافتتح فيها عدداً من الحصون وغنم وسبى وعاد إلى قرطبة.[4]

وفي زمن الأمير عبد الرحمن ظهرت مملكة نافار أو بلاد البشكنس في الساحة السياسية قوة يحسب حسابها فبعد ان كانت تحكم من ملوك جليقية أصبحت بمجيء غرسية اينجر بن انيجو اريستا، التي تسميه الروايات الإسلامية بـ(ونقه بن سانجة ملك البشاكسة)[5] مملكة مستقلة يتلقب أمراؤها بلقب الملوكية وكانت سياسة هذه المملكة تجاه حكومة قرطبة سياسة عدائية فقد عملت على تشجيع المارقين كبني قسي الذين يمتون إلى ملوكها بصلة النسب على التمرد ففي سنة (٢٢٧هـ/٨٤٢م) بدأ موسى بن قسي تمرده على حكومة قرطبة واتصل بشكل مكشوف بملوك النصارى لا سيما غرسية بن ونقه أمير نافار[6] فقرر الأمير

---

[١] ابن الاثير: الكامل، ٤٠٠/٦ .

[٢] ابن الاثير: المصدر نفسه، ٤٠٨/٦.

[٣] ابن الاثير:الكامل، ٤١١/٦؛ ابن سعيد المغربي: المغرب، ٤٨/١. وينظر : الحجي: اندلسيات، ١٢٤/٢-١٢٥.

[٤] ابن عذاري: البيان المغرب، ٨٥/٢ ؛ ابن خلدون: العبر، ١٢٨/٤. وينظر: الصوفي: تاريخ العرب، ٢٠٣/٢.

[٥] ابن حزم: جمهرة الانساب، ص٤٦٧-٤٦٨ ، ابن الاثير: الكامل ، ٢٦٨/٥-٢٦٩، ابن عذاري: البيان المغرب، ٩٧/٢.

[٦] العذري: نصوص عن الأندلس، ص٦٢. وينظر: الحجي: اندلسيات، ١١٢/٢.

عبد الرحمن الأوسط الخروج بنفسه إلى الثغر الأعلى سنة (٢٢٨هـ/٨٤٣م) للقضاء على هذا التحالف واستطاع دحر القوات المتحالفة وفي اثر هذه الهزيمة جاء وفد من النافار يطلب الصلح من حكومة قرطبة، ويبدو ان تحالف موسى بن قسي مع النصارى في الشمال كان ذا أهمية كبيرة فقد هاجموا بعض مدن الثغر الأعلى واسروا الكثير من أهلها ولا سيما من مدينة وشقة لذلك جاء في شروط الصلح مع النافار ان يردوا ما بقي عندهم من سبي وشقة وان يؤدي أمير نافار جزية سنوية قدرها (٧٠٠) دينار[1] اما موسى بن قسي فقد جنح إلى السلم وتصالح مع حكومة قرطبة[2] .

أما مملكة ليون فقد توفي ملكها الفونسو الثاني سنة (٢٢٨هـ/٨٤٢م) وتولى الحكم بعده ابنه رأميرو الأول الذي حكم لمدة ثماني سنوات قضى قسماً منها بإخماد الثورات التي قامت ضد حكمه[3] في حين كانت الإمارة الأموية مشغولة برد هجوم النورمان وغاراتهم المدمرة على الشواطئ الأندلسية سنة (٢٢٨هـ/٨٤٢م) وتحصين أطراف المملكة وإصلاح ما تخرب من اعمالها[4] لذلك لم تكن هناك أية حملات موجهة ضد ليون في هذه المدة وانفق رأميرو بقية عهده القصير بالعمل على تنظيم شؤون المملكة وتوطيد الأمن فيها وأنشأ عدداً من الكنائس والأديرة حتى توفي سنة (٢٣٥هـ/٨٤٩م)[5] .

وخلفه على العرش ابنه اردونيو الأول [6] وبدأ أعماله بتحصين المدن المتاخمة لحدود المسلمين مثل ليون واسترقة واصلح باقي القلاع والحصون تأهباً للدفاع[7] .

لما ظهرت أعراض تمرد المولدين في الأندلس في عهد الأمير محمد الذي خلف أباه عبد الرحمن على عرش الإمارة سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م)[8] وقامت طليطلة بتمردها على حكومة قرطبة أرسل اردونيو مدداً إلى المتمردين بقيادة اخيه الكونت غاتون[9] لكن جيش

---

(١) العذري: المصدر نفسه، ص٣٠ ، ابن الاثير : الكامل، ١٦٧/٦ ، ابن عذاري: البيان المغرب، ٨٨/٢.

(٢) السامرائي: خليل ابراهيم : الثغر الاعلى الأندلسي، مطبعة اسعد، (بغداد-١٩٧٦)،ص٣٤٦.

(٣) عنان : دولة الإسلام ، ٣٥٥/١ .

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ٨٩/٢ . وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٢٦١/١.

(٥) ابن الاثير: الكامل ، ٥١/٧ . وينظر : عنان : دولة الإسلام، ٣٥٦/١.

(٦) ابن حيان: المقتبس، تح: المكي ، ٦/٢.

(٧) عنان: دولة الإسلام، ٣٥٦/١ .

(٨) ابن حيان: المقتبس، تح: المكي ، ١٢/٢، ابن عذاري: البيان المغرب، ١٢٢/٢، وينظر: الصوفي: تاريخ العرب، ١٦٩/٢.

(٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ٩٧/٢، ابن خلدون: العبر، ١٣٠/٤.

الأندلس هزم المتمردين وحلفاءهم النصارى في موقعة وادي سليط[1] سنة (٢٤٠هـ/٨٥٤م) وقتل منهم مقتلة عظيمة تقدرها المصادر الإسلامية بأحد عشر ألفاً واسر منهم عدداً كبيراً بينهم الكثير من القساوسة وقد اعدموا على الفور[2] .

وفي صيف سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م) سار الأمير محمد بنفسه إلى البة والقلاع وحشد لهذه الغزوة الكثير من جند الثغور وافتتح العديد من حصونها.[3]

شغلت الإمارة الأندلسية بعد ذلك بالنورمان الذين عاودوا غزوهم للأندلس سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م)[4] فتوقف سير الصوائف إلى الشمال بضعة أعوام ولكن اردونيوكان يواجه عندئذٍ خطر قوة جديدة أخذت تنمو وتشتد في الولايات الشمالية تلك هي قوة موسى بن موسى ابن قسي الذي استطاع ان يبسط سلطانه على الثغر الأعلى والذي ناصب اردونيو العداء يعاضده في ذلك صهره غرسية ملك نافار واستمر النزاع بينهما قائماً حتى تم لاردونيو قتل موسى القسوي مع صهره غرسية في معركة شديدة عرفت باسم معركة البلدة سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م).[5]

بعد التخلص من خطر موسى استغل اردونيو الوضع الداخلي المتردي للأندلس وكثرة التمردات فعبر نهر دويره بقواته وغزا مدينة قورية[6] واسر واليها ثم غزا مدينة شلمنقة[7] فسير إليه الأمير محمد جيشاً بقيادة ابنه الأمير المنذر فاخترق البة والقلاع وهزم النصارى ووصل حتى حدود بنبلونة[8] وتوالت حملات الأندلس على البة والقلاع ونشبت بين المسلمين

---

(١) وادي سليط: يقع الى الغرب من مدينة طليطلة، ينظر: ابن حيان: المقتبس، تح: المكي ، ٥٩٠/٢.

(٢) ابن حيان: المقتبس، تح: المكي ، ٢٩٧/٢ ، ابن عذاري: البيان المغرب، ٩٧/٢ . وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٢٨٥/١.

(٣) ابن حيان: المصدر نفسه، ٣٠٤/٢ . وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٢٩٠/١ .

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ١٤٥/٢ ، ابن خلدون: العبر، ١٣٠/٤ . وينظر : الصوفي: تاريخ العرب، ٢٦٥/٢ .

(٥) ابن حيان: المقتبس، تح: المكي، ٣١٨/٢. وينظر: عنان: دولة الإسلام،٣٥٧/١، الحجي: اندلسيات، ٥٣/٢.

(٦) قورية: مدينة من مدن كورة ماردة تقع على ضفاف نهر تاجة في منتصف الطريق بين بلاد المسلمين وسمورة بالقرب من ماردة بينها وبين قنطرة السيف مرحلتان . ينظر: الحموي: معجم البلدان، ١٨٢/٥ ، الحميري: الروض المعطار، ص٤٨٥.

(٧) مدينة شلمنقة: مدينة من اعمال قلعة رباح تقع على الضفة اليمنى لنهر دويرة بالقرب من مدينة شقوبية. ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٣٤٤.

(٨) ابن حيان: المقتبس، تح المكي ، ٣١٩/٢ . وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٢٩٩/١.

وقوات اردونيو وقائع ومعارك متعاقبة هزم فيها النصارى جميعاً[1] ولزم بعدها الملك اردونيو السكينة بقية عهده حتى توفي في عام (٢٥٢هـ/٨٦٦م) وخلفه ابنه الفونسو الثالث الذي واجه أثناء حكمه ثورات كثيرة ومؤامرات داخلية عديدة لكنه نجح في إخماد جميعها[2].

يعد حكم الفونسو الثالث الذي دام أربعاً وأربعين سنة[3] فاتحة عهد جديد من القوة والنهوض للمملكة النصرانية أما الإمارة الأموية خلال المدة (٢٥٠-٣٠٠هـ/٨٦٤-٩١٢م) فكانت تمر بأحلك فترات حياتها إذ شملت التمردات معظم مدن الأندلس ولم يكن لحكومة قرطبة من سلطان يذكر خارج العاصمة قرطبة.[4]

فاستغل الفونسو الثالث هذا الوضع استغلالاً جيداً فجعل من مملكته مأوى أو ملجأ لكل خارج أو مارق على السلطة المركزية كالمتمرد عبد الرحمن بن مروان الجليقي وأمده أثناء حربه مع الإمارة سنة (٢٦٢هـ/٨٧٦م) بالعدة والعدد.[5]

أما في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) فقد تفاقمت الأوضاع الداخلية ووصلت التمردات والفتن ذروتها فوجد الملك الفونسو الثالث فرصته السانحة ليوسع مملكته وأقدم على الاستيلاء على مدينة سمورة سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) وحصنها واسكنها النصارى واتخذها قاعدة للإغارة على الأراضي الإسلامية.[6] ولم تستطع حكومة قرطبة ان تفعل شيئاً حيال ذلك فآثرت الصمت حيناً لكن ذلك لم يعنِ ان الأندلس خلت ممن يقوم بعبء المقاومة فقد تحمل بعض الزعماء المستقلين هذا العبء أمثال محمد بن عبد الملك بن الطويل حاكم وشقة الذي قاد العديد من الحملات التي استهدفت النصارى في عقر دارهم[7] كذلك كان لبني قسي دورهم في هذه المقاومة فقد قاد لب بن محمد القسوي حملة سنة (٢٩٠هـ/٩٠٣م) استهدفت ارض ليون واستولت على بعض حصونها[8] ومن الزعماء الآخرين الذين جابهوا النصارى في هذه المدة احمد بن معاوية بن محمد المعروف بالقط الذي

---

(١) ابن حيان: المقتبس، تح: المكي ، ٣١٨/٢-٣١٩ .

(٢) El-Hajji, op. cit., p. 44

(٣) عنان: دولة الإسلام، ٣٥٨/١ .

(٤) عن هذه التمردات ينظر الفصل الأول.

(٥) ابن حيان: المقتبس، تح: المكي ، ٣٥٠/٢. وينظر : الحجي: اندلسيات، ١١٧/٢.

(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ١٢٧/٢.

(٧) العذري : نصوص عن الأندلس ، ص٥٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ١٤٦/٢.

(٨) ابن عذاري : البيان المغرب، ١٤٥/٢ . وينظر: عنان: دولة الإسلام : ٣٤٢/١.

يتصل نسبه بهشام بن معاوية الأموي الذي دعا لنفسه بين البربر في طليطلة وأعلن الجهاد وقصد مدينة سمورة ودعا الفونسو الثالث للإسلام فلما رفض اشتبك معه في معركة عنيفة قرب سمورة لكن اتباعه من البربر خذلوه في ميدان المعركة وولوا هاربين فقتل محتسباً في الميدان سنة (٢٨٨هـ/٩٠١م) وتفرق اتباعه بعد مقتله.[1]

وبسبب كثرة المؤامرات التي دبرت ضد الملك الفونسو الثالث التي كانت تهدف إلى خلعه ارتأى الفونسو ان يقسم مملكته بين أولاده الثلاثة فتنازل عن العرش لولده الأكبر غرسية وعين ابنه الثاني اردزنيو حاكماً لجليقية وجعل فرويلا حاكماً لاشتوريس سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م) ثم لم يلبث ان توفي في السنة نفسها.[2]

ومما تقدم يمكن إعطاء فكرة عامة عن ظروف نشأة هذه الممالك الإسبانية في العصر الأموي وطبيعة العلاقة بين حكامها والمسلمين بالأندلس، فقد كانت هناك في هذه المدة ثلاث ممالك إضافة إلى إمارة برشلونة أقواها مملكة جليقية أو اشتوريش ثم مملكة نافار(نبارة) ومملكة قشتالة ولم تكن أحوال هذه الممالك مستقرة دائماً فكثيراً ما كانت تقوم الخصومات على السلطة في المملكة ذاتها سواء بين أفراد العائلة المالكة أو من الأشراف أو النبلاء الذين يطمحون إلى الاستقلال بمقاطعاتهم فأحياناً كانت تقوم دولة داخل الدولة على عكس التنظيم السياسي للأندلس الذي حرص على سلامة السلطة المركزية[3] فيما كانت علاقات هذه الدويلات ببعضها تتراوح بين السلم والحرب حسب مصالحها وهمة حكامها أو مطامعهم ولم تكن دوافع السلم أو التقارب موضوعية بل أحياناً نفعية أو لمواجهة الدولة العربية الإسلامية وقد كان للسبب الأخير تأثير كبير في تاريخ هذه الممالك وكثيراً ما كان دافعاً لها لان تتوحد في عدة مناسبات[4] يضاف لذلك ان سوء الأحوال الداخلية لهذه الممالك كثيراً ما كانت تفرض على حكامها عقد السلم والمهادنة مع الدولة العربية الإسلامية لكنهم ما ان يشعروا بالقوة أو بانشغال المسلمين في مشكلة داخلية لا يترددون عن نقض عهودهم وغزو الأراضي الإسلامية.[5]

---

(١) ابن حيان: المقتبس،تح: ملتشور، ١٣٣/٣-١٣٧، ابن الابآر: الحلة السيراء ، ٣٦٨/٢، ابن عذاري: البيان المغرب، ١٤٠/٢. وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٣٤١/١.

(٢) عنان : دولة الإسلام ، ١/ ٣٦٠ .

(٣) الحجي : اندلسيات ، ٥٤/٢ ، طه : دراسات اندلسية ، ص ١٦٢.

(٤) El-Hajji, op. Cit., p. 53 .

(٥) الحجي: اندلسيات، ٥٥/٢ ، السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٣٧.

ويمكن القول إجمالاً ان علاقات هذه الإمارات مع الدولة العربية في الأنـدلس كانـت تشمل إلى جانب الحروب وما يعقبها من مآسٍ ونكبات للطرفين أموراً أخرى تبرز في أوقـات السلم والصفاء كالمراسلات الدبلوماسية وعلاقات المصاهرة و انتقـال التـأثير الحـضاري المشترك بين هذه الإمارات الإسبانية ومواطني الدولة العربية الإسلامية بالأندلس.[1]

[1] السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٣٧.

الفصل الثالث

الأندلس والأخطار الخارجية خلال المدة (٣٠٠-٣٦٦ هـ/ ٩١٢-٩٧٦م)

الفصل الثالث

الأندلس والأخطار الخارجية خلال المدة (٣٠٠-٣٦٦ هـ/ ٩١٢-٩٧٦م)

أولاً- خطر الممالك الأسبانية الشمالية خلال المدة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢-٩٧٦م)

أ- عبد الرحمن الناصر وسياسته تجاه الممالك الأسبانية الشمالية

لما بلغت التمردات والفتن الداخلية بالأندلس ذروتها في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وبددت قوى الأندلس ومواردها في ذلك الصراع الداخلي اخذت إسبانية الشمالية تتنفس الصعداء بعد ان أمنت الحملات الإسلامية آنذاك فاشتد ساعدها ونمت مواردها وتوطدت حكوماتها ولم يأت القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي حتى بلغت مملكة جليقية مستوى عالياً من القوة يتيح لها ان تخوض مع الأندلس صراعاً عنيفاً . وقد بدأت توسع ممتلكاتها فانساحت في الاراضي الأندلسية القريبة منها بعد طرد السكان المسلمين منها واحلال مواطنيهم محلهم ، وكان الأسبان يخشون التقرب من هذه الاراضي قبلاً فأصبحت هذه الاراضي مناطق للصراع بين إسبانيا الشمالية والأندلس [1] وبلغت جرأتهم حداً بحيث نقلوا عاصمتهم من مدينة اوفيدوا الى مدينة ليون الواقعة في المناطق السهلية الاكثر قرباً من اراضي المسلمين فأصبحت مملكة جليقية منذ ذلك الحين تسمى بأسم مملكة ليون على اسم العاصمة الجديدة . [2]

لم تعد القوة التي تجابه الأندلس في شمالها قوة واحدة متمثلة بمملكة ليون (جليقية) بل تعددت لتشمل مملكتي (نافار وقشتالة) اللتين كانتا تابعتين لمملكة ليون ادارياً لكنهما استطاعتا التحرر من هذه التبعية واعلنتا استقلالهما لتصبحا قوى جديدة يحسب حسابهما في الساحة السياسية انذاك [3] .

فمملكة نبرة او نافار التي تطلق عليها الروايات العربية اسم إمارة بنبلونة [4] نسبة الى عاصمتها بنبلونة قد نهضت بفضل موقعها الجغرافي الممتاز الواقع على المعابر الجبلية التي تربط إسبانيا بأوربا لا سيما بلاد غالة. هذا الموقع الذي اتاح لهـا ان ترتبط بسلسلة من

---

(١) Provencal , Histoire Del ‘ Espagne , vol. I, p. 71 .

(٢) بدر: تاريخ الأندلس ، ص٥٦ .

(٣) عنان : دولة الإسلام ، ٣٩١/٢ . بدر : المرجع السابق ، ص٥٥ .

(٤) ابن حيان : المقتبس، تح: المكي ، ١٦/٢ .

التحالفات مع حكام غالة واسبانيا لتحمي بها نفسها لا سيما مع فتور حركة الفتوحات الإسلامية في بلاد غالة بعد معركة بلاط الشهداء او (بواتييه) سنة ١١٤هـ/٧٣٢م) حيث ارتبط خضوع هذه المملكة للعرب بنشاط الحملات على بلاد غالة فلما ضعفت هذه الحملات وانشغل العرب المسلمون بمشاكلهم الداخلية ظهرت هذه المملكة وقويت شوكتها [1] .

وعلى الرغم من صفات النافاريين (البشكنس) وما تميزوا به من الشجاعة والشراسة في القتال [2] الا ان ملوكهم كانوا يشعرون بضعفهم تجاه القوى المحيطة بهم لا سيما خلال المدة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٦-٩٢٨م) فمالوا الى التقارب مع هذه القوى فتحالفوا مع مملكة ليون خاصة بعد ان قل اهتمام الافرنج بثغرهم الأسباني [3] كما تحالفوا مع بني قسي سادة الثغر الاعلى الأندلسي [4] وهذا ساعدها على الوقوف امام اطماع جيرانها سواءاً كانوا من المسلمين او الأسبان .

كان يحكم نافار زمن عبد الرحمن الناصر الملك سانشو بن غرسيه الأول (٢٩٣-٣١٤هـ/٩٠٥-٩٢٥م) وكان اول من اعلن انه ملك من بين أمراء نافار وبه بدأت مملكة نبرة الحقيقية [5] .

---

[١] بدر : تاريخ الأندلس ، ص٥٦ .

[٢] البكري : جغرافية الأندلس ، ص٧٩ .

[٣] الثغر الأسباني او المارك الأسباني او الثغر القوطي : يقصد بهذا المصطلح في النظام الاداري الكارولنجي (اراضي الحدود ذات الاحتكاك الدائم بالعدو الخارجي) وتماثل بذلك الليم الروماني وتخضع ادارته لمنظمة عسكرية يحكمها قائد القوات العسكرية برتبة كونت (Count) وقد انشئت هذه الولاية الحدودية او الثغر بقاصية إسبانيا الشمالية الشرقية فيما وراء جبال البرتات لتكون سداً يحمي غاليسيا (جنوب غالة) من خطر الهجمات الإسلامية ويشمل هذا الثغر مدناً مثل جيرونة (جيرندة) واوزونة ثم ضمت اليها برشلونة فيما بعد سنة ١٨٥هـ/٨٠١م التي أصبحت قاعدة لهذا الثغر وكان الافرنج يعينون حكامه من الكونتات الذين ينتمون الى اصل افرنجي او قوطي وبمرور الزمن استطاع الكونتات القوط ان ينتزعوا برشلونة من يد الافرنج وان يجعلوا منها نواة لإمارة إسبانية مستقلة هي إمارة قطلونية التي حافظت على استقلالها طويلاً ينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٢٣٥/١-٢٣٦ ، بدر : تاريخ الأندلس ، ص٥٧-٥٨ .

[٤] عن هذه التحالفات ينظر : ابن حزم : جمهرة الانساب ، ص٤٦٧-٤٦٨ . العذري : نصوص عن الأندلس ، ص٦٢ . وينظر : الحجي : اندلسيات ، ٨٠/١-٨١ . السامرائي : الثغر الاعلى الأندلسي، ص٣٣٨-٣٤٣ .

[٥] ARIE, Op. Cit , p.6

أما قشتالة أو (البة والقلاع) فقد كانت كونتية صغيرة تحكم من ملوك جليقية تقع في الجهة الشمالية الشرقية منها واستغلت موقعها الذي يعد معبراً للصوائف الإسلامية المتجهة نحو مملكة جليقية لتفرض عليها الاعتراف بها مملكة مستقلة .

وقد بدأت بوادر الصراع بينها وبين ليون عندما قام الملك الفونسوا الثالث بتوزيع مملكته بين ابنائه الثلاثة سنة(٢٩٦هـ/٩٠٧م) فضم قشتالة الى احد ابنائه لكسر شوكة القشتاليين كما قام ايضاً بإعدام كثير من زعمائهم ونبلائهم [1] فبدأ القشتاليون بالتحرك لانتزاع استقلالهم والتحرر من سيطرة مملكة ليون (جليقية) وكان الرأس المدبر لها هو الكونت فرنان جونثالث [2] (٣١٨-٣٥٩هـ/٩٣٠-٩٧٠م) الذي كان يستغل كل شاردة وواردة تقع في ليون ليوظفها لصالح استقلال قشتالة ، فكان زعيماً قوياً ضد خصومه سواء كانوا من النصارى او المسلمين [3] . كانت تلك ظروف الشمال الأسباني زمن تولي عبد الرحمن الناصر للحكم في الأندلس .

حاول الناصر بداية تسلمه الحكم الاغضاء حيناً عن تصرفات الممالك الأسبانية الشمالية العدوانية للتفرغ للجبهة الداخلية والتمردات التي شملت عموم البلاد في حين كانت هذه الممالك مستمرة بالضغط على حكومة قرطبة من خلال العمل على اذكاء عوامل الفتنة في الأندلس والقيام بالاعمال العدوانية على الثغور الإسلامية فقد بادر ملك ليون اردونيو الثاني (٣٠١-٣١٢هـ/٩١٣-٩٢٤م) بالاغارة على مدينة يابرة [4] بجيش بلغ تعداده (٣٠) الف مقاتل سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) [5] وهاجمها بغتة فبذلت حاميتها جهداً لمدافعة الغزاة لكن دون جدوى فقد تمكن النصارى من ابادة الحامية بأكملها وسبوا اكثر من (٤٠٠٠) من النساء والولدان[6] وكان سبب اختيار اردونيو لهذه المدينة لبعدها عن مركز السلطة في قرطبة وضعف تحصيناتها كباقي مدن غرب الأندلس الاخرى .

---

(١) عنان : دولة الإسلام ، ٣٦٠/١ . المزروع : الحكم المستنصر ، ص٤٩ .

(٢) يسميه ابن خلدون بـ (فردلند القومس) ينظر : العبر ، ١٤٤/٤ . وفي مكان اخر يسميه فردلند بن غند شلب . ينظر : العبر ، ١٨٠/٤ بينما ورد اسمه عند ابن الخطيب (فران غنصالص) ينظر : اعمال الاعلام، ص٢٧٥ .

(٣) Trend , op.Cit , p.35 .

(٤) يابرة : مدينة قديمة من اعمال باحة بينهما حوالي ٢٠٠كم ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ٤٢٤/٥ . الحميري : الروض المعطار ، ص٦١٥ .

(٥) ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٩٣/٥ وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٣٩٢/٢ .

(٦) ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٩٥/٥وينظر Provencal , Gamiz , op. Cit , P. 43-44

لقد اثارت هذه الحادثة الذعر في المناطق الغربية من الأندلس فبدأت المدن بتقوية تحصيناتها وتجديد اسوارها[1] . ان اثار الخراب التي خلفها اردونيو وقواته في يابرة تدلنا على السياسة التي كان ينتهجها الأسبان تجاه المسلمين وتهدف الى احلال الخراب والدمار في الاراضي الإسلامية وعدم اعطاء العرب فرصة بالعودة مجددا الى الاستيطان فيها لا سيما ان الأسبان كانوا عاجزين عن تزويد هذه الاراضي بالطاقات البشرية التي تؤمن استمرارية الدفاع عنها في محيط معادٍ [2] . ولكن مخططهم هذا لم ينجح فما لبثت يابرة ان استعادت عافيتها وعمرت بالسكان بمساعدة عامل بطليوس عبد الله بن محمد بن مروان الجليقي الذي هيأ لها اسباب القيام [3] .

اعاد اردونيو الثاني الكرة سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) فحاصر مدينة ماردة لكنه عجز امام حصانتها فاسترضاه أهلها بالهدايا فتركها ورحل وفي اثناء سيره عاث بالمنطقة التي مر بها فقتل وسبى الكثير من سكانها ثم عبر نهر دويرة قافلاً الى دياره [4] .

لم يعد بإمكان الناصر الاغضاء عن هذه الاعتداءات فقام بإرسال حملة سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) بقيادة الوزير احمد بن ابي عبدة [5] فالتقى بالنصارى وهزمهم في عدة مواقع محلية وغنم منهم غنائم كثيرة فكانت هذه أولى الحملات التي ارسلها الأمير عبد الرحمن الناصر الى الممالك الأسبانية الشمالية [6] .

اراد اوردنيو الثاني الرد على هذه الهجمة فقام سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) بالهجوم على مدينة طلبيرة[7] وأحرق قراها فضج سكانها طالبين العون من أميرهم الناصر ، فسير اليهم

---

(١) ابن حيان : المصدر نفسه ، ٩٦/٥ وينظر : Provencal , Gamiz , op.cit, P.46

(٢) بيضون : الدولة العربية ، ص٢٩٩ .

(٣) ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٠٤/٥ .

(٤) ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٢٠/٥-١٢٣ ؛ ابن خلدون : العبر ، ١٤١/٤ .

(٥) ابو العباس احمد بن محمد بن عيسى بن الحسن بن ابي عبدة من اعظم القادة العسكريين الذين انجبتهم الأندلس الإسلامية وهو الذي اضطلع بالعبء الاكبر في محاربة المتمردين والخارجين على قرطبة طوال إمارة عبد الله بن محمد وبعد وفاة الامير عبد الله استعان به الأمير عبد الرحمن الناصر فعينه وزيراً وقائداً للصوائف حتى استشهاده سنة ٣٠٥هـ . ينظر : ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٧٠/٢ .

(٦) ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٦٩/٢ . وينظر Provencal Gomiz , Op. Cit , P.52

(٧) طلبيرة : مدينة قديمة تقع على نهر التاجة مبنية على جبل عظيم تخرج من تحته عين غزيرة المياه تطحن على جريها عشرون رحى وقلعتها ارفع القلاع حصناً ومدينتها اشرف البلاد حسناً ولها عمل واسع ومزارعها كبيرة بينها وبين طليطلة حوالي ١٣٨كم . ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ٣٧/٤ . الحميري: الروض المعطار ، ص٣٩٥ .

الناصر في الحال وزيره وقائده احمد بن ابي عبدة في جيش كثيف انضم اليه حين دخولهم الثغر خلق كثير فاخترق القائد بهم اراضي قشتالة وزحف نحو قلعة شنت اشتبين [1] وضربوا حولها الحصار ثم نازلوا حاميتها بشدة وكادت تسقط بأيديهم لولا ان هرع اردونيو الثاني بجموعه الى انجادها وكان الجيش الإسلامي على الرغم من تفوقه العددي مختل النظام مفكك العرى يتألف اغلبه من البربر والمرتزقة الذين لا يعتد بولائهم فما ان بدأت المعركة حتى انهزم معظمهم فدب الخلل في صفوف المسلمين لكن القائد ابن ابي عبدة فضل الموت على الارتداد فصمد لهم مع نفر من جنده المخلصين فاستشهدوا جميعاً وذلك في ربيع الأول من سنة ٣٠٥هـ/ايلول سنة ٩١٧م وامعاناً في الانتقام قام اردونيو الثاني بتعليق رأس القائد ابن ابي عبدة على جدران قلعة شنت اشتبين [2] وقد ضخمت الرواية النصرانية كعادتها قصة هذه الهزيمة فوصفتها بالساحقة وبلغت خسارة المسلمين فيها حداً بحيث غصت منطقة المعركة بقتلاهم واشلائهم [3] .

لقد كان لهذه المعركة نتائجها الابعد وربما الاهم من مجرد اعداد الشهداء المسلمين وهو استطالة الأسبان على الاراضي الأندلسية المجاورة فقد عمد الملك اردونيو في العام التالي الى الهجوم على الثغر الاعلى فعاث في احواز مدينة ناجرة [4] وتطلية ثم عاد الى دياره[٥] وتكررت هذه الهجمات حتى خلقت قلقاً عظيماً في بلاط قرطبة وحملت الناصر على اجراء تعديل في مخططاته العسكرية فلم يعد بالامكان تجاهل النشاط الواسع الذي تقوم به مملكة ليون غربي الأندلس ففكر الناصر بتوجيه ضربة شديدة لها فوجه اليها سنة (٣٠٨هـ/ ٩٢٠م) حملة عسكرية قادها بنفسه وكان انطلاقه من مدينة سالم ذات الموقع المتوسط بين الثغرين الاوسط والاعلى ثم سرح مقدمته نحو الثغر الاعلى ليوهم الليونيين بأنه يقصده واسرع بمعظم قواته نحو الثغر الاوسط عابراً نهر دويره وفجأة حط في مدينة اوسمة

---

[١] شنت اشتبين : قلعة حصينة تقع على الطرف الشمالي لنهر دويرة وتسمى بقلعة قاشترومورش . ينظر : الحميري : الروض المعطار ، ص٦٠ .

[٢] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٣٥/٥-١٣٦ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٧٠/٢-١٧١ . وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٣٩٥/٢ .

[٣] Provencal , Historie Del'Es Pagan , vol. II PP.37-38 .

[٤] ناجرة : مدينة شرقي الأندلس تقع على نهر ابره تعد من اعمال تطلية . ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ٢٥٠/٥ .

[٥] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٤٣/٥ .

(وخشمة) [1] فوجدها خاوية بعد ان أجليت عنها حاميتها من هول المفاجأة ثم انتقل الى حصن شنت اشتبين فأحرقه ثم واصل سيره مقتحماً كل المدن والحصون الواقعة على ضفاف نهر دويره الشمالية حتى وصل مدينة قلهرة [2] التي كان سانشو ملك نافار يتحصن بها ففر عند اقتراب الجيش الإسلامي فاستولى عليها الجيش وغنموا كل ما فيها ودمروها فلجأ سانشو الى حصن ارنيط [3] . فنلاحظ ان قوات التحالف النافاري – الليوني تجنبت الاشتباك مع القوات الأندلسية وذلك وفقاً لخطة وضعوها لاستدراج المسلمين ، لكن الناصر كان يقظاً فحاربهم بشدة في منطقة تعرف بـ (جوانكيرا) غربي بنبلونة وقتل جماعة واسر اخرى بينهم اسقفان كانا يحاربان كجنديين وقضى عبد الرحمن اربعة ايام يجمع الغنائم والنعم ثم قفل راجعاً الى قرطبة بعد ان قضى في غزوته ثلاثة اشهر[4] .

كانت هذه الحملة بما حققته من مكاسب عسكرية وتغييرات جغرافية باستيلاء الناصر على عدد من المواقع المهمة كأوسمة وقلهرة وتطلية التي خضعت مؤخراً للإسبان كافية لتجميد موجة التغلغل العسكري الذي قاده اردونيو الثاني لا سيما ان الجبهة الداخلية في الأندلس لم تعد تستحوذ على كل اهتمام الناصر بعد قضائه على معظم الثورات الداخلية فصار لديه من الوقت والقدرة ما يكفل له احباط هذه العمليات العدوانية [5] .

لم تستأثر ليون وحدها بمقاومة المسلمين فقد كان لمملكة نافار نصيبها ايضاً من هذه العلاقات العدائية التي وصلت حداً من العنف والوحشية لم تبلغه من قبل ففي سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) قام ملك نافار سانشو الأول بالهجوم على بقيرة[6] وكان عاملاً عليها محمد

---

[1] اوسمة (وخشمة) : من القواعد الدفاعية المهمة في الأندلس تقع شرقي حصن شنت اشتبين على مقربة من نهر دويرة على خط الحصون الفاصل بين الاراضي الإسلامية وقشتالة القديمة . ينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٤٠١/٢ .

[2] قلهرة : مدينة من اعمال تطلية شرقي الأندلس تقع الى الشمال الغربي منها ينظر : الحموي : معجم البلدان، ٣٩٢/٤ .

[3] ارنبط : قلعة حصينة من اجل القلاع في الأندلس تطل على ارض العدو بينها وبين تطلية ٦٠ كم وبينها وبين سرقسطة ١٦٢ كم . ينظر : الحميري : الروض المعطار ، ص٢٧ .

[4] وردت هذه التفاصيل في ابن حيان : المقتبس: تح: شالميا ، ١٥٩/٥-١٦١ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب، ١٧٥/٢-١٨٠ ؛ ابن خلدون : العبر ، ١٤١/٤ وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٣٩٦/٢-٣٩٨ .

[5] بيضون : الدولة العربية في إسبانيا ، ص٣٠٠.

[6] بقيرة : حصن بناه لب بن موسى بن قسي (ت٢٦٠هـ) بعد عودته من قرطبة الى الثغر الاعلى حيث كان مرتهناً عند الأمير محمد بن عبد الرحمن وبقي يحكم هذا الحصن حتى وفاته فأصبح معقلاً من معاقل بني قسي في الثغر الاعلى ينظر : العذري : نصوص عن الأندلس ، ص٣١.

ابن عبد الله بن محمد بن لب [1] ومعه نفر من زعماء بني لب وبني ذي النون فحاصرها سانشو واستولى عليها واسر من فيها من الزعماء وسجنهم في بنبلونة ثم قتلهم جميعاً ما عدا مطرف بن موسى بن ذي النون الذي استطاع الفرار [2] ، فاستاء المسلمون وأميرهم الناصر من هذه الفعلة الشنيعة وأرسل حملة سريعة بقيادة وزيره عبد الحميد بن بسيل [3] الى الثغر الاعلى حتى يتم هو تهيئة حملة كبيرة لتأديب النصارى ، فسار الوزير ابن بسيل الى الثغر الاعلى ونزل مدينة تطلية واتخذها قاعدة عسكرية يرسل منها الحملات الى اراضي نافار حتى اوقع بهم وهزمهم في عدة وقائع [4] .

ما ان اتم الناصر اهبته حتى غادر قرطبة مبكراً قبل ميقات الصوائف في شهر محرم من سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) في جيش جرار وهو يعتزم التنكيل بالنصارى والانتقام لوقعة المسلمين في بقيرة ، وسلك طريقاً غير الطريق المألوف لسير الغزوات الى الشمال الأسباني فقد سار بالجيش الى شرقي الأندلس ومر بتدمير وبلنسية وقضى على بعض المتمردين هناك كابن وضاع وابن ابي جوشن من لورقة ومرسية [5] ثم سار الى طرطوشة ومنها واصل سيره الى سرقسطة حيث انضم اليه التجيبيون وبعض المجاهدين ثم وصل الى تطيلة فتوقف لتهيئة الجيش من اجل الدخول الى ارض العدو [6] .

لقد تعمد الناصر سلوك هذه الطريق الملتوية وعدم الاتجاه الى ارض العدو مباشرة وكانت غايته من ذلك تأمين الجبهة الداخلية والقضاء على اية محاولة يقوم بها المتمردون في تلك المناطق اثناء غيابه . هذا من جهة ومن جهة اخرى فإن الناصر كان يرمي الى ايهام

---

[١] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٨٦/٥ ، فيما يذكر ابن عذاري في البيان ١٨٤/٢ ان العامل عليها كان عبد الله ابن محمد بن لب وهذا غير صحيح لأن عبد الله بن محمد بن لب قد مات سنة ٣٠٢هـ . ينظر : ابن حزم: جمهرة الانساب ، ص٥٠٣ . العذري : نصوص عن الأندلس ، ص٣٨ .

[٢] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٨٧/٥ .

[٣] عبد الحميد بن بسيل يرجع نسبه الى عبد السلام بن بسيل مولى الخليفة هشام بن عبد الملك الذي دخل الأندلس ايام الأمير عبد الرحمن الداخل واستعمله الأمير على العديد من مدن الأندلس كأشبيلية وشذونة والجزيرة وولى اولاده واحفاده مناصب مهمة طيلة عصر الإمارة وعبد الحميد منهم حيث ولاه الخليفة الناصر العديد من المناصب كالخزانة والوزارة . ينظر : ابن الابار : الحلة السيراء ، ٣٧١/٢-٣٧٢ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ١٨٥/٢،١٦٩ .

[٤] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٨٧/٥-١٨٩ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٨٥/٢ ، وينظر : السامرائي : الثغر الاعلى ، ص١٨٥ .

[٥] عن هذه التمردات راجع الفصل الثاني .

[٦] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٩١/٥ وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٣٩٩/٢ .

النصارى بأن هذه الغزوة موجهة ضد المتمردين وليس ضدهم وذلك ليجعلهم يأمنون ولا يأخذوا الحيطة ويتهيؤوا لحربه .

وبعد الاستعداد ترك الناصر تطلية متوجهاً بجيشه الى قلهرة وكان سانشو قد اخلاها فأمر الناصر بحرق كل ما فيها ثم استولى الناصر على حصن بيطرالتة او قنطرة البه كما يسميه ابن حيان (1) الواقع شمال شرق قلهرة وباقي الحصون التي حوله كحصن فالجش وحصن قرقشتال الواقع شمال شرقي تطيلة وهدم سائر القلاع في تلك المنطقة واحرقها (2) ثم نفذ الناصر الى قلب نافار وزحف على عاصمتها بنبلونة وكان الطريق الى بنبلونة ذا طبيعة جبلية وعرة لذا حاول سانشو الأول استدراج الناصر الى داخل هذه المناطق واعترضه اكثر من مرة في شعب الجبال لكن الناصر كان في كل مرة يمنيه بخسارة فادحة حتى وصل بنبلونة فوجدها مقفرة فقد فر سكانها خوفاً فدمر تحصيناتها واحرق مرافقها العامة (3) وفي طريق العودة استولى على العديد من الحصون وحاول ملك نافار بالتعاون مع ملك ليون اعتراض الجيش الإسلامي اثناء عودته لكن المسلمين هزموا القوات الليونية-النافارية فانهارت مقاومتهم وسحقت قواهم فواصل الناصر سيره حتى وصل قرطبة في الثاني والعشرين من جمادي الأولى سنة ٣١٢/ احدى وعشرين من ايلون سنة ٩٢٤م وقد قضى في غزوته التي تسميها المصادر بأسم (غزوة بنبلونة) حوالي اربعة اشهر (4) .

وبوفاة الملك اردونيو الثاني نهاية عام (٣١١هـ/٩٢٣م) دخلت مملكة ليون حالة من الفوضى والاضطراب فقد انفجر الصراع بين ولديه سانشو والفونسو حول تولي الحكم وانتهى هذا التنافس بفوز الفونسو بالعرش بمساعدة صهره ملك نافار سانشو غرسيه الأول (٢٩٣-٣١٤هـ/٩٠٥-٩٢٦) فحكم باسم الفونسو الرابع (5) لكن سانشو لم ييأس فجمع جيشاً

---

(١) المقتبس : ١٩١/٥ .

(٢) ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٩١/٥ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٨٦/٢ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٨٨/٢ .

(٤) ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ١٩٦/٥ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٨٥/٢-١٨٩ ، وينظر: عنان : دولة الإسلام ، ٤٠٠/٢ .

(٥) الحجي : اندلسيات ، ٤٩/٢ .

من انصاره وتوجه نحو شنت باقب[1] واعلن نفسه ملكاً عليها و حاول مراراً الزحف على ليون والاستيلاء عليها لكن الفشل كان دائماً حليفه [2] . استمرت هذه الحرب بين الاخوين اعواماً انتهت بوفاة سانشو بن اردونيو الثاني سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) [3]فاستقر الملك لأخيه الفونسوا الرابع دون منازع لكن هذا الاستقرار كان مؤقتاً فقد بدأ الصراع مجدداً سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) حين تنازل الفونسو الرابع عن الحكم لأخيه الاصغر رأميرو ثم ترهب[4] بسبب حزنه الشديد على زوجته التي توفيت قبله فالتجأ الى عزلة الدير [5] لكن الفونسوا ما ان ثاب من حزنه حتى ندم على تنازله عن الحكم فترك عزلة الدير وعاد يطالب اخاه بالعرش فزحف على العاصمة ليون محاولاً الاستيلاء عليها مستغلاً غياب ملكها رأميرو عنها لكن رأميرو ما ان سمع بهذا النبأ حتى عاد مسرعاً الى العاصمة وخلصها من يدي اخيه الفونسو[6].

كان ما فعله الفونسوا من تركه الرهبنة جريمة يحاسب عليها في الدين النصراني لذا واجه الفونسوا انتقاداً شديداً من قبل رجال الدين فاضطره ذلك الى العودة مجدداً الى الرهبنة[7] لكنه على الرغم من ذلك بقي يتحين الفرصة للوثوب على اخيه ولم تخف نواياه هذه عن اخيه رأميرو فأراد ان يضع حداً لها فأقدم على سمل عيني الفونسوا وعيون ابناء عمه فرويلة الثاني [8] المشتركين معه في الثورة سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م)[9] لم يتدخل الناصر في تلك الحرب

---

(١) شنت ياقب : مدينة جليلة من مدن إسبانيا تقع الى الشمال الغربي من مدينة ليون بالقرب من المحيط الاطلسي بينها وبين المحيط مسيرة يوم واحد سميت بهذا الاسم لأنها تحتوي على رفات القديس يعقوب احد حواريي المسيح (عليه السلام) بنيت فيها كنيسة يحج اليها عموم الأسبان . ينظر : ابي الفداء : اسماعيل بن محمد (ت٧٣٢هـ) : تقويم البلدان ، مكتبة المثنى (بغداد - د-ت) ، ص٨٣ . الحميري : الروض المعطار ، ص٣٤٨ .

(٢) عنان : دولة الإسلام ، ٥٨٩/٢ .

(٣) ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٣٤٥/٥ .

(٤) ابن حيان : المصدر نفسه ، ٣٤٥/٥ .

(٥) الحجي : اندلسيات ، ٤٩/٢ .

(٦) عنان : دولة الإسلام ، ٥٩٠/٢ .

(٧) ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٣٤٥/٥ .

(٨) كان فرويلة الثاني عم رأميرو قد تولى الحكم بعد وفاة اخيه اردونيو الثاني ولم يدم حكمه سوى عام واحد إذ توفي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م اما اولاده الذين قام بسملهم الملك رأميرو فهم الفونسو ورأميرو واردونيو. ينظر : ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٣٤٤/٥ ، ٣٤٧ .

(٩) ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا، ٣٤٧/٥ ؛ ابن خلدون : العبر ، ٤/ ١٤٢ ، وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٥٩٠/٢ ، الحجي : اندلسيات ، ٢/ ٤٩ .

الاهلية وترك النصارى يمزق بعضهم بعضاً واستغل الوقت ليوطد حكمه داخل الأندلس ويقضي على اسباب فرقة هذا البلد فأعلن قيام الخلافة الإسلامية وقضى على التمردات كما سبق ان فصلنا في ذلك [1] .

بعد تولي رأميرو الثاني عرش ليون عاد الطرفان الليوني والأندلسي إلى تبادل الغارات ففي سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م) سار رأميرو بقواته نحو مدينة اوسمة واحتلها فاعتزم الناصر السير اليها واستردادها بنفسه فخرج سنة (٣٢٢هـ/٩٣٤م) في جيش كثيف وكان معه ولي عهده الحكم فعبر الى اراضي النصارى عن طريق الثغر الاعلى فدخل اراضي نافار التي كانت الاقرب اليه وما ان علمت الملكة طوطة [2] بقرب مجيء الناصر حتى ارسلت رسلها اليه لعقد الصلح وطلب الامان فقبل الناصر السلم واقر ولدها غرسيه على حكم نافار [3] ثم واصل الجيش طريقه مقتحماً العديد من حصون مملكة قشتالة اهمها حصن آنية وحصن المنار [4] ثم نزل بمدينة قلونية [5] وبالقرب منها التقى الناصر بقوات رأميرو الثاني ودارت بينهما معركة حامية قتل فيها من الطرفين اناسٌ كثيرون حاول بعدها المسلمون سحب النصارى الى السهل فلما عبروا وديان اوسمة هاجمهم النصارى فردهم المسلمون وقتلوا بعضهم ثم وصل المسلمون الى حصن غرماج [6] وهنا شعر الناصر ان المسير في هذه السهول المقفرة سوف يعرض جيشه لمخاطر جمة فارتد شرقاً الى اوسمة ثم زحف على مدينة برغش عاصمة قشتالة وخربها ثم قفل راجعاً الى قرطبة وقد قضى في غزوته اربعة اشهر[7]. بعد هذه الحملة الموفقة التي قام بها الناصر في اراضي ليون بادر الملك راميرو الثاني سنة (٣٢٣هـ/٩٣٥م) الى طلب الصلح من الناصر فوافق الناصر على عقد

---

[١] راجع الفصل الأول .

[٢] هي زوجة الملك سانشو بن غرسيه الأول (٢٩٣-٣١٤هـ/٩٠٥-٩٢٦م) قامت بالامر بعد وفاة زوجها وصية على ابنها غرسيه ينظر :عنان : دولة الإسلام ، ٤٠٢/٢ .

[٣] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٣٣٦/٥ .

[٤] حصن المنار : من اعظم حصون البة قريب من مدينة لك يقع على ضفة المحيط الاطلسي في الشمال الغربي من الأندلس تتصل به كنيسة شنت ياقب . ينظر : الحميري : الروض المعطار ، ص٢٠٢ .

[٥] قلونية : من مدن قشتالة تقع شمال نهر دويره بقرب شنت اشتبين وهي مدينة عامرة متصلة المزروعات قائمة الغلات بينها وبين اشتورية ١٩٨كم شمالاً . ينظر : الادريسي : نزهة المشتاق ، ٨٧٣/٢ .

[٦] غرماج : قلعة حصينة تقع على نهر دويره على مقربة من قلعة شنت اشتبين، ينظر : عنان : دولة الإسلام، ٤٨٧/٣.

[٧] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٣٤٢/٥ ؛ ابن خلدون : العبر ، ١٤٢/٤ ، وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٤٠٤/٢ Provencal , op . Cit , vol.II , P.53

هذا الصلح [1] وقد يكون من المستغرب ان يوافق الناصر على عقد مثل هذا الصلح مع انه كان في مركز قوة وخصمه في مركز ضعف لكن الاستغراب يزول عندما نعلم ان الناصر انما وافق عليه لابعاد رأميرو عن التعاون مع محمد بن هاشم التجبي صاحب سرقسطة الذي لم يكن على وفاق مع حكومة قرطبة [2] . وقد تحققت مخاوف الناصر فما لبث رأميرو الثاني ان نبذ عهده وتعاقد سراً مع التجيبي ضد حكومة قرطبة سنة (٣٢٤هـ/٩٣٦م) وانضمت الملكة طوطة الى هذا التحالف [٣] .

تكشفت آثار هذا التحالف سنة (٣٢٥هـ/٩٣٧م) عندما خرج الناصر لتأديب المتمردين في سرقسطة فبرز النصارى لقتال المسلمين الى جانب قوات محمد بن هاشم التجيبي مما جعل الناصر يصمم على عقابهم بشدة فأبقى جزء من جيشه لمحاصرة سرقسطة بقيادة قائده احمد بن اسحاق القرشي [4] فيما سار هو بباقي الجيش نحو اراضي النصارى فاتجه اولاً الى قشتالة واستولى على (٣٧) حصناً من حصونها ثم اتجه الى نافار فعاث في اراضيها خراباً فأسرعت الملكة طوطة كعادتها الى الناصر لطلب الامان وقدمت الاعذار فتقبل منها الناصر واخذ عليها المواثيق [5] . ولم يؤدِّ القائد احمد بن اسحاق عمله الموكل اليه وهو محاصرة سرقسطة – بشكل جيد بل تهاون في ذلك لغاية في نفسه فأنبه الناصر وعزله عن الوزارة فاتفق احمد مع اخيه امية وأعلنا التمرد على الناصر لكن الناصر ظفر بهما فاكتفى بنفيهما لما بينه وبينهما من صلة القرابة فالتجأ امية الى مدينة شنترين [6] واعلن العصيان هناك فيما حاول اخوه احمد العبور الى بر العدوة المغربية للتآمر على الخليفة

---

[١] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٣٦٥/٥ .

[٢] راجع اخبار تمرده في الفصل الأول

[٣] EL- Hajji, op.cit, P.70

[٤] هو احمد بن اسحاق بن محمد بن ابراهيم بن الوليد بن ابراهيم بن عبد الملك بن مروان وفد جده الى الأندلس منذ ايام الأمير عبد الرحمن الداخل واستقرت الرئاسة في اسحاق وسكن اشبيلية منذ ايام ابن حجاج اتهمه احمد بن مسلمة الثائر بأشبيلية بالخيانة وقبض عليه وعلى ولده وصهره يحيى بن الحكم فقتل الولد والصهر لكن اسحاق نجا من القتل بشفاعة سفيراً لأن حفصون كان عنده ثم استوزره الناصر وبقي في الوزارة حتى وفاته فورث ابناؤه مكانته ومن بينهم احمد بن اسحاق ينظر : ابن خلدون : العبر ، ١٣٩/٤ .

[٥] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٤٠٠/٥-٤٠١ ، وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٤٠٨/٢ .

[٦] شنترين : مدينة من اعمال باجة في غربي الأندلس تقع عند مصب نهر تاجة وهي حصينة تقع الى الغرب من قرطبة بينهما خمسة عشر يوماً وبينها وبين باجة اربعة ايام .ينظر : الحميري : الروض المعطار ، ص٣٤٦ .

الناصر مع اعدائه الفاطميين فقبض عليه الناصر وأعدمه [1] اما امية فقد ارسل اليه الناصر حملة عسكرية داهمت شنترين واستولت عليها لكن امية استطاع الهرب منها ملتجئاً الى الملك رأميرو الثاني الذي احتواه وناصره [2] .

قرر الخليفة الناصر تأديب ليون وملكها رأميرو الثاني لتدخله في شؤونه الداخلية فحشد جيشاً عظيماً وتوجه به الى الشمال الأسباني فحدثت معركة الخندق سنة (٣٢٧هـ/ ٩٣٩م) التي خسرت فيها القوات العربية وانسحبت الى عمق اراضيها وهنا نلاحظ صمت المصادر العربية واختصار الاخرى [3] في الكلام عن طبيعة الظروف التي احاطت بقوات الناصر وادت الى هذه النتيجة غير المتوقعة عدا البعض منها التي امتازت ببعض الوضوح كرواية المؤرخ الأندلسي ابن حيان ورواية الوزير الأندلسي ابن الخطيب ، اما رواية ابن حيان[4] التي ينقلها عن عيسى بن احمد الرازي فخلاصتها ان الناصر لما عزم على التوجه الى مملكة ليون استعد لهذه الحملة استعداداً كبيراً وبعث كتبه الى الثغور يعلمهم بذلك ويحضهم على الجهاد ويستنفرهم له ويرغبهم فيه ويشدد على عماله في الأندلس في جمع المقاتلين بقوله : ((ليكن حشدك حشراً لا حشداً))[5] واستكثر من الالات والسلاح وخرج بحشوده يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان سنة ٣٢٧هـ/الأول من حزيران سنة ٩٣٩م وكان الناصر قد سير قبل خروجه القائد احمد بن محمد بن الياس في بعض قواته الى جهة الغرب لتأمين الجبهة الداخلية، فوصل الناصر بقواته الى طليطلة ثم خرج منها الى قشتالة فعاث فيها اياماً وقد الفى النصارى قد اخلوا معظم هذه المنطقة وكانت مليئة بالغنائم التي استولى المسلمون عليها ثم تقدموا الى حصن اشكر وخربوه وانتسفوا ما حوله ثم ساروا الى حصن اطلة ثم حصن برتيل[6] ويواصل ابن حيان [7] سرد حوادث المعركة بقوله ان محمد بن

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ٣٥٧/٨ ، وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٤٠٩/٢. الحجي : اندلسيات ، ١٢٦/٢ .

(٢) ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٤٣١/٥ .

(٣) لم يتعرض ابن عذاري في احداث سنة ٣٢٧هـ الى ذكر موقعة الخندق . ينظر : البيان المغرب ، ٢١٠/٢ . اما ابن خلدون فلم يزد عن قوله (ثم كانت بعدها غزوة الخندق ولم يغزُ الناصر بعدها بنفسه) . ينظر : العبر ، ١٤٢/٤ .

(٤) رواية الرازي في المقتبس ، ٤٣٢/٥ .

(٥) المصدر نفسه، ٤٣٣/٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ٤٣٤/٥ .

(٧) المصدر نفسه ، ٤٣٥/٥ .

هاشم التجيبي صاحب سرقسطة قاد مقدمة الجيش وسار به نحو شنت مانكش [1] فلما رآه العدو ابتعد بقواته الى ما وراء نهر شنت منكش فلحق بهم التجيبي ونشبت بين الفريقين معركة هزم فيها النصارى اولاً لكنم عادوا وجمعوا قواتهم وتكاثروا على المسلمين فسقط القائد محمد بن هاشم من فرسه خلال القتال وأسر فاختل نظام الجيش وهزم المسلمون هزيمة شديدة وقتل منهم عدد كبير وارتد الباقون الى خندق عميق الذي تنسب اليه الموقعة ولكثرة الجند وقع الكثير منهم في الوادي وداس بعضهم بعضاً فتراجع الناصر مضطراً وترك موقعه فملكه العدو بما فيه وتوجه بقواته نحو اعلى النهر وقد عجز العدو عن اللحاق به فلبث هناك بقية يومه وقد ساد الخلل في جيشه ثم رحل قافلاً حتى وصل مدينة وادي الحجارة ومنها سار الى قرطبة . ويضيف ابن حيان [2] ان هذه الوقيعة قد نال الخليفة والمسلمين منها محنة عظيمة وقتل واسر فيها خلق كثير واستولى العدو على مخيم الخليفة وآلاته السلطانية ومنها مصحفه الخاص ودرعه الاثير لديه وشملت الهزيمة كافة الجيش فلم ينج منهم الا عدد قليل حتى ان من بين ضحايا المعركة جده ابو سعد مروان بن حيان .

اما رواية ابن الخطيب فهي على الرغم من ايجازها الا انها تحدد تاريخ الموقعة ومكانها بدقة فقد حدد تاريخها يوم الجمعة الحادي عشر من شوال سنة ٣٢٧هـ/الأول من آب من سنة ٩٣٩م ويذكر انها وقعت في منطقة شنت منكش ويستمر بالقول انه بعد قتال استمر اياماً تراوح فيه النصر بين الفريقين حتى كانت للعدو كرة كانت شديدة على المسلمين ألجؤوهم فيها الى التراجع الى خندق عميق الذي تنسب اليه المعركة فتساقط فيه المسلمون واستولى العدو على محلة السلطان وما فيها من عدة ومتاع وضاع فيها مصحفه ودرعه[3] . وتتفق الروايتان في ان سبب انهزام الناصر والمسلمين في هذه المعركة انما كان تخاذل فئة من الجند العرب امام العدو فجروا الهزيمة على المسلمين [4] .

وفضلاً عن ذلك فإن هناك من الروايات الاخرى التي امتازت بنوع من الدقة والاعتدال خلاصتها ان عبد الرحمن الناصر سار بجيشه الكبير البالغ مئة الف مقاتل الى سيمانقة الواقعة على مقربة من نهر دويره شرقي مدينة سمورة فلقيه رأميرو الثاني وحليفاه فرناند كونزاليز كونت قشتالة والملكة طوطة ملكة نافار ونشبت معركة حامية بين الطرفين

---

(١) شنت منكش : وتسمى سيمانقة قلعة حصينة تقع على مقربة من نهر دويرة شرقي مدينة سمورة. ينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٢/ ٤١٩ .

(٢) المقتبس ، ٤٣٦/٥ .

(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٣٧ .

(٤) ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٤٣٦/٥ .

ابدى الجند العرب فيها فتوراً وتخاذلاً امام النصارى مما ادى الى خسارة المسلمين وتقهقرهم نحو الجنوب الغربي بعد ان خسر معظم الجنود حياتهم فوصل الباقون الى خندق عميق تساقط بعضهم فيه ، فلحق بهم النصارى وهجموا عليهم بشدة مما ادى الى هزيمة المسلمين وتمزق جيشهم حتى ان الناصر لم ينج من القتل الا بأعجوبة (1) .

ومهما يكن من امر فإن النتائج التي نجمت عن هذه الهزيمة لم تكن بالحجم المعطى لها بدليل ان اية تغيرات واضحة لم تحدث في الجبهة الشمالية فلم يقدم الأسبان على احتلال حصن او قلعة داخل الحدود الإسلامية كما ان رأميرو لم يتعقب فلول الجيش المنهزمة خشية كمائنهم (2) كما ان العلاقات مع الأسبان ظلت متأرجحة بين السلم والحرب فقد استمر تسيير الحملات التقليدية الى الشمال الأسباني من الخلافة مع تغيير وحيد هو ان الخليفة الاموي لم يعد يخرج بالصوائف بنفسه وذلك نتيجة طبيعية بعد الضربة التي تلقاها ليس من الأسبان بل من مواطنيه وقادته لا سيما القائد فرتون بن محمد (3) ممن خانوه وسلموه للهزيمة فكان العقاب الذي انزله الناصر بهذه الفئة المتخاذلة دليلاً على عمق هذه الخيانة (4) . وكان لهذه الفئة اسبابها العديدة اهمها ما نقموه على خليفتهم من تقديم خادم وهو نجدة بن حسين الصقلبي على قيادة الجيش دونهم مما اثار حفيظة القيادات العربية وعدوها اهانة فاضحة (5) .

---

(١) Provencal , History DEL'Espangan , vol. 2, pp.57-58, Watt: W. Montgomery , A History of Islamic Spain , (Edinburgh – 1967), PP.40-41 .

(٢) المسعودي : علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، (صيدا – ١٩٨٨) ، ٩/٢ . ابن الاثير : الكامل ، ٣٥٨/٨ . المقري : نفح الطيب ، ١٧٨/١ . وينظر : الحجي : اندلسيات ، ١٢٧/٢ .

(٣) هو فرتون بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن الطويل عامل الناصر على مدينة وشقة استدعاه الناصر فيمن استدعى من العمال للمشاركة في غزوة الخندق سنة ٣٢٧هـ . ينظر : العذري : نصوص عن الأندلس ، ص٦٨-٧١ .

(٤) قام جند الخليفة بقطع لسان ابن فرتون وصلبه على باب السدة هو وعشرة من الفرسان العرب الذين حذوا حذوه في الهزيمة . ينظر : ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٤٤٥/٥ .

(٥) ابو ضيف : القبائل العربية ، ص٣٥٠ ، ابو دياك : صالح فياض : الجيش في الأندلس زمن الإمارة والخلافة الاموية ، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية ، العدد ٧٧ ، ص٨٥ .

وقد كان استخدام الصقالبة [1] اثبت جدواه في الدولة العربية في الأندلس خاصة بعد ثبوت فشل تجربة الاعتماد على عنصري العرب والمولدين اللذين كان لهما اليد في شيوع حالة الفوضى والاضطراب في الدولة نتيجة لتغير ولائهما تجاه الدولة اما الصقالبة فكان ولاؤهم مقتصراً على الخليفة وحده لا غير لأنهم تربوا على هذا الولاء منذ ان جلبوا الى الأندلس وهم صغار فكان استخدام هؤلاء بمثابة عامل للحد من نفوذ الارستقراطية العربية في الحكم . ومما يجعل هذه الهزيمة حدثاً عابراً ذلك الهدوء النسبي الذي ساد العلاقات العربية – الأسبانية[2] بعد وفاة الملك رأميرو الثاني سنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م)[3] فالسخونة التي عرفتها الجبهة الشمالية مع مجيء هذا الملك خمدت بعد رحيله فقد عقد خلفه اردونيو الثالث الصلح مع الناصر سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م) واتبعه بسفارة في العام التالي فاشترط عليه الناصر هدم بعض الحصون الحدودية وتسليم البعض الاخر للمسلمين وقد دخل في هذا الصلح كونت قشتالة فرنان جونثالث [4] ولم يبق خارجاً عن مهادنة الناصر الا مملكة نافار لكن التطورات التي حدثت في ليون بعد وفاة اردونيو الثالث نهاية العام (٣٤٥هـ/٩٥٦م) اجبرت هذه المملكة وملكتها طوطة على طلب المساعدة من الناصر حيث اعتلى عرش ليون سانجة الأول الملقب بالسمين حفيد الملكة طوطة فثار عليه النبلاء وخلعوه متعللين بسمنه المفرط الذي يمنعه من مباشرة الحروب بنفسه [5] ونصبوا بدله ابن عمه الأمير اردونيو الرابع فالتجأ سانشو (سانجة) الى جدته طوطة التي طلبت العون بدورها من الناصر لاسترداد عرش حفيدها المسلوب وقد قدم الناصر لها العون واعاد لحفيدها عرشه مقابل شروط اهمها ان يتعهد سانشو الأول بتسليم عشرة حصون حدودية للناصر ، وعدم شن هجمات على الاراضي الإسلامية [6]. فتم عقد هذا الاتفاق بحضور الملكة طوطة وابنها غرسيه وحفيدها سانشو في

(١) الصقالبة وهم من الرقيق الابيض واصلهم من الاقوام السلافية يجلبون من بلدان اوربا الشرقية مثل بلغاريا والمجر وبلاد التشيك كانوا من الاسرى الذين تأتي بهم الجيوش الالمانية من حملاتها على بلاد الصقالبة ثم يقومون ببيعهم الى المسلمين في الأندلس في اسواق مشهورة كسوق طليطلة وسوق قرطبة . ينظر : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص١٠٦ . وينظر : متز ادم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد ابو ريدة ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٦٧) ، ٢/٣٠٠-٣٠١ .

(٢) بيضون، الدولة العربية ، ص٢١٢.

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢/٢١٧ .

(٤) المقري : نفح الطيب ، ١/٢٨٥ .

(٥) El:hajji, op.cit, P.74 .

(٦) El- hajji , op. Cit , P.76 .

قرطبة باحتفال مهيب سنة (٣٤٧هـ/٩٥٨م) [1] ولم يلبث ان توفي الناصر سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م) تاركاً مهمة مواجهة خطر هذه الممالك لإبنه وولي عهده الحكم المستنصر .

ب - الحكم المستنصر وسياسته تجاه الممالك الأسبانية الشمالية

لم تكن لدى المستنصر مشاكل داخلية ذات اهمية بعد سحق جميع التمردات والفتن في عهد ابيه الخليفة الناصر. لذا كان همه موجهاً نحو الخارج .

لقد سبقت الاشارة الى ان الناصر قد اعان الملك سانشو الأول على استرداد عرش ليون مقابل بعض الحصون تسلم للناصر لكن ما ان توفي الناصر سنة (٣٥٠هـ/٩٦٢م) حتى رفض سانشو الأول تنفيذ الاتفاق عندما طالبه الخليفة الجديد بذلك بعد ان استقامت له الامور وشعر بقوته بعد غياب الخليفة القوي [2] . استفاد الملك المخلوع اردونيو الرابع من توتر العلاقة بين سانشو الأول وحكومة قرطبة فأقدم على الوفود على الخليفة الحكم المستنصر طالباً منه المساعدة على استرداد عرش ليون فاستقبله الحكم بحرارة واحاطه بمظاهر الحفاوة الملكية ووعده خيراً [3] .

كان اردونيو الرابع على جانب من الدهاء والقدرة على استغلال المواقف ولم تكن زيارته لضريح الناصر[4] اثناء وجوده في قرطبة واظهار الاحترام والتقدير لروح الخليفة الراحل الا مظهراً من مظاهر الذكاء والمرونة لتحقيق اهدافه المنشودة [5] وبعد ان اطمأن على تحقيق اغراضه عاد من حيث اتى بعد ان تعهد للخليفة الحكم بـ :

١- ان يضع نفسه وبلاده تحت رعاية الخليفة الاموي .
٢- ان يقدم ولده غرسية رهينة لوفائه [6] .

لقد افقدت زيارة اردونيو الرابع للحكم المستنصر صواب ملك ليون سانشو واوقعه عناده في خطأ فادح فسارع الى تحسين موقفه بإرسال وفد من اكابر مملكته واحبارها الى

---

(١) المقري : نفح الطيب ، ٢٨٦/١ .
(٢) بيضون : الدولة العربية ، ص٣١٨ .
(٣) المقري : نفح الطيب ، ٣٠٢/١ ، وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٤٨٥/٢ .
(٤) المقري : المصدر نفسه ، ٣٠٣/١
(٥) El- hajji , Op.Cit , p.78
(٦) ابن خلدون : العبر ، ١٤٥/٤ ، وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٤٨٥/٢ ، المزروع : الحكم المستنصر ، ص٥١ .

الحكم يعلنون فيه خضوع ليون لحكومة قرطبة واستعدادها لتنفيذ ما تعهد به ملكها للناصر من قبل [1] خاصة بعد ان اضطربت احوال مملكته بعد قيام اهالي قشتالة بالثورة ضد تسلط ليون عليها واعلان زعيمهم فرنان جونثالث الاستقلال بقشتالة وتنصيب نفسه ملكاً عليها[2].

لكن ما حدث حينها لم يكن في الحسبان اذ توفي اردونيو الرابع نهاية عام (٣٥١هـ/٩٦٢م) فأخرج بموته سانشو من موقف صعب فعاد ونقض الاتفاق مع الحكم ثانية[3]. بعد ان تبددت مخاوفه فقام بعقد عدة محالفات مع قشتالة ونافار لتقوية مملكته. عند ذلك طلب الحكم المستنصر من الجند الاستعداد للخروج في الصائفة الى ليون وارغامها على تنفيذ اتفاقها. فخرج سنة (٣٥٢هـ/٩٦٣م) من قرطبة الى طليطلة حيث اجتمعت اليه القوات فيها وسار منها الى اراضي قشتالة فحاصر المسلمون قلعة شنت اشتبين التي سميت الغزوة بإسمها[4] واستولوا عليها وحاول الكونت فرنان جونثالث التصدي للقوات الأندلسية لكنه هزم ومزقت قواته حتى اضطر الى طلب الصلح[5] وفي الوقت نفسه ارسل الحكم جيشاً بقيادة يحيى بن محمد التجيبي حاكم سرقسطة باتجاه نافار وكان ملكها غرسيه سانشيز ابن الملكة طوطة قد اغار على الاراضي الإسلامية ناقضاً للعهد الذي عقدته امه من قبل مع الخليفة الناصر[6] فعاث في اراضيهم وحاول الملك سانشو انجاز نافار بقواته فاشتبك الفريقان في معركة هزم فيها النصارى وامتنعوا بالجبال[7] وكانت تهاجم نواحي نافار الغربية في الوقت نفسه الوقت قوة إسلامية اخرى بقيادة غالب الناصري[8] الذي داهم مدينة قلهرة وافتتحها وحصنها وشكها بالرجال والعتاد وقد شغلت

(١) ابن خلدون : العبر ، ١٤٥/٤ ، ينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٤٨٦/٢ .

(٢) عنان : دولة الإسلام ، ٥٤٣/٢ .

(٣) بدر : تاريخ الأندلس ، ص٦٦-٦٧ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٣٦/٢ .

(٥) ابن عذاري : المصدر نفسه ، ٢٣٦/٢. وينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٤٨٦/٢ .
El-hajji , Op.cit . p.80

(٦) راجع ص٨٨ من الفصل اعلاه .

(٧) عنان : دولة الإسلام ، ٤٨٦/٢ .

(٨) هو غالب بن عبد الرحمن الناصري مولى الخليفة عبد الرحمن الناصر كان أميراً للبحر زمن الناصر ثم أصبح من اكبر رجالات الدولة في عهد المستنصر أنيط به حكم الثغر الاعلى ومقره مدينة سالم ارتبط بعلاقات قوية مع الحاجب ابن ابي عامر بعد وفاة المستنصر سنة ٣٦٦هـ لكن ما لبث ان دب الخلاف بينه وبين الحاجب انتهى بقتله سنة ٣٧١هـ . ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٧٨/٢-٢٧٩ ؛ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٦٢-٦٥ . عنان : دولة الإسلام ، ٤٨٥/٢-٤٨٨ .

هـــذه الحمـــلات الاعـــوام (٣٥٢-٣٥٣هـــ/٩٦٣-٩٦٤م)[1] ويـــورد لنـــا ابن خلدون[2] انباء عن حملة قام بها القائد غالب بن عبد الرحمن الى اراضي البـة والقـلاع (قشتالة) سنة (٣٥٤هـ/٩٦٥م) وخرج معه يحيى بن محمد التجيبي و قاسم بن مطرف ابـن ذي النون واستولى بها على حصن غرماج الذي سبق ان استولى عليه القشتاليون عقب وفـاة الناصر . وتشير الروايات الى حملات اخرى قام بها المسلمون في اراضي قشتالة بين سـنتي (٣٥٥-٣٥٦هـ/٩٦٦-٩٦٧م) لكنها لا تورد اية تفاصيل عنها [3] .

هنا يجب ان نشير الى التغيرات التي حدثت في ممالك إسبانيا الشمالية خلال هذه المدة فقد توفي ملك ليون سانجة الأول سنة (٣٥٥هـ /٩٦٦م) مسموماً [4] وخلفه على العرش ابنه الطفل رذمير الثالث الذي كان تحت وصاية عمته (البيرة) كما توفي ايـضاً الكونـت فرنـان جونثالث أمير قشتالة سنة (٣٥٩هـ/٩٧٠م) وتولى الحكم بعده ابنه غرسيه فرناندز فيما تولى عرش نافار سانشو غرسيه الثاني بعد وفاة والده غرسيه سانشيز[5] .

كان تأثير هذه الاحداث في إسبانيا الشمالية كبيراً فلم تنه هذه الاحداث التحالف الـذي كان قائماً بين حكام هذه الممالك فحسب بل شجعت على قيام الكثير من الامارات المستقلة مما ادى الى اتساع الخلافات بين الأمراء الأسبان وكثرت المشاكل فيما بينهم مما ادى الى تفـرقهم شيعاً واحزاباً [6] واخذت هذه الامارات الصغيرة تبحث عن حليف يضمن لها الحمايـة ويقـدم لها العون عند تعرضها الى أي هجوم من الامارات الأسبانية الاخرى فوجـدت بغيتهـا فـي شخص خليفة قرطبة مركز القوة آنذاك وكـان اول الوافـدين عليـه أمـير جليقيـة وأميـر اشتوريش ثم وفدت رسل سانـشو الثـاني ملـك نافـار وهـم جماعـة مـن القوامـسة [7]

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ١٤٥/٤. وينظر Provencal , Op.Cit , Vol. 2, p.178

(٢) العبر ، ١٤٥/٤ .

(٣) راجع ابن خلدون : العبر ، ١٤٥/٤ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٣٩/٢.

(٤) قام بقتله الكونت غند شلب بن سانشيز حاكم جليقية وهو احد الزعماء الخارجين عن السلطة حيـث احتـال على الملك سانجة واستدرجه الى قصره في جليقية وقدم اليه فاكهة مسمومة فتناولها الملـك دون ان يخـامره الشك فلم يلبث ان توفي بعدها ينظر : عنان : دولة الإسلام ، ٥٤٣/٢

(٥) El- hajji , op.cit , p.81

(٦) المزروع : الحكم المستنصر ، ص٥٧ .

(٧) القومس : هو الاسم العربي لكلمة (Comes) اللاتينية او (Count) الانكليزية والتي كانت تعني نديم الملك ثم تطور معناها لتدل على معنى حاكم منطقة يكون متمتعاً باستقلال تام او محدود . ينظر : ابن حيـان : المقتبس ، تح: الحجي ، ص٢٥٤ ، تعليق رقم (٢٧) .

والاساقفة [1]يسألون الصلح فأجابهم الحكم الى ما طلبوا .وقد بدأ تقاطر هذه الوفود من سنة (٣٥٥ هـ/٩٦٦م) واستمر عدة اعوام ثم وفدت رسل أمير برشلونة[2] الكونت بوريل شونير وطلبوا تجديد المودة والصداقة ومعهم ثلاثون اسيراً من اسرى المسلمين وقد كان رسل غيتار معهم وغيتار هذا هو نائب الكونت بوريل على مدينة برشلونة[3] وقد اكرم الحكم وفادتهم واستقبلهم استقبالاً حافلاً وانزلهم منيه نصر[4] وقد تقبل الحكم رغبتهم بالسلم والصداقة.[5] كما وفدت سنة (٣٦٠هـ/٩٧١م) الراهبة البيرة الوصية على ملك ليون ردمير الثالث فاستقبلها الحكم المستنصر أعظم استقبال واحتفل بقدومها في الزهراء احتفالاً جليلاً[6] كما وفدت سفارة من غرسية فرناندز أمير قشتالة تطلب السلم ايضاً[7] وهذا يدل على ما وصلت اليه الخلافة الإسلامية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر من قوة وعظمة وذيوع الصيت.

بعد رحيل تلك الوفود التي قدمت على الحكم المستنصر وحينما كان يعد عدته للحرب على الفاطميين في بلاد المغرب استغل النصارى لا سيما أمير قشتالة ذلك للخروج والتمرد. ففي سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) قام غرسية فرناندز أمير قشتالة بالاغارة على اراضي المسلمين واقتحم بجيشه حصن دسة الواقع شمال شرقي مدينة سالم وقاموا باحراق المزروعات واستاقوا الماشية فخرج في اثرهم زروال ومضاء ابنا عمريل بن تيملت[8] والياً المنطقة التي احرقها النصارى فاستنقذوا ماشيتهم وقتلوا عدداً من النصارى لكن النصارى تكاثروا عليهم بعد ذلك ووقعت بينهم معركة قتل فيها زروال[9] . حدث ذلك في وقت كان فيه غرسية قد بعث رسله الى قرطبة في طلب السلم والمهادنة فاجابهم الحكم الى ما طلبوه وما كادوا ينصرفون حتى

---

(١) الاسقف : هو نائب البطريرك الذي هو رئيس الملة النصرانية الذي يرعى شؤونهم الدينية ينظر : ابن خلدون : المقدمة ، ١٨٤/١ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، تح: الحجي، ص٢١.

(٣) ابن حيان: المصدر نفسه، ص٢١ .

(٤) منية نصر: تعني المنية عند الأندلسيين الحديقة او العزبة ومنية نصر بناها الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ) خارج مدينة قرطبة على ضفاف نهر الوادي الكبير . ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٥٤٨.

(٥) ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٢٢.

(٦) ابن خلدون: العبر، ١٤٦/٤ ؛ المقري: نفح الطيب، ٢٩٩/١. وينظر : عنان: دولة الإسلام، ٤٨٩/٢ .

(٧) عنان : دولة الإسلام، ٤٨٩/٢ .

(٨) ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص١٨٧ .

(٩) ابن حيان :المقتبس، تح: الحجي، ص ١٨٨.

جاءت الانباء للحكم بما قام به القشتاليون من الاعتداء على اراضي المسلمين فبعث الحكم لوقته من يقبض على السفراء القشتاليين واودعهم السجن[1] .

لم يكتف غرسية بذلك بل نظم تحالفاً ضم ليون ونافار وهاجموا حصن غرماج سنة (٣٦٤هـ/٩٧٤م) فلما وصل للخليفة خبر نقض الأسبان للصلح المعقود بينهم ابدى استعداده للموقف فاستدعى وزيره وقائده غالب بن عبد الرحمن وامره بالاستعداد للخروج بالعساكر لصد النصارى فنفذ الوزير الامر وخرج بجيشه نحو الثغر الاوسط وقد امده المستنصر بكل الامدادات اللازمة.[2]

وقد ساعدت هذه الامدادات السريعة التي ارسلها الحكم في شد ازر المسلمين وتقوية عزائمهم فاستطاعوا الاحاطة بالقشتاليين والاستيلاء على ما في ايديهم من غنائم وفي ذلك يقول ابن حيان[3] : (وفي يوم الاثنين لعشر بقين من شوال من سنة (٣٦٤هـ/٩٧٤م) ورد خبر الفتح العظيم وهزيمة المشركين المتألبين على اهل حصن غرماج ونكوصهم عنه خائبين بعد حصارهم له اربعة وسبعين يوماً... وكانوا قد احاطوا بالحصن في ستين الفاً وقيل اكثر من ذلك فخذلهم الله وهزمهم وفرق ملأهم... وبدد شملهم...).

ومما تقدم يمكن تسجيل بعض النتائج الخاصة بالعلاقات بين الدولة العربية في الأندلس والممالك الأسبانية الشمالية:

فمن الناحية العسكرية استطاع الخلفاء في هذه المدة القضاء على بعض المراكز الحصينة التي اقامها الأسبان على ضفة نهر دويرة اليمنى مثل حصن اوسمة وغرماج وحصن شنت اشتبين التي تعد نقاطاً استراتيجية للجيوش العربية المتقدمة باتجاه ممالك الأسبان كما اجبر الأسبان على تقديم الولاء لحكومة قرطبة حيث أصبحت قرطبة مركز التوجيه السياسي وقدمت اليها الوفود من كل هذه الممالك لتقديم ايات الخضوع[4] لكن ملوك الشمال مهما بلغ من خضوعهم للخلفاء الامويين في هذه المدة الا انهم لم يصلوا الى حد انقلابهم الى رؤساء الجماعات من اهل الذمة كأفراد الاسرة القوطية الحاكمة عند الفتح الأول للاندلس بل كان مجرد تبعية اسمية للخلفاء[5] وربما هنالك ما يؤاخذ عليه المسلمون من انهم لم يستوطنوا

---

(١) ابن حيان: المصدر نفسه، ص١٨٩ . وينظر : عنان: دولة الإسلام، ٤٩٦/٢، المزروع: الحكم المستنصر، ص٦٢ ، El-Hajji, op. Cit., pp.96-97 .

(٢) ابن حيان: المقتبس، ص ٢١٨-٢١٩ ، وينظر : Provencal, op. Cit., vol.2, p. 183 .

(٣) المقتبس: تح: الحجي، ص ٣٣٤-٣٣٥ .

(٤) راجع ص (٩٩) اعلاه .

(٥) Watt, op. Cit., pp. 41-42 .

المناطق التي تم الاستيلاء عليها من يد الأسبان ويمكن ان نرجع ذلك الى ان المسلمين قد مضى على استقرارهم في الجنوب زمن طويل كما ان مناخ الشمال لا يلائمهم بسبب برودته وقسوته[1] .

ثانياً- خطر النورمان

ومن التحديات الخارجية التي واجهت الأندلس هجوم النورمان على بعض سواحل الأندلس وللتعرف على طبيعة هذا التحدي لا بد من معرفة اصل هذه الاقوام والاسباب التي دعتهم الى الهجوم على الأندلس ونشاطهم في عصر الإمارة وعصر الخلافة حتى سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م) .

أ- اصل النورمان

ذكرت هذه الاقوام في المصادر بعدة اسماء منها النورمان او الفايكنغ والاردمانيون والمجوس ولفظ النورمان كلمة محرفة عن اللفظ اللاتيني (Northmen) أي سكان الشمال وكذلك لفظ الاردمانيين مشتقة من الكلمة اللاتينية (Nordmanni) وهذا اللفظ محرف عن النورمانيين وفقاً لعادة الأندلسيين في قلب النون همزة مثل اربونة ونربونة[2] .

اما كلمة الفايكنغ فهي مشتقة من كلمة (Vikingos) أي سكان الخليج او الفيورد وقد اطلقت هذه التسميات عليهم نظراً لانهم يسكنون مناطق شبه جزيرة اسكديناوه الواقعة شمال غرب اوربا المليئة بالخلجان[3] .

اما تسمية المجوس فقد اطلقها عليهم العرب المسلمون في الأندلس لانهم يشعلون النار في كل مكان يحلون فيه حتى انهم يقومون بحرق موتاهم فظن العرب انهم يعبدون النار

---

(١) بدر : تاريخ الأندلس ، ص٧٧ .

(٢) العبادي: احمد مختار وآخرون: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية-د.ت)، ١٥٢/٢، المزورع، الحكم المستنصر، ص٦٤. وينظر Provencal, op. Cit., Vol.1,p.219 .

(٣) عمران: محمود سعيد: معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، (بيروت-١٩٨٦)، ص٢٣١ وينظر : El-hajji, op. Cit., p. 155 .

كالزرادشتية والمجوس[1] ولا يستبعد ان يكون هؤلاء حقاً عبدة للنار لانهم آنذاك لم يكونوا على دين النصرانية بعد بل كانوا اقواماً وثنية.[2]

والنورمان امة بحرية عريقة ترجع اصولهم الى الجرمان او التيونيون وينقسمون الى ثلاث مجموعات (السويديين والنرويجيين والدنماركيين او الداينين) والمجموعة الأخيرة هي التي هاجمت الأندلس[3].

وكان النورمان محاربين من الطراز الأول اشتهروا بجرأتهم في جوب البحار وبراعتهم في مواجهة الظروف الجوية القاسية[4] وكانت عدتهم الحربية تتكون من فأس وحربة طويلة ودرع من حديد[5] وقواربهم مشهورة بطولها وسرعة تحركها وتسمى بـ(القراقير)[6] .

كانت الاسباب التي دفعت هؤلاء النورمان الى الغزو بصورة عامة تتراوح بين اسباب جغرافية وسياسية ونفسية فقد كان لطبيعة بلادهم الجبلية المليئة بالمستنقعات والمياه التي لا وجود فيها الا لسهول ضيقة لا يمكن استغلالها او الاستفادة منها اثر في اتجاههم الى غزو المناطق الغنية[7] .

كما ان النورمان كانوا اقواماً تكره الخضوع للقوانين وتود البقاء حرة بعيداً عن كل ما يقيد هذه الحرية فكان نشوء الملكية في هذه الاقوام في منتصف القرن التاسع الميلادي عاملاً ادى الى هجرة الكثير من النورمان وانسياحهم في الشواطيء الاوربية بحثاً عن رزقهم عن طريق السلب والنهب[8] كما قدم البعض السبب النفسي يكون أحد الاسباب التي اضطرت

---

(١) العبادي وآخرون: تاريخ البحرية الإسلامية، ١٥٢/٢.

(٢) عنان: دولة الإسلام، ٢٥٩/١، الكبيسي: خليل ابراهيم: غزوات النورمانيين على الأندلس في عصر الإمارة الاموية، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، عدد(٤٠)، سنة ١٩٨٩، ص١٤٥.

(٣) El-hajji, op. Cit., p. 156.

(٤) عنان: دولة الإسلام، ٢٥٨/١.

(٥) عاشور: سعيد عبد الفتاح: تاريخ اوربا في العصور والوسطى، دار النهضة العربية، (بيروت-١٩٧٢)، ص١٧٥.

(٦) القراقير: جمع مفردها (القرقور) أي السفينة الطويلة العظيمة. ينظر: مصطفى: ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة العلمية، (طهران-د.ت)، ٧٣٦/٢.

(٧) عاشور: تاريخ اوربا، ص١٧٥ ، المزروع: الحكم المستنصر، ص٦٦.

(٨) عاشور: تاريخ اوربا، ص١٧٦، فيشر: أ.ل: تاريخ اوربا في العصور الوسطى، نقله الى العربية محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، دار المعارف، (مصر-١٩٥٧)، ١١٦/١.

هؤلاء الى الاغارة على البلدان الاخرى فيقول عاشور[1] ان شعور الحسد والطمع الذي يغلب على الشعوب المتاخرة يدفعهم الى الهجوم على البلدان المترفة لنهب ثرواتها او على الاقل مشاركتها حضارتها.

وتظل كل هذه الاسباب موضع نظر وجدل وتبقى حقيقة تنامي القوات النورمانية وبلوغها اوج قوتها في العدد والعدة وتفوقها على قوات الآخرين من بين الاسباب التي دفعت النورمان لمغادرة مواطنهم الاصلية والتعرض لاوربا والأندلس ومن ثم المغرب العربي بغارات خلفت وراءها الكثير من الدمار[2] ومما يعزز هذا الرأي ما ذكره عاشور[3] من ان الفريزيين الذين كانوا اعظم القوى البحرية والتجارية شمال غرب اوربا منذ القرن السادس الميلادي حتى منتصف القرن الثامن الميلادي لم يعد لهم وجود بعد ان قضى على قوتهم الملك شارلمان سنة ٧٨٥م فأصبح طريق التوسع تجاه الجنوب مفتوحاً دون عقاب امام النورمان.

ب- غزوات النورمان في عصر الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)

لقد تعرضت الأندلس خلال عصر الإمارة الى ثلاث هجمات منفصلة شنها النورمان على الشواطيء الغربية للاندلس[4] وقد حددت مصادرنا الإسلامية تاريخ الهجمة الأولى في ذي الحجة سنة ٢٢٩هـ/آب سنة ٨٤٤م في عهد الأمير عبد الرحمن الاوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٧م)[5] وكانت قوة النورمان متكونة من ٥٤ مركباً[6] طرقت مراكبهم في هذه الغارة السواحل الغربية للاندلس لا سيما مدينة اشبونة[7] التي عاث فيها النورمان قتلاً ونهباً واقاموا بها حوالي ثلاثة عشر يوماً[8] ثم سارت قواتهم بمحاذاة الساحل

---

[1] تاريخ اوربا، ص١٧٥.

[2] مطلوب: ناطق صالح: غارات النورمان على الأندلس في عصر الإمارة، بحث منشور في مجلة اداب الرافدين، العدد(٣٤)، سنة ٢٠٠١م، ص١٠٦.

[3] تاريخ اوربا، ص ١٢١ .

[4] ينظر : خارطة رقم (٤).

[5] ابن الاثير : الكامل، ١٦/٧-١٧؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص٢٠؛ ابن خلدون: العبر، ٢٨١/٤-٢٨٢؛ المقري: نفح الطيب، ٣٤٥/١.

[6] العذري: نصوص عن الأندلس، ص٢٩٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٨٧/٢.

[7] اشبونة: مدينة قديمة يقال لها ايضاً لشبونة من اعمال باجه تقع الى الغرب منها وتقع على البحر المحيط يتصل عملها بعمل شنترين وتحتوي على معادن ثمينة ولها سور عظيم البنيان ينظر: الحموي: معجم البلدان، ١٩٥/١؛ القزويني: اثار البلاد، ص٥٥٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص٦١.

[8] العذري: نصوص عن الأندلس، ص٩٩ ، ينظر : مطلوب: غارات النورمان، ص١٠٩.

نحو الجنوب إلى مدينة قادس[1] وتجمعت عند مصب نهر الوادي الكبير فاطبقت عليه واغارت على جزيرة قبطيل[2] في الثامن من محرم من سنة ٢٣٠هـ/تشرين الأول سنة ٨٤٤م وتحصنوا بها وجعلوا منها معسكراً يشنون منه غارتهم المقبلة[3] وبعد ثلاثة ايام هاجمت قوة صغيرة منهم قرية قورة[4] واحتلتها ثم توجهت في اليوم التالي الى اشبيلية فاستباحها الغزاة اياماً و(لم يرفعوا السيف عن كل ذي روح ظفروا به من الرجال والنساء والصبيان... وكل ما تناولته سيوفهم وسهامهم)[5] ويرجع احتلال النورمان لإشبيلية بهذه السهولة الى عدة اسباب منها[6]:

١- ان اهل اشبيلية لم يتوقعوا مهاجمة النورمان لمدينتهم لبعدها النسبي عن الساحل.
٢- لم يحسب اهل اشبيلية حساباً لنهر الوادي الكبير الذي سلكته قوات النورمان في الوصول الى المدينة ولهذا كان الهجوم اشبه بمفاجأة لاهل اشبيلية مما اثر في معنويات البعض منهم.
٣- سرعة وصول قوات النورمان للمدينة فلم يستغرقوا ثلاثة ايام.
٤- كثافة القوات النورمانية وتنوع معداتهم القتالية.
٥- خلو المدينة من الاسوار والتحصينات.

ولم يكد يمضي على الهجمة الأولى خمسة عشر عاماً حتى عاود النورمان غزوهم لشواطيء الأندلس وذلك بالتحديد سنة (٢٤٥هـ/٨٥٦م) زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٧-٨٨٦م) بقوة قدرتها المصادر بـ(٦٢) مركباً[7] لكنهم وجدوا سواحل الأندلس على غير ما كانت عليه في الحملة الأولى فقد كانت السواحل محروسة والدوريات ترقب تحركات المراكب النورمانية فواصلت القوات النورمانية تقدمها وعند نهر الوادي الكبير التقت هذه القوات بالقوات الأندلسية وخاضت معها معركة انسحبت في اثرها القوات

---

(١) قادس: تقارب اعمال شذونة غربي الأندلس طولها ٢٤كم وعرضها من اوسع المواضع(٢)كم بينها وبين البر خليج صغير وبها مزارع كثيرة الريع، ينظر: الحموي: معجم البلدان، ٤/٤٩٠.

(٢) القبطيل: جزيرة تقع عند نهاية وادي طرطوشة ويعرف بالعسكر لانه موضع عسكر فيه النورمان واحتفروا حوله خندقاً اثره لا يزال باقياً الى الان. ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٤٥٠.

(٣) الحميري: الروض المعطار، ص٤٥٠، ينظر : مطلوب: غارات النورمان، ص١١٠.

(٤) قرية تبعد عن اشبيلية ٢٤ كم . ينظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص٩٩.

(٥) العذري: المصدر نفسه، ص٩٩.

(٦) مطلوب: غارات النورمان، ص١١١-١١٢.

(٧) ابن حيان: المقتبس، تح: المكي، ص٣٠٨، ويقدرها العذري بثمانين مركباً ينظر: نصوص عن الأندلس، ص١١٨.

النورمانية نحو الجنوب فنزلوا الجزيرة الخضراء وهاجموا حاضرتها واستباحوها اياماً حتى انهم احرقوا مسجدها الجامع[1] .

ويبدو ان النورمان لم يحققوا اية مكاسب من هجومهم على الجزيرة فجربوا الدخول في البحر المتوسط لاول مرة في تاريخهم[2] فشنوا غارتهم على بعض مناطق المغرب العربي كمدينة نكور[3] وسلبوا ونهبوا كل ما قدروا عليه وامضوا فيها ثمانية ايام[4] ثم اقلعوا عائدين الى السواحل الشرقية فاغاروا على تدمير واريولة[5] ثم هاجموا شذونة لكن القوات البحرية الأندلسية تصدت لهم فانسحبوا من الميدان عائدين إلى بلادهم[6] .

اما الغارة الثالثة فكانت سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م) ولا يمكن عدها غارة منفصلة لكنها هي امتداد لتلك الغارة السابقة[7] وهو ما يذكره ابن خلدون[8] بقوله (ان ما بين انفصال النورمان عن مياه الأندلس وعودتهم اليها مرة اخرى سنة ٢٤٧هـ كانت اشهر) لذلك لم نجد اية اشارة عن حجم القوات النورمانية ولا عن الجهة التي ظهروا فيها في هذه الغارة اذ يبدأ حديثهم دون مقدمات عن مرور مراكبهم عند البحيرة في الجزيرة الخضراء حيث واجهت ريحاً عاصفاً اغرقت لهم اربعة عشر مركباً[9] والمتفق عليه ان قوات النورمان في هذه المرة عادت خائبة بعد ان عجزت عن ايجاد ثغرة على السواحل الأندلسية تعينها على النزول الى

---

(١) ابن حيان: المقتبس، تح: المكي، ص٣٠٨، العذري : نصوص عن الأندلس، ص١١٨-١١٩.

(٢) مطلوب: غارات النورمان، ص١٢١.

(٣) مدينة نكور: مدينة كبيرة في المغرب بالقرب من مدينة مليلة بينها وبين البحر ١٨كم ولها اربعة ابواب سورها من اللبن واسواقها عامرة سميت نكور نسبة الى النهر القريب منها. ينظر: الحميري: الروض العطار، ص٥٧٦.

(٤) العذري نصوص عن الأندلس، ص١١٩ ، ينظر: مطلوب : غارات النورمان، ١٢٢.

(٥) اريولة : مدينة قديمة بينها وبين مرسية ٢٤ كم وبينها وبين قرطاجنة ٩٠ كم . ينظر الحميري: الروض المعطار ، ص٦٧.

(٦) العذري: نصوص عن لاندلس، ص ١١٩.

(٧) مطلوب: غارات النورمان، ص١٢٢.

(٨) العبر، ٢٨٢/٤.

(٩) ابن حيان: المقتبس، تح: المكي، ص٣١١ ؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص١١٩. وينظر : الحجي، تاريخ الأندلس، ص٢٣٩.

البر[1] او كما يقول ابن حيان[2] (فلم يكن لهم في هذه الكرة من الانبساط في البحر والاضرار باهل السواحل ما جرت به عادتهم ولم يجدوا في السواحل مطمعاً لشدة ضبطها).

ومن ذلك الاستعراض المختصر لغارات النورمان على الأندلس في هذه المدة يمكن اجمال اهم النتائج التي تمخضت عن هذه الغارات وهي كما يلي:

١- اثبتت هذه الهجمات النورمانية قدرة الأمير عبد الرحمن الاوسط الادارية من خلال حشده للقوات ومتابعة ارسالها الى ميادين القتال ومحاسبة المقصرين ولا يمكن غض النظر عن تهاون واهمال بعض اولي الامر من عمال الثغور البحرية الأندلسية الذين لا بد قد طرقت اسماعهم انباء هجمات النورمان على البلدان الاخرى لا سيما الغارات العنيفة التي تعرضت لها بلاد الافرنج سنة (٢٢٩هـ/٨٤٤م) وضرب النورمان لسواحل مملكة اشتوريش المجاورة للاندلس لكنهم لم يحركوا ساكناً الا بعد ان ظهرت مراكب النورمان قبالة الساحل الأندلسي.[3]

٢- دفعت هذه الغارات حكومة قرطبة الى محاولة تحصين السواحل التي يمكن ان يطرقها غزاة البحر من الغرب والجنوب الغربي واعدادها بوسائل الدفاع واصلاح ما خربه النورمان منها وتجهيز مدينة اشبيلية بالجند والعتاد وتحصينها اذ كانت لا تحتوي على حصون ولا اسوار مما جعل النورمان يسيطرون عليها بسهولة ولم يرفعوا السيف عن كل من صادفوه في طريقهم.[4]

٣- نتج عن هذه الغارات ان شهدت البحرية الأندلسية نمواً سريعاً وقوياً فعجز النورمان عن الوقوف امامها في هجومهم الثاني ومنوا بخسارة فادحة وفي هذا الشأن يقول ابن القوطية[5] (واستعد الأمير عبد الرحمن بن الحكم فامر باقامة دار صناعة في اشبيلية وانشأ المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس فالحقهم ووسع عليهم بآلات النفط).

---

(١) مطلوب: غارات النورمان ، ص١٢٣ .

(٢) المقتبس، تح: المكي، ص ٣١١.

(٣) مطلوب: غارات النورمان، ص١١٢.

(٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٤ . وينظر: مطلوب: غارات النورمان، ص١١٢ .

(٥) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٨.

٤- كان من النتائج المهمة الاخرى تبادل الوفود بين الأمير عبد الرحمن بن الحكم والملك هوريك ملك النورمان الدانيين وكانت هذه السفارة برئاسة الشاعر الأندلسي يحيى بن الحكم البكري المعروف بالغزال[1] وقد افرد عبد الرحمن الحجي[2] فصلاً كاملاً في كتابه العلاقات الدبلوماسية مع أوربا الغربية لمناقشة موضوع سفارة الغزال الى بلاد النورمان ويذكر ان النورمان قاموا بإرسال سفير إلى البلاط القرطبي سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م) حاملاً الهدايا والتحف النفيسة طالباً من الأمير عبد الرحمن الثاني عقد معاهدة سلام بين الطرفين فأجابهم الأمير الى طلبهم وأرسل معهم سفيراً من عنده هو يحيى الغزال لتوثيق هذا السلام[3] ثم يذكر تفاصيل رحلة الغزال الى بلاد النورمان والحوادث التي صادفته هناك في بلادهم[4] ويناقش الحجي في كتابه آراء بعض المستشرقين الذين ينفون حصول مثل هذه السفارة كالمستشرق ليفي بروفنسال الذي استبعد حدوث هذه السفارة وعدها مجرد رواية شعبية لفقت فيما بعد خلال القرن السادس او السابع الهجري وان الغزال لم يقم الا بسفارة واحدة الى القسطنطينية سنة (٢٢٥هـ/٨٤٠م) وقد دعم رأيه هذا بانه لم يرد في كتب المؤرخين الأندلسيين أي ذكر لهذه السفارة عدا المؤرخ ابن دحية الكلبي (ت٦٣٣هـ) صاحب كتاب المطرب في اشعار اهل المغرب الذي يشكك بروفنسال في صحة روايته لكن الحجي فند رأيه بالقول ان هناك العديد من الاحداث التي حدثت في التاريخ الأندلسي لم يذكرها سوى مؤرخ واحد كما اكد ان ابن دحية لم يكن رجلاً موثوقاً فقط بل كان مرجعاً للمؤرخين الذين جاؤوا بعده ولم يكن لديه أي دافع لاختلاق قصة السفارة بل اورد هذه القصة اثناء حديثه عن شخصية الغزال الادبية كونه احد اعلام الشعر والادب الأندلسي، كما ان هذه السفارة لو كانت مختلقة لقدمت بصورة مختلفة ولكانت مملوءة بالمبالغات والقصص الخيالية حول الفايكنغ وهذا ما لم نجده في رواية ابن دحية هذه[5] .

---

[١] المقري: نفح الطيب، ٢٥٤/٢. وينظر: الحجي: تاريخ الأندلس، ص٢٣٣ ، الكبيسي: غزوات النورمانيين، ص١٥٠، الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ١٩٢/٢.

[٢] EL-hajji, op. Cil, pp. 182-202 .

[٣] EL-hajji, op. Cit., p. 172.

[٤] EL-hajji, op. Cit., pp. 176-182.

[٥] EL-Hajji, op. Cit., pp. 186-191.

وينهي الحجي[1] بحثه بالقول ان سفارة الغزال الى بلاد النورمان هي حقيقة واقعة على الرغم من كل الادعاءات الواهية التي يقدمها البعض بقصد تشويه الحقائق.

ج- غزوات النورمان في عصر الخلافة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢-٩٧٩م)

لم تفدنا المصادر بأية معلومات عن قيام النورمان بأية غارة في زمن الخليفة عبد الرحمن الثالث الا انه يلاحظ ان الخطر النورماندي قد اتخذ طابعاً مستقراً يختلف عما كان عليه في عصر الإمارة فقد استطاعوا الحصول على قاعدة مستقرة لهم بالقرب من ثغور الأندلس وسواحلها الشمالية[2] فاستطاع زعيمهم المدعو رولون الحصول على مقاطعة نورماندیا الواقعة جنوب غرب بلاد غالة (فرنسا حالياً) بموجب معاهدة سانت كلير الشهيرة[3].

وقد شكلت هذه القاعدة النورماندية خطراً شديداً على الأندلس عن طريق الحملات البحرية التي كانت تخرج من موانئها وتغير جنوباً على السواحل الغربية للاندلس فضلاً عن الحملات العسكرية البرية التي كانت تعبر جنوب غالة وتهاجم الثغور الأندلسية الشمالية[4] كذلك فإن انتشار الديانة النصرانية في صفوف النورمان في اواخر القرن التاسع الميلادي[5] اثر في جعل حملاتهم على الشمال الأندلسي تأخذ طابعاً دينياً متمثلاً بالصراع بين الإسلام والنصرانية.

وازاء هذه التطورات احس الناصر بوجوب تحصين شواطيء الأندلس وبناء قوة تحمي الأندلس بحرياً فقام ببناء عدد من دور الصناعة في الكثير من المدن الأندلسية

---

(١) op. cit., p. 22

(٢) العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢١٥.

(٣) سانت كلير: وهي المعاهدة التي عقدت بين رولون زعيم النورمان والملك شارل البسيط ملك الدولة الكارولنجية في فرنسا سنة ٢٩٩هـ/٩١١م في مدينة سانت كلير الفرنسية التي بموجبها تنازل الملك شارل البسيط عن مقاطعة نورماندیا الواقعة جنوب غربي فرنسا الى النورمان. ينظر: عاشور: تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ص١٨٦-١٨٧.

(٤) العبادي : المرجع السابق، ص٢١٥.

(٥) فيشر: تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ١٢٧/١ ، عمران: معالم تاريخ اوربا، ص٢٣٢ .

كالمرية[1] وطرطوشة والجزيرة الخضراء وغيرها من المدن مستفيداً من غنى الأندلس بالمواد الأولية الخاصة بصناعة السفن لا سيما الاخشاب[2] .

فازدادت نتيجة لذلك وحدات الاسطول الأندلسي حتى وصلت في عهده الى اكثر من ثلاثمائة مركب[3] تمركزت هذه الوحدات في قاعدتين مهمتين الأولى قاعدة المرية الحصينة التي اتخذت لمواجهة الخطر الفاطمي في الجنوب فيما كانت الاخرى قاعدة اشبيلية التي تطورت كثيراً في عهد الناصر وأصبحت مقراً للاسطول المرابط في المحيط الاطلسي لمواجهة الخطر النورماندي[4] .

لكن الاستعدادات التي قام بها الخليفة الناصر لم تمنع من وقوع المحظور ففي عهد ابنه الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) وتحديداً في سنة (٣٥٥هـ/٩٦٥م) وردت الانباء عن ظهور النورمان في سواحل الأندلس الغربية لا سيما مدينة قصر ابي دانس[5] في ثمانية وعشرين مركباً واشتباك المسلمين معهم في اشبونه[6] وكان اسطول اشبيلية لهم بالمرصاد فقد اقتحم عليهم مدينة شلب[7] وحطموا لهم عدة مراكب وقتلوا عدداً منهم واستنقذوا ما كان بايديهم من المسلمين وعلى اثر ذلك انهزموا خاسرين[8] .

---

(١) المرية: مدينة كبيرة مستطيلة الشكل فيها مرفأ ومرسى للسفن الكبيرة على البحر المتوسط ويقال ان اسمها مشتق من كلمتين عربيتين هما (مرأة البحر) وهي من ثغور الأندلس الجنوبية المهمة سقطت بيد القشتاليين سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م. ينظر: الحموي: معجم البلدان، ١١٩/٥، عنان: الاثار الأندلسية، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٢) سالم: السيد عبد العزيز: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، دار النهضة العربية، (بيروت-١٩٦٩) ، ص٣٧.

(٣) ابن الخطيب: الاحاطة في اخبار غرناطة، ٤٧٩/١. ينظر: العبادي وآخرون: تاريخ البحرية الإسلامية، ١٨١/٢، سالم: تاريخ مدينة المرية، ص٤٢.

(٤) سالم: تاريخ مدينة المرية، ص٤٣ .

(٥) قصر ابي دانس: ثغر بغربي الأندلس يقع جنوب شرقي مدينة اشبونة . ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٤٧٥.

(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٣٩/٢. ينظر: العبادي وآخرون: تاريخ البحرية الإسلامية، ١٨٢/٢.

(٧) مدينة شلب: قاعدة كورة اكشبونية تقع جنوب مدينة باجة لها بسائط فسيحة وتأتي بعد اشبيلية في الاهمية وهي مدينة مرتبة الاسواق بديعة البناء سكان قراها من العرب اليمانية بينها وبين باجة ثلاثة ايام وبينها وبين قرطبة عشرة ايام. ينظر: الحموي: معجم البلدان، ٣٥٧/٣-٣٥٨، الحميري: الروض المعطار، ص٣٤٢، ابن غالب: فرحة الانفس، ص٢٩١.

(٨) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٣٩/٢، وينظر: العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٣٧، المزروع: الحكم المستنصر، ص٧٤.

ثم عادت قطعات الاسطول الأندلسي الى قاعدتها في اشبيلية محملة بـأوامر الخليفة المستنصر بالتأهب والاستعداد الدائم لاي طاريء.

لقد عمل الحكم المستنصر منذ توليه الخلافة على تدعيم تحصينات الأندلس البحرية ضد هجمات النورمان ويروي ابن عذاري[1] ان الخليفة المستنصر امر بصنع مراكب على هيئة مراكب المجوس (النورمان) ووضعها في نهر الوادي الكبير لتكون على اتم الاستعداد لمواجهة هجومهم وكان قراره هذا نابعاً من قناعته بقوة مراكب النورمان وقدرتها على التحرك بسرعة فائقة اثناء الهجوم.

كما كان المستنصر يرسل العيون والجواسيس الى المدن الأسبانية الشمالية القريبة من اماكن تواجدهم ليعرف اخبارهم ويرصدها[2] . كما كانت له اتصالات مع الحكام الأسبان غرب جليقية ليعلموه بتحركاتهم في وقته فقد اشار ابن حيان[3] الى احدى السفارات التحذيرية التي ارسلها حاكم جليقية المسمى غند شلب الى المستنصر يخبره فيها وظهور المجوس في سواحل إسبانيا الغربية، مما دعا الحكم الى اصدار اوامره الى قادته يأمرهم بالتأهب والاستعداد لملاقاة النورمان لكنه لم يحدث شيء مما كان يخشاه الحكم لان النورمان بمجرد سماعهم بالاستعدادات التي رصدها المسلمون لحربهم عادوا من حيث اتوا خائبين وكان ذلك عام (٣٦٠هـ/٩٧٠م).[4]

عاود النورمان هجومهم سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) على السواحل الغربية للاندلس علهم يحققون بعض المكاسب التي فشلوا في تحقيقها في المرة السابقة لكنهم صدموا ايضاً بقوة ومناعة الثغور الأندلسية فارتدوا خائبين.[5]

ومن هنا نلاحظ يقظة الخليفة الحكم المستنصر ومتابعة السير على سياسة والده الناصر بالاهتمام بامر الاسطول والعمل على زيادة قطعاته وقد قدر ابن الخطيب[6] هذه

---

(١) البيان المغرب، ٢٣٩/٢.

(٢) ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٩٣ .

(٣) ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٢٧.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ٢٤١.

(٥) ابن حيان: المقتبس، ص٦٧، وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٤٨٩/٢، المزروع: المرجع السابق، ص٧٦ ، النقيب: المرجع السابق، ص٢٣٦.

(٦) ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص٤٢.

الزيادة في عهد المستنصر بـ(٦٠٠) مركب بين غزوي[1] وغيره. فضلاً عن الصوائف البرية والبحرية التي كانت تتجه الى الساحل الغربي الأندلسي كل عام وتتجول فيه براً وبحراً لرصد تحركات النورمان وتتبع اخبارهم في النواحي الغربية التي اعتادوا الظهور فيها.[2]

وكان يقود هذه الحملات البرية والبحرية رجال يعدون من امهر القادة العسكريين مثل القائد غالب بن عبد الرحمن وأمير البحر عبد الرحمن بن رماحس[3] وقد كان لهذه الصوائف والحملات اثرها في تخفيف اثار غزوات هؤلاء الشماليين وأفقدتهم عامل المباغتة الذي استعملوه في هجماتهم السابقة وبذلك استطاعت الأندلس التغلب عليهم وانزال الهزائم المنكرة بهم.

---

(١) المركب الغزوي: هي المراكب المقاتلة التي تمتاز بطولها وسرعتها وتسمى بالغربان ايضاً لانها تطلى بالاطلية السوداء المانعة للماء كالزفت وغيره فتصبح بسوادها شبيهة بالغربان ومن مزاياها انها تحتوي على جسر خشبي (سقالة) يستعمله الجنود للعبور على مراكب العدو فيقاتلونهم بالاساليب البرية. راجع ماهر: سعاد : تاريخ البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار الكتاب العربي ، (القاهرة-١٩٦٧)،ص٣٥٩.

(٢) ابن حيان : المقتبس، تح: الحجي، ص٧٨-٧٩.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن رماحس القائد العام للاساطيل الأندلسية ينتمي الى اسرة الرماحس بن عبد العزيز الكناني الذي كان والياً للأمير عبد الرحمن الداخل على الجزيرة الخضراء ثم ثار عليه فحاربه الداخل حتى اضطر للهرب الى المشرق ولجأ الى العباسيين. اما عبد الرحمن فقد تدرج في المناصب العسكرية البحرية حتى أصبح حاكماً لكورة البيرة بكاملها في عهد المستنصر ثم قضى عليه الحاجب المنصور بن ابي عامر سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م . ينظر: مجهول: اخبار مجموعة ، ص١٠٢؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص٨٢، وينظر: سالم: تاريخ مدينة المرية، ص٤٧.

الفصل الرابع

الأندلس والدولة الفاطمية

الفصل الرابع

الأندلس والدولة الفاطمية

أولاً- قيام الدولة الفاطمية في المغرب العربي

كانت السلطة السياسية بالمغرب العربي عند ظهور الدولة الفاطمية موزعة بين كيانات سياسية مستقلة منها الادارسة الذين استطاعوا ان يقيموا دولتهم بجهود زعيمهم ادريس إبن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب سنة (١٧٢هـ/ ٧٨٨م) [1] في منطقة المغرب الاقصى [2] والاغالبة [3] الذين اقامتهم الدولة العباسية في منطقة المغرب الادنى [4] ليحدوا من ثورات الخوارج- الذين كونوا دولاً بالمغرب كدولة بني مدرار بسجلماسة [5] ودولة الرستميين في تاهرت [6] – سنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م) ، ويفهم من ذلك ان المغرب لم يكن موحداً فكان ذا ارضية سياسية جيدة لقيام الدولة الفاطمية التي بدأت تمارس نشاطها لنشر

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٩٨/١. وينظر : الصباغ : لمياء عز الدين ، قيام دولة الادارسة ، بحث منشور في مجلة التربية والعلم ، (الموصل – ١٩٩١) ، العدد ١٠ ، ص٢٣-٤٩ .

(٢) المغرب الاقصى : المنطقة الممتدة من وادي ملوية شرقاً الى مدينة اسفي على المحيط الاطلسي غرباً وقد سمي بالاقصى لبعده عن مركز الخلافة بالمشرق ينظر : مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الامصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية (بغداد – ١٩٨٦) ، ص٦٨ .

(٣) الاغالبة هم ابناء ابراهيم بن الاغلب التميمي احد الولاة العباسيين على افريقية استطاع الاستقلال بمناطق نفوذه لينشيء دولة سنة ١٨٤هـ مستغلاً سوء أوضاع المغرب السياسية وانشغال العباسيين بمشاكلهم الداخلية وبقي ابناؤه يحكمونها من بعده حتى سنة ٢٩٦هـ . ينظر : ابن ابي دينار : محمد بن قاسم ، المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام ، (تونس – ١٩٦٧) ، ص٤٨-٥٤ .

(٤) المغرب الادنى او افريقية وتمتد حدودها من طرابلس شرقاً الى مدينة بجاية او تاهرت غرباً وسمي بالمغرب الادنى لأنه الاقرب الى دار الخلافة بالمشرق ينظر : البكري : ابو عبد الله بن عبد الله (ت٤٨٧هـ) ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، (الجزائر - ١٨٥٧) ، ص٢١ .

(٥) قام بتأسيسها زعيم مكانسة ابو القاسم سمكو بن واسول وكان من الخوارج الصفرية سنة ١٤٠هـ/٦٥٧م الذي استفاد من اضطراب احوال افريقية واقام دولته في سجلماسة ينظر : اسماعيل : محمود ، الخوارج في المغرب الإسلامي ، دار العودة ، (بيروت – ١٩٧٦) ، ص٨٣ .

(٦) مؤسسها عبد الرحمن بن رستم احد الخوارج الاباضية في تاهرت سنة ١٤٤هـ/٧٦١م وحاول العباسيون مراراً القضاء عليها فلم يفلحوا وبقي الرستميون يحكمون تاهرت حتى تم اسقاطها على يد الفاطميين سنة ٢٩٦هـ . ينظر : ابن الخطيب : ابو عبد الله التلمساني (٧٧٦هـ) ، اعمال الاعلام (القسم الخاص بالمغرب) ، تحقيق احمد مختار العبادي وآخر ، (الدار البيضاء – ١٩٦٤) ، ص٦٣ ، اسماعيل ، الخوارج في المغرب ، ص١٠٧

دعوتها فيه سنة دعوتها فيه سنة(٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) [1] من خلال بعض الدعاة الذين تمكنوا من ايصال مبادئ هذه الدعوة و نشرها بين قبائل البربر في المغرب وكان يرأس هذه الطائفة من الدعاة شخص يدعى أبا عبد الله الداعي [2] الذي استطاع ان يستميل احدى اكبر قبائل المغرب وهي قبيلة كتامة التي يصفها ابن عذاري [3] بقوله ((ليس في قبائل افريقية اكثر عدداً ولا اشد شوكة ولا اصعب مراماً على السلطان من كتامة)). وقد كان لأبي عبد الله الداعي اسبابه العديدة في اختياره لقبيلة كتامة لتكون عضداً له في نشر دعوته فقد هيأ موقع قبيلة كتامة منعة وقوة ، اذ كانت تسكن في منطقة جبلية وعرة بجبال الاوراس بين مدينتي بجاية وقسنطينة [4] يضاف الى الموقع الحصين كثرة عددية مكنت كتامة من التميز على من سواها من القبائل وعدم الخضوع لسلطة الولاة اعتزازاً بمنعتها وقوة بأسها او كما يقول ابن خلدون [5] : ((ولم تكن الدولة تسومهم بهضيمة ولا ينالهم تعسف لاعتزازهم بكثرة جموعهم)) فتكون للداعي من افراد هذه القبيلة جيش قوي استطاع به مواجهة دول المغرب الواحدة تلو الأخرى وكانت دولة الاغالبة الاقرب مراماً اليه فابتدأ بها ولم يجد صعوبة في القضاء عليها لأنها كانت تعاني الكثير من عوامل الضعف والمشاكل فالصراع بين افراد الاسرة الحاكمة قد وصل حد قتل الابن لأبيه [6] فضلاً عن تذمر الرعية من سياستهم التعسفية وكل ذلك ساعد

---

(١) ابن ابي دينار : المؤنس ، ص٥٤ . وينظر :
ABPALLAH LAROUI , the history of Maghrib , (new jersey – 1977) , p.131 .

(٢) هو الحسن بن احمد بن محمد بن زكريا من اهل صنعاء باليمن لذا يلقب بالصنعاني كان يعتنق مذهب الاثني عشرية وكان يعلم الناس هذا المذهب لذا عرف بالمعلم ثم اعتنق مذهب الاسماعيلية واتصل بمحمد الحبيب ابو عبد الله المهدي فأنس الاخير منه كفاية وذكاء فأرسله الى بلاد اليمن سنة ٢٧٨هـ ليعمل مع كبير الدعاة هناك ابن حوشب على نشر المذهب الاسماعيلي فلما اتصل بإبن حوشب نبأ موت ابي سفيان كبير دعاة الاسماعيلية في المغرب اختار ابا عبد الله ليحل محله كبيراً للدعاة في المغرب ينظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ١٩٢/١ ، اوب الفدا ، المختصر ، ٩٤/٢ وينظر : الطويل : محمد امين غالب : تاريخ العلويين، دار الأندلس ، (بيروت – ١٩٦٦) ، ص٢١٣ . حسن : حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية (القاهرة – ١٩٥٨) ، ص٤٧ .

(٣) البيان المغرب ، ١٦٨/١ .

(٤) عبد الحميد : سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، دار المعارف ، (الاسكندرية – ١٩٧٩) ، ٤٠/٢ . حسن : حسن علي : دراسات في تاريخ المغرب العربي ، مكتبة الشباب ، (القاهرة - ١٩٧٨) ، ص٢١ .

(٥) العبر ، ١٤٨/٦ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ، ٥٢١/٧ ؛ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق٢٧/٣ ؛ ابن ابي الضياف : احمد بن الحاج ، (ت١٢٩١هـ) : اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، المطبعة الرسمية ، (تونس – ١٩٦٣) ، ١١٧/١ .

الداعي على اقتحام مدن الاغالبة بسهولة وربما كانت معركة كينونة سنة (٢٩٣هـ/٩٠٤م) من المعارك التي حسمت الصراع الى حد ما لصالح ابي عبد الله اذ انتصر فيها على جيش كبير جنده الاغالبة للقضاء على ابي عبد الله ودعوته (1) وكانت الانتصارات المتوالية التي اعقبت معركة كينونة وسقوط العديد من المدن في قبضة ابي عبد الله دافعاً لزيادة الله بن الاغلب (2) على ترك عاصمته رقادة سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) وبذلك أصبحت رقادة وما تبقى من المدن في قبضة ابي الله الداعي فدخلها الداعي واعطى الناس الامان (3) ولا شك ان دخول الداعي مدينة رقادة وقضاءه على دولة الاغالبة يعد نجاحاً كبيراً و خطوة واسعة في سبيل تكوين الدولة المرتقبة .

وكانت الخطوة التالية الاتصال بإمامهم المهدي صاحب الدعوة ذلك الاتصال الذي تم خلال الصراع مع الاغالبة اذ ارسل ابو عبد الله وفداً من كتامة الى سلمية (4) للاتصال بالامام العلوي صاحب الدعوة واحاطته علماً بما احرزه من انتصارات طالبين منه المجيء الى المغرب لتسلم مقاليد الامور(5) .

أما إمامهم الذي اتخذ لقب المهدي زاعماً انه أبو محمد عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن موسى بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المولود في العراق سنة (٢٦٦هـ/٨٧٩م) وقد اختلف المؤرخين اختلافاً كبيراً في اسم المهدي كما اختلفوا في نسبه فبعضهم يؤيد نسبه الى العلويين وآخرون يقدحون في هذا النسب(6)

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٣٨/١ .

(٢) هو ابو مضر زيادة الله بن عبد الله بن الاغلب بن احمد بن الاغلب (٢٩٠-٢٩٦هـ/ ٩٠٢-٩٠٨م) ، وكان شديد الظن بمن حوله قتل اعمامه خوفاً من وثوبهم عليه ، لم يكن حازماً وكان يميل كثيراً إلى للهو تاركاً امور الدولة للحاشية . ينظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق٣/٣٧-٤٥ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ٤٧/٨ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٩٩/١-٢٠٣ .

(٤) سلمية : مدينة صغيرة من اعمال قنسرين بثغور الشام على طرف البادية بينها وبين حمص مرحلة واحدة ينظر : الحميري : الروض المعطار ، ص٣٢٠ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ، ٢٧/٨ ؛ المقريزي : احمد بن علي (ت٨٤٥هـ) : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الحنفا ، دار الكتب العلمية، (بيروت – ٢٠٠١) ، ٦٠/١ والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعنى بالخطط المقريزية ، مطبعة الساحل الجنوبي ، (لبنان – د.ت) ، ١٥٠/١ .

(٦) عن ذلك ينظر : ابن حماد : ابي عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت٦٢٨هـ) : اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، (الجزائر – ١٩٤٦) ، ص٧ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١١٩/١-١٢٥ ، الخطط المقريزية ، ١٥٠/١ ؛ ابن الابار : الحلة السيراء ، ١٩٠/١ . ينظر : العقاد : عباس محمود : فاطمة الزهراء والفاطميون ، دار الهلال ، (القاهرة – د. ت) ، ص٦٩ .

والذي يهمنا من الامر ان المهدي استجاب لوفد كتامة وشد رحاله بصحبة ابنه ابي القاسم متخفياً بزي التجار حتى لا يقع في قبضة جنود الخلافة العباسية فتوجه الى مصر ومنها الى طرابلس حيث ارسل الى ابي عبد الله الداعي يبلغه بوصوله لكن الرسول – وهو ابو العباس محمد بن زكريا أخو ابي عبد الله الداعي- وقع في قبضة بني الاغلب [1] فتوجه المهدي الى سجلماسة [2] حيث حظي هناك بالترحيب من أميرها اليسع بن مدرار (٢٧٠-٢٩٦هـ/٨٨٣-٩١٠م) فأحسن اليه الأمير وقربه وهو يجهل حقيقة امره الى ان ارسل اليه زيادة الله كتاباً يخبره فيه عن المهدي وصفاته التي تنطبق على صاحبه فقبض عليه واودعه السجن [3] .

وما ان علم ابو عبد الله الداعي بما جرى للمهدي في سجلماسة حتى نظم الجيوش وامرها بالاستعداد للهجوم على سجلماسة واخراج المهدي من محبسه فاستخلف على رقادة أخاه أبا العباس وشيخ كتامة ابو زاكي تمام بن معارك الاجاني [4] ثم سار هو بجيوشه نحو سجلماسة وفي طريقه عرج على تاهرت – عاصمة الرستميين – وفتحها ليؤمن ظهره اثناء قتاله مع اليسع بن مدرار فبعث في استدعاء اليقضان بن ابي اليقضان وبنيه فقدموا اليه وامر بقتلهم جميعاً [5] وقد حرص ابو عبد الله الداعي على استئصال شأفة بني رستم حتى لا يناوئه احد منهم وبسقوط تاهرت وانقراض الرستميين انتهى حكم بني رستم الذي استمر ما يزيد عن مائة وثلاثين عاماً [6] .

بعد ذلك سار ابو عبد الله الداعي الى سجلماسة وقبل وصوله بعث رسله الى اليسع بن مدرار يتلطفه ويعده بالانصراف عن بلاده اذا ما اطلق سراح المهدي لكن اليسع رفض ذلك

---

[١] اسماعيل : الخوارج في المغرب ، ص١٦٠ .

[٢] لقد اختار المهدي التوجه الى سجلماسة دون غيرها على الرغم من بعد مسافتها وعدم وجود داعية بارز فيها لعدة اسباب منها بعدها الذي يوفر له حماية من عيون الخلافة العباسية وبني الاغلب ، كما انها قريبة من دولة الادارسة العلويين كما انه يحتمل ان يكون قد فكر في ان يتخذ من سجلماسة الضعيفة منطلقاً لنشر دعوته ومن ثم يزحف منها شرقاً حتى يلتقي بمنطقة نفوذ ابي عبد الله الداعي ببلد كتامة ينظر : صالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية ، ص٦٤ .

[٣] ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٠٩/١ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ١٣٨/١ ؛ ابن ابي دينار : المؤنس ، ص٥٥ .

[٤] القاضي النغمان بن محمد (ت٣٦٣هـ) : رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق وداد القاضي ، دار الكتب للطباعة (بيروت – ١٩٧٠) ، ط١ ، ص٢٣٦ ، ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٠٩/١ .

[٥] ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢١٠/١ . وينظر : اسماعيل ، الخوارج في المغرب ، ص١٧٤ .

[٦] البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص٦٨ .

وقتل الرسل [1] فلم يجد الداعي بداً من ضرب الحصار على سجلماسة ثم التحم معه فقتل الكثير من اتباع اليسع وكاد الداعي يظفر به لولا حلول الظلام فعاد بالعسكر الى خارج المدينة خائفاً على حياة المهدي فلما وجد اليسع ما حل به من الهزيمة لاذ بالفرار [2] فدخل الداعي المدينة وحرر المهدي وابنه وانفذ الخيل في اثر اليسع بن مدرار وذكر ابن عذاري [3] ان قوماً من البربر – يعرفون ببني خالد – قبضوا عليه وسلموه الى ابي عبد الله تقرباً اليه فسيق اليسع الى المهدي حيث عذب وشهر به في سجلماسة هو ومن معه ثم امر المهدي بقتلهم جميعاً فقتلوا [4] .

عدّ دخول المهدي رقادة في ربيع الاخر سنة ٢٩٧/ كانون الأول سنة ٩٠٩م بداية لقيام الدولة الفاطمية فقد تمت البيعة له بالخلافة وتلقب بأمير المؤمنين المهدي واتخذ من رقادة عاصمة له مؤقتاً [5] غير ان اهم قرار اتخذه المهدي بعد استقرار الملك له تصفية الرجال الذين قامت على اكتافهم دولته فقد عمد الى تجريد ابي عبد الله الداعي من سلطاته وابعاد رجاله عنه بالقضاء عليهم او استمالتهم ثم اجهز عليه واغتاله وفق خطة دبرها بدهاء اذ امر كلاً من عروبة بن يوسف الملوسي وجبر بن نحاسب الميلي – وهما من اقرب انصار ابي عبد الله الداعي – ان يكمنا خلف القصر فإذا مر بهما ابو عبد الله واخوه ابو العباس طعنوهما بالرماح حتى يموتا فكمنا لهما هناك مع جماعة من كتامة وبعث المهدي الى ابي عبد الله واخيه ليحضرا طعامه على جاري عادتهما فلما مرا بالموضع الذي فيه الكمين انقض عليهما الرجال فصاح ابو عبد الله بعروبة : (لا تفعل يا ولدي) ، فقال له عروبة : (امرني بقتلك من امرت الناس بطاعته) ، ثم طعنه بيده طعنة واحدة خر منها صريعاً وطعن ابو العباس تسع عشرة طعنة [6] .

---

(١) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ، ص٤٥؛ ابن الاثير : الكامل ، ١٦/٨ ؛ ابن خلدون : العبر ، ٣٦٤/٣ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ٩٠/١ .

(٢) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ، ص٤٥ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ١٦/٨ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا، ٢٩٠/١ . وينظر : J.J.Sanders : A history of Medieval Islam , (London – 1965) , P.131 .

(٣) البيان المغرب ، ٢١١/١-٢١٢

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ١٦/٨ ؛ ابن خلدون : العبر ، ٣٦٤/٣ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ٩١/١ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ٣٦/٤ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ٦٦/١ . وينظر : الصالح ، السياسة الداخلية ، ص٧٠. القاضي : وداد : الدعوة العبيدية الاسماعيلية في افريقيا والمغرب نموذج للحركة الثورية المسلحة، بحث منشور في مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ٣ لسنة ١٩٧٩ ، ص١٤ .

(٦) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٢٧/١-٢٢٨ .

وقد اختلف المؤرخون في تعليل اسباب تغير ابي عبد الله الداعي - داعية الامس ومؤسس الدولة – على ابي عبيد الله المهدي فإبن خلدون [1] يبرر ذلك بمحاولة المهدي الحد من سلطات ونفوذ ابي عبد الله مما دفع بالداعي للتآمر ضده : (لما استقام سلطان عبيد الله المهدي بأفريقية استبد بأمره وكافح ابا عبد الله الداعي واخاه أبا العباس عن الاستبداد عليه والتحكم في امره فعظم ذلك عليهما وصرح ابو العباس بما في نفسه فنهاه اخوه ابو عبد الله عن ذلك فلم يصغ اليه ثم استماله ابو العباس لمثل رأيه فأجابه) .

اما ابن عذاري [2] فيعلل ذلك بأتيان المهدي افعالاً قبيحة (وفي هذه السنة – سنة ٢٩٧- وصل ابو عبد الله الداعي الى مدينة تنس ونزل بالموضع المعروف بالثور وذلك يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة فجمع الى نفسه وجوه كتامة وتكلم معهم في امر عبيد الله وعمل معهم على خلعه وقال لهم : ان افعاله قبيحة ليست تشبه افعال المهدي الذي كنت ادعو اليه) ولم يشر ابن عذاري الى نوعية هذه الافعال لكن صاحب كتاب الاستبصار اوضح ذلك بالقول : (فكان عبيد الله يتساكر ويقتل الجواري ويرمي بهن خارج القصر) [3].

والواقع ان رأي ابن خلدون ربما يكون اكثر قبولاً اذ انه من المتوقع ان يضيق المهدي ذرعاً بالمنزلة التي احتلها ابو عبد الله بين صفوف كتامة ومن ثم كان في وجوده تقليل من مكانة المهدي ومنزلته فضلاً عن الخطورة التي يمكن ان يشكلها لو انه فكر في الخروج عن طاعة المهدي .

ومهما يكن من امر فإن قتل ابي عبد الله الداعي وجماعة من وجوه كتامة كالشيخ ابي زاكي تمام بن معارك [4] قد اثار السخط والتذمر في صفوف الكثيرين من ابناء كتامة مما دفعهم الى العودة الى مضاربهم وتنصيب طفل صغير وقالوا انه المهدي فحاربهم عبيد الله المهدي وقتل ذلك الطفل [5] يقول المقريزي [6] : (ولما قتل ابو عبد الله واستقام امر المهدي عهد الى ولده ابي القاسم بالخلافة ورجعت كتامة الى بلادهم فأقاموا طفلاً وقالوا هذا هو

---

(١) العبر ، ٢٧/٤ .

(٢) البيان المغرب ، ١٦١/١ .

(٣) الاستبصار ، ص٢٠٤ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٢٧/١ .

(٥) ابن عذاري : المصدر نفسه ، ٢٣١/١ . وينظر : الحمد : عادله علي : قيام الدولة الفاطمية ، دار الصفا ، (القاهرة – ١٩٨٠) ، ص٢٣٧ .

(٦) اتعاظ الحنفا ، ٦٨/١ .

المهدي ثم زعموا انه يوحى اليه وزعموا ان ابا عبد الله لم يمت فبعث اليهم المهدي ابنه ابا القاسم فقاتلهم حتى هزمهم واتبعهم الى البحر وقتل منهم خلقاً كثيراً وقتل الطفل الذي اقاموه) .

ثم ثار اهل طرابلس على المهدي سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) ففر عاملها المدعو ماقنون الاجاني وامتنع اهل طرابلس داخل مدينتهم وقدموا على انفسهم محمد بن اسحق المعروف بابن القرلين [1] فأرسل عبيد الله ابنه ابا القاسم لاسترجاعها واخماد الثورة كما وجه اليها خمسة عشر مركباً حربياً قام اهل طرابلس بإحراقها فسار ابو القاسم بجيشه وحاصر طرابلس وقطع عن اهلها المؤن والاقوات فاستسلموا لأبي القاسم على الامان واشترط عليهم نظير ذلك ان يسلموا اليه ثلاثة من زعماء الثورة حملهم معه الى رقادة حيث قتلوا واغرم اهل طرابلس مبلغاً قدره ٣٠٠ الف دينار [2] .

وكان لقيام هذه الثورات اثره في حمل المهدي على بناء مدينة جديدة يتخذها عاصمة له بدلاً من رقادة التي لم تعد تصلح لأن تكون عاصمة جيدة لوقوعها في وسط سهل فسيح يكون عرضه لأي غزو يأتيها من كل جانب فأخذ يرتاد موضعاً ليتخذه دار مملكته فوقع اختياره على موقع يحيط به البحر من ثلاث جهات حصين يبعد عن القيروان بحوالي ١٢٠كم[3] فابتدأ ببناء المهدية سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) وقد حرص الفاطميون على ان يجعلوا عاصمتهم الجديدة ميناءاً بحرياً وعسكرياً يمكن الاعتماد عليها في التوسع مستقبلاً صوب مصر او الأندلس فاستكثروا بها من العدة والخزين [4] او الاحتماء بها من الطامعين وجعلها موقع مواجهات قوية وصامدة امامهم او مركزاً لأخماد الحركات والتمردات التي يتوقع المهدي ان تقوم ضده . التفت المهدي بعد ذلك الى الاستيلاء على المغرب الاقصى الذي كان يملكه بقايا الادارسة [5] الذين كانت قاعدتهم فاس فارسل اليهم حملة بقيادة مصالة بن حبوس المكناسي سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م). فالتقى يحيى بن ادريس صاحب فاس وجرت بينهم معركة

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٣٣/١ .

(٢) ابن عذاري : المصدر نفسه ، ٢٣٤/١ ؛ ابن خلدون : العبر ، ٧٨/٤ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ، ص٥٦١ .

(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق٥٠/٣ .

(٥) كان نفوذ الادارسة في المغرب الاقصى قد تقلص بعد ان قسم محمد بن ادريس الثاني الدولة الادريسية بين اخوته سنة ٢١٣هـ ، وما نجم عن ذلك التقسيم من التنافس بين الاخوة مما ادى الى انحسار نفوذهم ليقتصر على بلاد الريف وقلعة حجر النسر واصيلا وتطوان . ينظر : السلاوي : ابو العباس احمد بن خالد (ت ١٣١٥هـ) ، الاستقصا لأخبار المغرب الاقصى، تحقيق جعفر الناصري وآخرون ، دار الكتاب، (الدار البيضاء – ١٩٥٤) ، ١٧٢/١-١٧٥ .

شديدة خسر فيها يحيى ورجع مخذولاً الى فاس فتقدم مصالحة نحو فاس وحاصرها حتى اضطر يحيى الى طلب الصلح فصالحه على مال يؤديه اليه وتقديم البيعة لعبيد الله المهدي فقبل يحيى بشروطه فعقد له مصالة على فاس خاصة فيما عقد لإبن عمه موسى بن ابي العافية المكانسي على ما تبقى من املاك الادارسة في المغرب الاقصى (1) .

لقد احس الأمويين بعد استيلاء الفاطميين على المغرب الاقصى بخطر شديد وكان ذلك نذيراً بقيام صراع عنيف بين الدولتين وهذا ما سوف نتطرق اليه لاحقاً .

ثانياً- الصراع بين الأندلس والدولة الفاطمية خلال حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر

كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب نذيراً بقيام صراع (مذهبي – سياسي) عنيف بين الطرفين فالفاطميون كانوا ينظرون الى الحكم الأموي في الأندلس على انه امتداد لخلافة دمشق بذكرياتها البغيضة والمأساوية لهم ولم يشعر الأمويون بالراحة والاستقرار منذ قيام دولة أولئك في المغرب ومع ذلك فالأمويون وقفوا اثناء حدوث ذلك موقف المراقب المتوجس منهم فهم لا يستطيعون التدخل واقسام كبيرة من بلادهم متمردة عليهم لا سيما الاقسام الجنوبية المواجهة للفاطميين التي كان يسيطر عليها المتمرد ابن حفصون الذي وجد في الفاطميين خير عضيد له فكان يستمدهم في اوقات الازمات فيمدونه بالاموال والمساعدات (2).

لذا كان على عبد الرحمن الناصر ان يقضي على اعدائه في الداخل كابن حفصون فبعث سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) حملة الى الجزيرة الخضراء (فضبط البحر ونظر في اساطيله واستكثر منها ومنع ابن حفصون من البحر) (3) واغلب الظن انه وزع اساطيله على السواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية من الأندلس حتى يمنع وصول الامدادات من القيروان الى عمر بن حفصون خاصة وكان ابن حفصون قد بعث ببيعته الى المهدي واخذ يدعو له في منطقة نفوذه بالأندلس (4) .

ولمواجهة الخطر الفاطمي ايضاً اقدم عبد الرحمن الناصر على اعلان الخلافة في الأندلس لتكون اسلحة الطرفين متكافئة وذلك سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م)(5) فدعم بهذا مركزه داخل الأندلس وخارجها وفرض هيبته في نفوس اهل الأندلس حتى لا يتأثروا بالدعوة الفاطمية ، ثم حاول الناصر نقل معركته مع الفاطميين الى عمق اراضيهم ليحتفظ ببلاده بعيداً عن التطاحن

---

(١) السلاوي : المصدر نفسه ، ١٨٢/١-١٨٣ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ١٦٥/٢ . وينظر : بدر : تاريخ الأندلس ، ٨٦ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ٣٠٣/٤ .

(٤) ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ١٣٥/٤ .

(٥) راجع الفصل الثاني ، ص٤١-٤٣ .

الحربي فعمد الى اجتذاب بعض قبائل المغرب الى جانبه من خلال الترحيب بالأمراء الذين اطاح بهم الفاطميون وفي ذلك يقول صاحب كتاب مفاخر البربر[1] (وتخطاهم عبد الرحمن الى من سكن خلفهم من زعماء قبائل البربر يستألفهم ويحمل اهل الطاعة على اهل المعصية منهم ممداً لمن عجز برجاله مقوياً لمن ضعف بماله متعهداً بوجوه رسله وخواصه الى ان تميز اكثر بوادي زناتة في حزبه وارتسموا بطاعته) .

كان من بين اولئك ابناء سعيد بن صالح أمراء نكور [2] الذين تغلب عليهم الفاطميون ودخلوا عاصمتهم سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) وقتلوا أميرهم سعيد بن صالح فلجأ اولاده الثلاثة (صالح والمعتصم وادريس) الى الأندلس ونزلوا في مدينة مالقة [3] وقد رحب عبد الرحمن الناصر بهم وامر باكرامهم واغدق عليهم العطايا وخيرهم بين البقاء في مالقة او المقام في العاصمة قرطبة ففضلوا البقاء في مالقة لقربها من ممتلكاتهم وليتسنى لهم مراقبة تطورات الاحداث واغتنام الفرصة لأعادة ملكهم وانتزاعه من ايدي الفاطميين وقد حصل لهم ذلك اذ ان قائد الفاطميين مصالة بن حبوس عاد الى القيروان واستخلف على نكور قائده المدعو ذلولاً مع قوة قليلة من الجند فلما تناهى الى اسماع اولاد سعيد بن صالح خبر عودة مصالة عبروا البحر في مراكب واتجهوا نحو نكور فجمعوا حولهم الانصار وزحفوا نحو ذلول و اصحابه فدارت بينهم معركة قتل فيها ذلول وتفرق اتباعه جميعاً [4] فكتب صالح الى الخليفة عبد الرحن الناصر بما تم له من نصر على أعدائه فأمر الناصر بقراءة الخبر على منبر المسجد الجامع بقرطبة وأرسلت نسخ منه إلى كافة أقاليم الأندلس وأمر بإرسال الهدايا والتحف والألبسة

---

[١] مؤلف مجهول(كان حياً سنة ٧١٢هـ) ، نبذ تاريخية في اخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من كتاب مفاخر البربر، اعتنى بنشرها إ . ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة، (رباط الفتح، ١٩٣٤)، ٤/١ .

[٢] إمارة نكور : قام بتأسيسها قائد يمني يعرف بصالح بن منصور الحميري (العبد الصالح) دخل المغرب مع جيوش الفتح العربية وافتتح هذه المنطقة (نكور) الواقعة في الريف المغربي ثم استقر بها بعد ان اقطعه اياها الخليفة الوليد بن عبد الملك وقد اسلم على يديه العديد من البربر ونصبوه حاكماً عليها ثم خلفه ابناؤه من بعده في حكمها ينظر : ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٤٦/١-٢٤٩ . احمد : نهلة شهاب : إمارة نكور (بنو صالح الحميري في المغرب العربي نهاية القرن الأول – بداية القرن الخامس الهجري) ، بحث منشور في مجلة التربية والعلم ، (الموصل – ١٩٩١)، العدد ١١ ، ص٢١٠-٢١٨ .

[٣] مالقة : مدينة من اعمال ريه تقع بين الجزيرة الخضراء والمرية على ساحل البحر المتوسط الشمالي ولها مرسى كبير على البحر بينها وبين ارشذونة (٨١) كم . ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ٤٣/٥ . الحميري : الروض المعطار ، ص٥١٧.

[٤] ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٥٢/١ .

وانواع الاسلحة والاسرجة والطبول الى صالح بن نكور لتعويضهم عما خسروه في حربهم ضد الفاطميين [1] .

وقد وجد الناصر ضالته في قبيلة مغربية قوية هي قبيلة زناتة التي حملت لواء مقاومة النفوذ الفاطمي ومنذ البدء كان دافعها لذلك هو العصبية القبلية والروح الاقليمية ذلك ان قبيلة زناتة تنتمي الى فرع البربر المعروف باسم (البتر) وهو نوع مشهور بعدائه لفرع آخر هو البرانس الذي تنتمي اليه قبيلة صنهاجة وبسبب ميل الفاطميين لقبيلتي صنهاجة وكتامة اللتين تنتميان الى البرانس وايثارهم لهذه القبائل غضب الزناتيون وعدوا تصرفهم هذا بمثابة اهمال لشأنها وامتهان لصلاتها القديمة مع العلويين لا سيما الادارسة الذين شيدوا اول بيت علوي بأرض المغرب [2] وكان قائد زناتة وموجه سياستها محمد بن خزر المغراوي الزناتي . وقد ازدادت الأوضاع سوءاً بين الفاطميين والزناتيين بعد استيلاء ابي عبد الله الداعي على تاهرت عاصمة الرستميين سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) اذ جاء سقوط هذه المدينة بيدهم عملاً خلق جواً من الذعر بين الزناتيين لوقوع تاهرت في قلب مضاربهم وديارهم واحسوا بوطأة السلطان الفاطمي ومراقبته لحركاتهم ونشاطهم . لذا وجد الناصر في هذه القبيلة السلاح الذي يستخدمه ضد الفاطميين كما ان الزناتيين وجدوا في الناصر الحليف القوي الذي يعتمدون عليه اثناء مواجهتهم للفاطميين [3] فأعلن زعيمهم محمد بن خزر الدعوة للأمويين في كل مراكز المغرب الاوسط ما عدا تاهرت التي بقيت فاطمية[4] .

ادرك المهدي خطورة هذا التحالف بين الأمويين والزناتيين فأمر قائده مصالة بن حبوس المكانسي صاحب تاهرت بالخروج بقواته الى قبائل زناتة سنة (٣١٢هـ/ ٩٢٤م) للقضاء على تحركات هذه القبيلة التي ما انفكت تحارب النفوذ الفاطمي فاصطدم مصالة بقوات ابن خزر الزناتي في معركة كانت نتيجتها وبالاً على الفاطميين فقد هزمت قواتهم وقتل قائدهم

---

[١] البكري : المغرب ، ص٩٦-٩٧ ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ١٧٩/١-١٨٠ ؛ ابن الخطيب : اعمال الاعمال ، ق١٧٦/٣-١٧٧ وينظر : احمد: إمارة نكور ، ص٢١٧ .

[٢] الحمد : قيام الدولة الفاطمية ، ص٢٤١ .

[٣] كما كان لبني خزر مكانة خاصة لدى أمراء بني امية اذ ان جد محمد بن خزر بن صولات بن وزمار كبير مغراوة قد اسر اثناء الفتح فبعث الى الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فأسلم على يديه وولاه على قومه وقيل ان صولات هاجر من تلقاء نفسه الى الخليفة عثمان فأكرمه وولاه على قومه فأختص صولات وسائر معزاوة بولاء عثمان واهل بيته من بني امية . ينظر : ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٥/ ٢٥٧؛ ابن خلدون : العبر ، ١٥٢/٦ ؛ السلاوي : الاستقصا ، ٢٠٦/١ .

[٤] ابن حيان : المقتبس، تح: شالميا ، ٢٦٠/٥ . وينظر : بدر : تاريخ الأندلس ، ص٨٧ .

مصالة وذلك في شعبان من سنة ٣١٢هـ/تشرين الثاني من سنة ٩٢٤م [1] فاستثمر ابن خزر هذا النصر ليوسع نفوذه نحو مناطق عديدة في تاهرت [2] .

شجعت هذه الانتصارات الخليفة الناصر على الاستيلاء على مدينة مليلة [3] سنة (٣١٤هـ/ ٩٢٧م) وحصن اسوارها [4] ثم اتبع ذلك بالاستيلاء على سبتة [5] سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) فارسل حملة قوية بقيادة فرج بن غفير [6] فانتزعها من حاكمها الرضى ابن عصام [7] وتولى فاتحها امرها باسم الناصر [8] .

كان الناصر حريصاً على تحصين هذه المدينة ووضع حامية عسكرية فيها اختارهم من خيرة قادته وجنده نظراً لموقعها الستراتيجي المهم يقول عنها المقري [9] (وكانت سبتة مطمع همم ملوك العدويتين وقد كان للناصر عناية واهتمام بدخولها في ايالته حتى حصل له ذلك) .

---

[١] ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٦٦/١ .

[٢] ابن عذاري : المصدر نفسه ، ٢٦٩/١ . وينظر : سالم: السيد عبد العزيز: المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة، (القاهرة-١٩٦٦)، ٦١٢/٢ .

[٣] مليلة : مدينة قريبة من سبتة على ساحل البحر المتوسط الجنوبي . ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ١٩٧/٥ .

[٤] البكري : المغرب ، ص٩١ ؛ مجهول : الاستبصار ، ص٣٦ .

[٥] سبتة : مدينة على ساحل البحر المتوسط بينها وبين فاس عشرة ايام . ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ١٨٢/٣-١٨٣ . الحميري : الروض المعطار ، ص٣٠٣ .

[٦] ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٨٨/١ .

[٧] بنو عصام : يعود اصلهم الى رجل بربري يدعى ماجكس الغماري الذي اعاد بناء سبتة بعد ان خربها المتمردون اثناء ثورة ميسرة المطغري سنة ١٢٢هـ فأسس إمارة صغيرة فيها توارثها ابناؤه من بعده وكان اخرهم الرضى بن عصام وكان هؤلاء يقدمون ولاءهم لبني ادريس في فاس . ينظر : ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٨٨/١ . ابن خلدون : العبر ، ٢١١/٦ . وينظر : احمد ، نهلة شهاب : الاهمية السياسية والعسكرية لمضيق جبل طارق في تاريخ المغرب والأندلس ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، (١٩٩٦) ، ص٧٥ .

[٨] ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٨٤/١ . وينظر : محمد : فراس غانم : مدينة سبتة منذ الفتح حتى نهاية دولة المرابطين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (الموصل – ٢٠٠٠) ، ص٢٧ .

[٩] ازهار الرياض ، ٢٥٧/٢ .

كان من الطبيعي ان يسعى الناصر بعد ذلك الى التطلع نحو طنجة [1] ثاني اهم مدن المغرب الاقصى التي كانت تحت سيطرة الادارسة من آل محمد وزعيمهم ابي العيش [2] الذي انتظم في سلك الدعوة الأموية وصار من جملة اتباع الناصر فطلب منه الخليفة التخلي عن طنجة ليضمها الى سبته فامتنع ابو العبش فبعث اليه الناصر بالاسطول والمقاتلة فحاصره وضيق عليه ولما رأى ابو العيش انه لا طاقة له بحربه اجابه الى ما سأل وتنازل له عن طنجة[3] كما حاول الناصر سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) احتلال موقع مهم بالقرب من سواحل تلمسان في المغرب الاوسط وهو جزيرة ارشقول وهي جزيرة منيعة كانت من املاك الادارسة فحاصرها الاسطول الأندلسي مدة طويلة لكنه لم يستطع السيطرة عليها[4] كما استطاع الناصر كسب زعيم قبلي آخر هو موسى بن ابي العافية زعيم قبيلة مكناسة الذي كان من اكبر قادة الفاطميين في المغرب الاقصى خاطبه الناصر للقيام بدعوته وبذل له الاموال الكثيرة فأجابه الى ذلك فنقض طاعة الفاطميين وخطب للناصر على منابر[5] سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)[6].

كان ذلك حافزاً لعبيد الله المهدي ليبعث بقائده حميد بن يصل المكناسي[7] صاحب تاهرت في عشرة آلاف مقاتل الى موسى بن ابي العافية فالتقى الطرفان فكانت بينهما حرب ضروس انجلت عن هزيمة ابن ابي العافية وفراره الى قاعدته في تسول[8] فتقدم حميد الى فاس فلما اتصل الخبر بمدين بن موسى واليها هرب عنها لاحقاً بأبيه في تسول فدخلها حميد

(١) طنجة : مدينة قديمة على ساحل البحر المتوسط بينها وبين سبتة ٦٠ كم . ينظر : الحميري : الروض المعطار ، ص٣٩٥ .

(٢) هو احمد بن القاسم كنون (قنون) بن محمد بن القاسم بن ادريس تولى الحكم بعد وفاة ابيه كنون سنة ٣٣٧ كان فقيهاً ورعاً حافظاً للسير عارفاً بأخبار الملوك والانساب مال الى بني مروان واقام دعوتهم ، خرج مجاهداً الى ارض الأندلس تاركاً الحكم لأخيه الحسن وتوفي شهيداً سنة ٣٤٨ هـ . ينظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق٢١٩/٣ . السلاوي : الاستقصا ، ١٩٥/١ .

(٣) السلاوي، الاستقصا، ١٩٦/١.

(٤) البكري، المغرب، ص٧٧. وينظر: سالم: المغرب الكبير، ٦١٢/٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٨٢/١.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تح: شالميا ،١٦٢/٥.

(٧) هو ابن اخ القائد مصالة بن حبوس الذي تولى حكم تاهرت بعد وفاة ابيه يصل بن حبوس سنة ٣١٩هـ بعهد من عبيد الله المهدي. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٨٩/١.

(٨) تسول: مدينة بالمغرب الاقصى وتسمى بعين اسحاق بينها وبين قلعة جرماط ١٨كم وبين هذه القلعة وفاس مرحلتان تحتوي على جامع واسواق وعين عذبة. ينظر: البكري، المغرب، ص١٤٢.

ابن يصل واستعمل عليها حامد بن حمدان الهمذاني ثم قفل راجعاً الى افريقية سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م)[1] لكن حكم الهمذاني لفاس لم يدم فقد ثار عليه احد اتباع ابن ابي العافية المسمى احمد بن بكر بن عبد الرحمن الجذامي وقتل الهمذاني وبعث برأسه الى موسى الذي بعثه بدوره الى عبد الرحمن الناصر بقرطبة وتقدم موسى الى فاس واعاد الدعوة فيها للمروانيين.[2]

حدثت هذه الحادثة في وقت كان الفاطميون فيه مشغولين بوفاة عبيد الله المهدي وتنصيب ابنه ابي القاسم محمد القائم بأمر الله خليفة جديداً (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٣-٩٤٥م)[3] فرأى الخليفة الجديد ان نفوذ الفاطميين في المغرب لا سيما الاقصى قد تزعزع كثيراً لذلك اوعز الى قائده ومملوكه ميسور الفتى بالتجهز بالعدة والتوجه لمحاربة اشياع الأمويين فيه فسار ميسور من افريقية سنة (٣٢٣هـ/٩٣٤م) فانتهى الى فاس التي اضطربت احوالها كثيراً بعد سيطرة ابن ابي العافية عليها فاستطاع ميسور بالتعاون مع بقايا الادارسة ان يهزم ابن ابي العافية ويلجيء الى الصحراء ويأسر ابنه البوري ويرسله مخفوراً الى المهدية ثم لم يلبث ان عاد هو ايضاً من غزوته مظفراً.[4]

لقد اتاحت الظروف السياسية المضطربة التي مرت بها الدولة الفاطمية آواخر عهد القائم للأمويين استعادة نفوذهم الذي فقدوه بعد حملة ميسور فقد حدث ان انتشرت ثورة الاباضية النكار[5] في العديد من مدن المغرب هذه الثورة التي كانت بقيادة الزعيم ابي يزيد

---

(١) ابن خلدون: العبر، ١٤١/٤، السلاوي: الاستقصا، ١٨٨/١.

(٢) السلاوي: المصدر نفسه، ١٨٩/١.

(٣) ابن حماد: اخبار بني عبيد، ص١٠، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ١٥٠/١، ابن الآبار: الحلة السيراء، ١٩٢/١، ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٩٣/١.

(٤) السلاوي: الاستقصا، ١٩٠/١. وينظر: عارف ثامر: القائم والمنصور الفاطميان اما ثورة الخوارج، دار الافاق الجديدة، (بيروت-١٩٨٢)، ط١، ص٢٩-٣٠.

(٥) النكار او النكارية: فرقة من الاباضية الخوارج سمو نكاراً لانهم انكروا امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ثاني ائمة الدولة الرستمية الذي تولى الحكم سنة ١٧١هـ/٧٨٧م وكان يتزعم هذه الفرقة يزيد بن فندين. ينظر: د. موتلنسكي، الاباضية، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول، ص١٣.

الخارجي[1] الملقب بصاحب الحمار[2] واستطاع السيطرة على معظم مدن المغرب التابعة للفاطميين ووصل خطره حداً بحيث حاصر الخليفة القائم في المهدية حتى توفي في رمضان سنة (٣٣٤هـ/ نيسان ٩٤٥م)[3] وإزاء ذلك لم يتردد الخليفة الناصر عن تأييد هذه الثورة وامدادها بالمساعدات التي كان يطلبها ابو يزيد مقابل اعترافه بالسيادة الأموية على المناطق التي سيطر عليها وهذا يتضح من خلال السفارات التي بعثها ابو يزيد الى الناصر[4].

لقد اسهمت هذه الثورة في ان يستعيد اتباع الناصر في المغرب نشاطهم فقد تقدم محمد ابن خزر الزناني نحو اراضٍ جديدة وضمها الى مناطق نفوذه كما ساعدت هذه الثورة التي كانت سبباً في ضعف الفاطميين على انضمام زعماء بربر آخرين الى الأمويين مثل يعلى بن محمد اليفرني وحميد بن يصل المكناسي.[5]

لكن ثورة ابي يزيد تم القضاء عليها من الخليفة المنصور بالله بن القائم (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) وبإسهام كبير من قبيلة صنهاجة وزعيمها زيري بن مناد الذي امد المنصور الفاطمي بالجند[6] مما ادى الى ارتفاع مكانته عند الخليفة الفاطمي فولاه مدينة اشير[7] وما حولها فاتخذها قاعدة للهجوم على اعداء الفاطميين لا سيما محمد بن خزر الذي يكن له عداوة شديدة ادت الى قيام حروب عديدة بينهم ومنازعات.[8]

---

(١) ابو يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي ثائر من زعماء الاباضية في المغرب كان يغلب عليه الزهد والتقشف ولد ونشأ في قسطيلة وسافر الى تاصرت فكان معلماً للصبيان فيها وانتقل الى تقيوس ولما مات عبيد الله المهدي خرج باتباعه سنة ٣٢٢هـ بناحية جبل اوراس وعظم امره وامتلك رقادة والقيروان وسوسة ثم هزمه المنصور فمات متأثراً بجراحه. ينظر: ابن خلدون: العبر، ٤/٤٠-٤٢ ، ابن الاثير: الكامل، ٤٢٢/٨، ابن خلكان: وفيات الاعيان،٧٧/١.

(٢) لقب بهذا اللقب لانه دائماً كان يركب حماراً اشهب اهداه له رجل من اهل قرطاجنة. ينظر: عبد المولى، محمد احمد: القوى السنية في المغرب، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية-١٩٨٥)،ط١،٤٢٦/١.

(٣) المقريزي: اتعاظ الحنفا،١٦١/١.

(٤) عن هذه السفارات ينظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ٢١٢/٢-٢١٣ .

(٥) ذكر ابن عذاري انه سنة ٣٣٥هـ وفد على قرطبة القائد حميد بن يصل المكناسي قاصداً الناصر معلناً طاعته للأمويين بعد ان ساءت علاقته مع الفاطميين . ينظر: البيان المغرب، ٣٠٤/١، ٢١٥/٢.

(٦) ابن ابي دينار : المؤنس، ص٧٤.

(٧) اشير: مدينة قديمة من بلاد الزاب بينها وبين المسيلة مرحلة واحدة كان زيري الصنهاجي قد اعاد ترميم سورها وحصنه فصارت احصن بقعة في بلاد الزاب. ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٦٠.

(٨) بدر: تاريخ الأندلس، ص٩٠.

ولما توفي المنصور بالله تولى ابنه المعز لدين الله الخلافة سنة (٣٤١هـ/٩٥٢م) ولم يكن سلطان الفاطميين يتجاوز المغرب الاوسط فاراد معالجة الوضع باتباع سياسة تتصف بالاعتدال نوعاً ما مع بعض قبائل المغرب المعادية لدولته لا سيما قبيلة زنانة مما ادى الى تخفيف حدة ثوراتها وانحياز بعض قادتها اليه مثل الزعيم محمد بن خرز الزناني الذي وفد على المعز في القيروان طائعاً سنة (٣٤٢هـ/٩٥٣م) فأكرمه الخليفة واحسن وفادته وبقي في بلاطه حتى وفاته سنة (٣٤٨هـ/٩٥٩م)[1] ويعلل احمد بدر[2] انقلاب محمد بن خزر على الأمويين وجنوحه الى الفاطميين بعدة اسباب منها ان الفاطميين – لاسيما الخليفة المنصور - حاولوا اجتلابه الى جانبهم منذ اواخر ايام تمرد أبي يزيد الخارجي بطلب معونته مقابل عشرين حملاً من المال فضلاً عن شعور ابن خزر بالحسد من يعلى بن محمد اليفرني - التابع الجديد للناصر - الذي ازدادت مكانته لدى الأمويين اكثر منه. وكانت هذه المنافسة بين آل خزر وآل يعلى سبباً في ضياع النفوذ الأموي في المغرب فيما بعد ومع هذه الاسباب تبقى حقيقة واحدة هي ان ما قام به ابن خزر من الانحياز الى الفاطميين كان مسلكاً لجميع زعماء القبائل المغربية التي ترى من الدعوة للخلفاء سواءً كانوا أمويين ام فاطميين وسيلة لتقوية انفسهم بالمال والسلاح والواجهة الشرعية مما يساعدهم على فرض سلطانهم ومنازعة خصومهم. وقد حدث سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م) حيث زاد من حدة الصراع بين الأمويين والفاطميين ففي هذه السنة امر الناصر بإنشاء مركب كبير لم يعمل مثله في دار الصناعة في المرية وسير فيه امتعة الى المشرق فلقي في البحر مركباً يحمل رسولاً من الحسن بن علي أمير صقلية[3] الى المعز لدين الله الفاطمي فقطع عليه بحريو المركب الأندلسي الطريق واستولوا على ما فيه بضمنها رسائل كان قد ارسلها الوالي الصقلي الى المعز[4] ولما بلغ المعز ما حدث جهز اسطولاً تحت قيادة الحسن بن علي وارسله الى الأندلس فهاجم الاسطول الفاطمي مدينة المرية واقتحم مرساها واحرق ما فيه من سفن واستولى على ذلك المركب

---

[1] ابن خلدون: العبر ، ٤٦/٤. وينظر: صالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ص١٨٢.

[2] تاريخ الأندلس ، ص٩٠ .

[3] انتقل حكم صقلية الى الفاطميين بوصفها احدى املاك الدولة الأغلبية التي اسقطها الفاطميون وحلوا محلها وذلك سنة ٢٩٦هـ عندما ثار الصقليون على وليهم الاغلبي وخلعوه وارسلوا يعلنون تبعيتهم للفاطميين. ينظر: الدوري: تقي الدين عارف: صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية،دار الطليعة للطباعة، (بيروت-١٩٨٠)، ص١٠٢.

[4] ابن الاثير : الكامل، ١٢/٨، وينظر: الدوري: المرجع نفسه، ص١٢٧.

الخاص بالناصر وكان قد عاد من رحلته من الاسكندرية مشحوناً ببضائع للناصر ثم دخلوا المدينة واخذوا يقتلون وينهبون فيها ثم عادوا الى المهدية سالمين.[1]

يبدو ان هذه الحادثة لم تكن عرضية وان السفينة الفاطمية التي هاجمها الأندلسيون لم تكن مجهولة لهم فقد كان الناصر يدرك اطماع الفاطميين في الأندلس ولا بد انه قد وضع سفناً استطلاعية تراقب نشاط الفاطميين البحري فعثرت احدى هذه الدوريات على السفينة الفاطمية واستولت عليها.[2]

على اية حال فإن الناصر لم يمهل خصمه طويلاً حيث جرد حملة بحرية معاكسة للانتقام فذكر ابن الاثير[3] انه: (لما سمع عبد الرحمن الأموي سير اسطولاً الى بعض بلاد افريقية فنزلوا فقصدتهم عساكر المعز فعادوا الى مراكبهم... وقد قتلوا وقتل منهم خلق كثير) ولم يعين ابن الاثير الجهة التي هاجمها بحريو الأندلس بالتحديد لكن هنالك من خمن انهم قصدوا مرسى الخزر وساحل سوسة من افريقية.[٤]

ورداً على ذلك قام المعز بارسال قائده جوهر الصقلي[5] سنة (٣٤٧هـ/٩٥٨م) بجيش كثيف وكانت عدته عشرين الف مقاتل[6] فسار جوهر بقواته متجهاً نحو المغرب الاقصى حيث اتباع الأمويين فلما اتصل الخبر بيعلى بن محمد اليفرني صاحب طنجة حشد قواته وخرج لمواجهة قوات الفاطميين فكان اللقاء قرب تاهرت فاستعرت الحرب بينهما وانجلت عن مقتل يعلى اليفرني فاحتز رأسه وبعثه الى المعز الفاطمي فطيف به في القيروان.[٧]

---

[١] ابن الاثير: الكامل، ٥١٢/٨.

[٢]Dozy, op. Cit., Vol.2, p. 160.

[٣]المصدر السابق، ٥١٢/٨.

[٤] Provencal, op. Cit., Vol.11, p. 108

[٥]ابو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي كان مولى للمنصور بالله الفاطمي ثم علت مكانته حتى أصبح قائد القواد في زمن ابنه المعز لدين الله. ينظر: ابن خلكان،وفيات الاعيان، ٣٧٥/١.

[٦] مجهول مفاخر البربر، ٥/١.

[٧]القاضي النعمان بن محمد (ت٣٦٣هـ): المجالس والمسايرات، تحقيق محمد الحبيب وآخرون، المطبعة الرسمية التونسية، (تونس-١٩٨٧)، ص٢١٧. ويذكر ابن خلدون ان يعلى اليفرني استأمن لجوهر واذعن له وبايعه واظهر جوهر قبوله ثم دس عليه من اغتاله. ينظر: العبر، ٩٦/٤.

ثم تقدم جوهر نحو سجلماسة التي كان أميرها قد استقل بها فقاتله جوهر وانتصر عليه[1] ثم سار الى فاس فوصلها سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م) وحاصرها حوالي نصف شهر[2] واقتحمها بالتعاون مع زيري الصنهاجي وقبض على أميرها المتحالف مع الناصر وهدم اسوارها ثم واصل سيره نحو سبته التي حاصرها حصاراً شديداً لكنه لم ينل منها لاتصالها بالأندلس بحراً حيث الامدادات تأتيها تباعاً ولما طال أمد الحصار تركها قافلاً الى المهدية.[3]

ثالثاً- سياسة الحكم المستنصر تجاه الدولة الفاطمية

تولى الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) الحكم في وقت ضاع للأموين اكثر نفوذهم في المغرب وذلك بعد حملة جوهر الصقلي على المغرب الاقصى فاقتصر سلطانهم على قاعدتهم الحصينة سبته. فاراد الحكم توطيد الحكم الأموي فيها بعد ما حدث بالمغرب فامر سنة (٣٥١هـ/٩٦٢م) بترميم سور سبته ثم عاد وامر سنة (٣٥٣هـ/٩٦٤م) باسقاط جميع المغارم والضرائب عن اهالي سبته[4] وبذلك تقرب اكثر من اهالي سبته واكتسب محبتهم.

لقد حصل الأمويون في عهد المستنصر على فرصة ذهبية لتثبيت نفوذهم في المغرب بعد نجاح الجيوش الفاطمية في الاستيلاء على مصر بقيادة قائد المعز بالله جوهر الصقلي في شعبان سنة ٣٥٨هـ/حزيران سنة ٩٦٨م[5] فلم يعد للصراع مع الفاطميين ذلك الطابع العسكري المهدد للنفوذ الأموي في المغرب بعد ان أصبح المغرب مجرد ولاية من ولايات الدولة الفاطمية لا قاعدة لها[6] فبعد ان شقت الدولة الفاطمية طريقها نحو الشرق الذي يمتلك مجالاً اوسع للنشاط السياسي والعقائدي حيث الصراعات السياسية والعقائدية على اشدها تطوق خلافة بغداد خف اهتمام الفاطميين بالمغرب وأصبح المجال اوسع للأمويين لتوطيد نفوذهم[7].

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٣١٦/١.

(٢) السلاوي: الاستقصا، ١٩٩/١.

(٣) السلاوي: المصدر نفسه، ١٩٩/١، وينظر: حسن: حسن ابراهيم وآخرون: المعز لدين الله، مطبعة السنة المحمدية، (القاهرة-١٩٦٣)،ط٢،ص٤٥.

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب، ٣٢٤/١.

(٥) عن سقوط مصر بيد الفاطميين . ينظر: ابن الاثير: الكامل، ٥٩٠/٨، ابن خلدون: العبر، ٤٨/٤ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ٤/ ٣٠ .

(٦) بدر : تاريخ الأندلس، ص٩٣.

(٧) بيضون : الدولة العربية، ص٣٢١ .

من جانب آخر افاد الأمويون من النزاع الذي حدث بين الزعماء المغاربة الموالين للفاطميين على نيابة الفاطميين في حكم المغرب فقد كان لقيام المعز الفاطمي بتسليم حكم المغرب الى زيري بن مناد الصنهاجي اثاراً سيئة في نفس زعيم آخر تفانى هو وعائلته في خدمة الفاطميين هو جعفر بن علي الأندلسي[1] الذي كان يطمع بحكم المغرب بعد رحيل المعز الفاطمي الى مصر[2] فحقد جعفر على الفاطميين والصنهاجيين معاً وكان زيري الصنهاجي يحس بالحقد والضغينة اللتين يكنهما جعفر له فبدأ يستفزه باعماله العدوانية فكان يعمد الى مهاجمة القبائل المغربية التي تسكن بالقرب من المسيلة[3] الداخلة في ذمة جعفر بن الأندلسي[4] ووصل حقد زيري حداً أن اتهم ابن الأندلسي لدى المعز بالتواطؤ مع محمد بن الخير بن خرز الزناتي ضد الفاطميين وكان ذلك سبباً في قيام المعز الفاطمي باستدعاء ابن الأندلسي اليه.[5]

أثار الحاح المعز على ابن الأندلسي بالقدوم اليه مخاوف جعفر من الغدر به فتظاهر بالاذعان له وخرج من المسيلة في جمادي الأخرى سنة ٣٦٠هـ/نيسان ٩٧٠م مع اهله ومواليه لكنه بدلاً من ان يتوجه نحو المعز فر الى قبائل زناتة خالعاً طاعة الفاطميين.[6]

ولما بلغ الخبر الى زيري الصنهاجي بادر بالخروج مسرعاً لقتاله بقوات قليلة لان معظم قواته كانت مع ابنه بلكين في قاصية الغرب[7] فالتقى بجعفر وجموع الزنانتيين في رمضان سنة ٣٦٠هـ/تموز من سنة ٩٧٠م لكن جعفراً استطاع التغلب على قوات صنهاجة

---

(١) هو جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي جدهما الاكبر عبد الحميد وفد الى الأندلس وسكن البيرة وانتقل حمدون الى بجاية بالمغرب ومال الى الدعوة الفاطمية فكانت له مكانة رفيعة لدى الفاطميين توارث هذه المكانة ابنه علي الذي أصبح من اكبر قادة الفاطميين في عهد عبيد الله المهدي وبنى بتكليف منه مدينة المسيلة وتولى امرها من بعده ابنه جعفر . ينظر: ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٣٣، ابن خلكان: وفيات الاعيان، ٣٦٠/١؛ ابن الابار: الحلة السيراء، ٣٠٥/١-٣٠٨.

(٢) ابن ابي دينار: المؤنس، ص٧٤. وينظر: بدر : تاريخ الأندلس، ص٩٤.

(٣) المسيلة: مدينة من بلاد الزاب بالمغرب الاوسط بالقرب من قلعة بن حماد بينهما ٢٤كم وهي مدينة كثيرة الخيرات اسسها علي بن حمدون الأندلسي بامر من القائم بامر الله الفاطمي تسكنها قبائل كثيرة من البربر كهوارة وبني برزال . ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٥٥٨؛ مجهول: الاستبصار، ص١٧١-١٧٢.

(٤) ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٣٧.

(٥) ابن حيان: المصدر نفسه، ص٣٥. وينظر : بدر: تاريخ الأندلس، ص٩٤.

(٦) ابن حيان: المصدر نفسه، تح: الحجي، ص٣٧، ابن ابي دينار: المؤنس، ص٧٤.

(٧) ابن حيان: المقتبس : تح ، الحجي، ص٣٧.

بعد مقتل زعيمها زيري الذي كبا به فرسه فسقط صريعاً[1] فاحتز جعفر رأسه وبعث به الى الحكم المستنصر مع اخيه يحيى[2] ثم لم يلبث ان لحق باخيه عابراً الى بر الأندلس وافداً الى خليفتها المستنصر الذي تقبله احسن قبول وانزله المكانة الرفيعة.[3]

كانت هذه الحادثة ضربة قوية لنفوذ الدولة الفاطمية ولحليفتها القوية صنهاجة في حين كانت انتصاراً للسياسة الأموية في المغرب[4] وقد رد الفاطميون على ذلك بحملة قوية قادها بلقين (بلكين) بن زيري الذي كان يحمل حقداً ورغبة في الانتقام لمقتل والده فاستعد بنو خزر والزناتيون لمواجهته فوقعت الحرب بينهما لكن الزناتيين خسروها ومزق جيشهم فاقدم زعيمهم محمد بن الخير بن خزر على الانتحار خوفاً من سطوة بلكين[5] فتقدم بلكين نحو تاهرت وبسكرة[6] وطبنة[7] والمسيلة حتى يقال انه (لم يترك عند احد منهم فرساً ولا جملاً)[8] وبعد ان شفى بلقين غله من الزناتيين عاد قافلاً الى القيروان حيث استقبله المعز خير استقبال وخلع عليه الخلع وولاه حكم المغرب نيابة عنه فيما رحل هو الى مصر حاضرته الجديدة[9].

---

(١) ابن حيان: المصدر نفسه، ص٣٧.

(٢) ابن ابي دينار: المؤنس، ص٧٤. وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٤٩١/٢، المزروع: الحكم المستنصر، ص٩٣.

(٣) ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٤٤ ، ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص٤٢، ابن خلكان: وفيات الاعيان، ٣٦٠/١. وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٤٩١/٢، المزروع: الحكم المستنصر، ص٩٣.

(٤) بيضون: الدولة العربية، ص٣٢٢.

(٥) ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٣٨، وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٤٩٤/٢.

(٦) بسكرة : احدى مدن الزاب بالمغرب الاوسط بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان وبينها وبين طبنة مرحلة تكثر بها الاشجار ولا سيما النخيل والزيتون. ينظر: الحموي: معجم البلدان، ٤٢٢/١، الحميري: الروض المعطار، ص١١٣-١١٤.

(٧) طبنة: من بلاد الزاب بالمغرب بينها وبين المسيلة مرحلتان وهي مدينة كبيرة ولها حصن قديم عليه سور من حجر متقن البناء. ينظر: البكري: المغرب من ذكر افريقية والمغرب ،ص ٥١؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٨٧.

(٨) ابن ابي دينار: المؤنس، ص٧٥.

(٩) مجهول: مفاخر البربر، ص١٣.

من جانب آخر كانت حملة بلكين بن زيري الناجحة عاملاً دفع بالادارسة من آل محمد وزعيمهم الحسن بن كنون[1] الى اعلان ولائهم للفاطميين وخلع طاعة الأمويين[2] مغضبين بذلك الخليفة الأموي الحكم المستنصر الذي رأى ان سياسة التدخل غير المباشرة في المغرب بواسطة حلفائه المغاربة لم تعد تجدي نفعاً وانه حان الوقت للقيام بعمل تأديبي في المغرب الاقصى لذا امر باعداد جيش أندلسي ضخم حسن الاهبة تحت إمرة قائده ووزيره محمد بن القاسم بن طملس فعبر هذا الجيش الى سبتة في شوال من سنة ٣٦١هـ/تموز سنة ٩٧١م[3] واستعد للقاء ابن كنون الذي كان في طنجة فلما علم بقدوم القوات الأندلسية تهيأ للقائها والتحم الطرفان باحواز طنجة وكانت نتيجة المعركة ان هزم ابن كنون وقتل العديد من اتباعه[4] فتقدم الجيش الأموي واستولى على طنجة بعد ان خرج شيخهم ابن الفاضل منادياً الطاعة لله تعالى ولأمير المؤمنين المستنصر وفي اثناء ذلك ارسل الحكم الى قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس وامر رجاله بالتأهب واعداد الاساطيل –اسطولي المرية واشبيلية- ليكونوا على قرب من القائد ابن طملس وليطلعوا الحكم على اخباره وتحركاته فبشروه أولاً بفتح طنجة وفرار ابن كنون[5] ثم التقى ابن طملس مع ابن كنون مرة أخرى فهزمه فالتجأ الى جبل حصين بقرب طنجة يدعى جبل الريح وتحصن به لكن جنود ابن طملس استطاعوا ان يستولوا على الجبل واستطاع ابن كنون الهرب ثانية فواصل الجيش تقدمه نحو اصيلة[6] التي استولى عليها[7] ثم زحف الجيش الأموي نحو قلعة دلول[8] وتحصنوا فيها فيما كان الحسن بن كنون بعد هزيمته يجمع قواته ويعيد تنظيمها ثم التقى بالقوات الأموية في مكان يعرف

---

(١) عندما خرج ابو العيش الادريسي الى الأندلس للجهاد ومات شهيداً عام ٣٤٨هـ استخلف على عمله اخاه الحسن بن كنون وهو آخر الملوك الادارسة في المغرب ولم يزل الاخير مستمسكاً بدعوة آل مروان حتى مجيء جوهر الى المغرب فبايع الفاطميين لكنه رجع عن بيعتهم وعاهد بني امية ثانية وكان نفوذ الادارسة قد تقلص الى منطقة الريف المغربي. ينظر: السلاوي: الاستقصا، ١٩٧/١.

(٢) مجهول: مفاخر البربر، ص٨ وينظر : Larou i, op. Cit., p. 137 .

(٣) ابن حيان : المقتبس، تح: الحجي، ص٨٠ .

(٤) ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، ص ٨٩ . وينظر: عنان، دولة الإسلام، ٤٩٢/٢.

(٥) ابن حيان، المصدر نفسه، ص٩٠ .

(٦) اصيلة: مدينة كبيرة تقع غربي طنجة على المحيط الاطلسي تسكنها قبائل لوانة وهوارة المغربية. ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٤٢.

(٧) ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٩٠-٩١، ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٤٦/٢.

(٨) دلول: قلعة حصينة في اعلى جبل منيف بينها وبين مدينة مستغانم مسيرة يومين وبينها وبين البحر المتوسط حوالي ٣٠كم وبها عين ماء تسمى كردي. ينظر: البكري: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، ص٦٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٧٠.

بـ(فحص مهران) بالقرب من طنجة[1] فدارت الدائرة على الأندلسيين الذين خسروا المعركة وقتل قائدهم ابن طملس وذلك في الثالث والعشرين من ربيع الأول من سنة ٣٦٢هـ/الخامس من كانون الثاني سنة ٩٧٢م في حين اتجهت فلول الجيش الى سبته وتحصنوا بها وبعثوا الى الخليفة الحكم يخبروه بالامر[2] .

لقد ادرك الحسن بن كنون خطورة ما ارتكبه فأراد التوبة فارسل يطلب الصلح من الحكم[3] لكن ما كان الحكم ليغفر له عمله هذا بل بادر الى ارسال كبير قادته واكفئهم غالب ابن عبد الرحمن وامده بالجند والاموال الكثيرة ليشتد في قتال ابن كنون وقال له : (سر سير من لا اذن له في الرجوع حياً الا منصوراً او ميتاً فمعذوراً وابسط يدك في الانفاق فان اردت نظمت للطريق بيننا قنطار مال)[4] وان دل ذلك على شيء فانما يدل على عظم اهمية المغرب لا سيما الاقصى لخلفاء بني امية في الأندلس بوصفه خط دفاع متقدم للأندلس فضلاً عن اهميته السياسية والاقتصادية والتجارية.

ومهما يكن من امر فان غالب سار بقواته الجرارة من قرطبة في شوال من سنة ٣٦٢هـ/تموز سنة ٩٧٢م وعبر البحر من الجزيرة الخضراء الى قصر مصموده[5] وكان الحسن بن كنون قد تحصن في قلعة حجر النسر[6] فقام القائد غالب بالاستيلاء على مدينة البصرة[7] بعد عبوره الى بر العدوة[8] ومنها سار الى القلعة التي تحصن بها ابن كنون

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، تح: الحجي، ص٩٦. ويذكر السلاوي ان معركة حدثت في فحص بني مصرخ بالقرب من طنجة. ينظر: الاستقصا، ٢٠٠/١.

(٢) مجهول: مفاخر البربر، ص٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٤٦/٢؛ السلاوي: الاستقصا، ٢٠٠/١. وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٤٩٢/٢، محمد : مدينة سبته، ص٥٠-٥١.

(٣) ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٩٧.

(٤) مجهول: مفاخر البربر، ص٩ . وينظر: العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ٢١٦، السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٨٧.

(٥) قصر مصمودة: حصن كبير بينه وبين سبته ٢٤كم وهو على ضفة البحر المتوسط تنشأ فيه المراكب والحرارق بينه وبين طنجة ٤٢كم . وينظر: الحميري: الروض المعطار، ص٤٧٦.

(٦) حجر النسر: قلعة منيعة تقع جنوب تطوان على مرتفع شمال شرق القصر الكبير. ينظر: البكري: المغرب، ص١١٤.

(٧) البصرة: مدينة مغربية كبيرة فيما بين طنجة وفاس بينها وبين فاس مرحلتان او ثلاث. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص١٠٨.

(٨) ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص٤٢، ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٤٧/٢.

فحاصرها حصاراً شديداً[1] لكن مناعة قلعة النسر امد من عمر هذا الحصار. في حين تحرك الاسطول الذي يقوده ابن رماحس من طنجة الى اصيلة حيث اسطول غالب مرابط ليكون على مقربة من الحدث وقد بارك المستنصر هذه الخطوة بقوله: (ان اجتماع الاسطولين من صواب التدبير والاخذ بالحزم)[2] وامدهم بقائد ثالث هو يحيى بن محمد التجيبي بعدد من القوات[3] فلما اجهد الحصار إبن كنون اضطر الى طلب الامان واعلان الطاعة للحكم في جمادي الأخرى سنة ٣٦٣هـ/آذار من سنة ٩٧٣م فدخل غالب القلعة ودعى للحكم على منبر مسجدها[4] ثم تتبع بقايا الادارسة ببلاد الريف وفاس حتى استأصل شأفتهم واخضع المغرب الاقصى للدعوة الأموية[5] .

في أواخر سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) عبر القائد غالب الناصري بحر الزقاق عائداً الى الأندلس مستصحباً معه الحسن بن كنون واتباعه الادارسة[6] بعد ان احسن تنفيذ وصية خليفته في استصال بني ادريس واعادة الدعوة للأمويين في المغرب[7] فكان دخولهم قرطبة في اول يوم من محرم سنة ٣٦٤هـ/ايلول سنة٩٧٤م وقد بالغ الحكم المستنصر في اكرامهم وعفا عن الحسن بن كنون واوسع له ولرجاله في العطاء واجرى عليهم الجرايات الكثيرة وادخله هو واهله ورجاله في ديوان العطاء وكانوا سبعمائة رجل انجاد واسكنهم قرطبة.[8]

لم تدم علاقة المودة بين الحكم المستنصر وابن كنون اذ سرعان ما كدر صفوها سوء خلق ابن كنون وسماجته التي طالما اظهرها للمستنصر[9] الذي لم ينس ما قام به وما فعله ابن كنون باسرى الجيش الأندلسي عندما كانت الحرب دائرة بينهم فقد كان يلقي بهم من اعلى قلعته في المغرب فيصلون الارض مقطعين ارباً.[10]

---

(١) ابن حيان : المقتبس، تح الحجي، ص١٣٤.

(٢) ابن حيان: المصدر نفسه، ص١١٦.

(٣) ابن حيان: المصدر نفسه، ص١٢٨.

(٤) ابن حيان: المصدر نفسه، ص١٥١. وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٤٩٣/٢.

(٥) السلاوي: الاستقصا، ٢٠١/١ . وينظر: المزروع: الحكم المستنصر، ص١٠٤.

(٦) مجهول: مفاخر البربر، ص٩. وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٤٩٣/٢.

(٧) السلاوي: الاستقصا، ٢٠٢/١ . وينظر: المزروع: الحكم المستنصر، ص١٠٤.

(٨) مجهول: مفاخر البربر، ص١٠ ، ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٤٨/٢، السلاوي: الاستقصا، ٢٠٢/١ . وينظر: عنان: دولة الإسلام، ٤٩٣/٢.

(٩) مجهول: المصدر نفسه، ص١٠، السلاوي: الاستقصا، ٢٠٢/١.

(١٠) مجهول: المصدر نفسه، ص١٠.

فضلاً عن ما تردده المصادر عن قصة مفادها ان ابن كنون كان يمتلك قطعة عنبر نفيسة غريبة الشكل حصل عليها من بعض سواحل المغرب[1] فاراد الحكم الحصول عليها فامتنع الحسن عن تقديمها للخليفة مما اثار الاحقاد القديمة في نفس الحكم على ابن كنون وفجرها فادى ذلك الى ان نكبه الخليفة فجرده من املاكه وامواله سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م)[2] ثم انشغل الحكم بمرضه تاركاً اعباء الحكم لوزيره المقرب جعفر بن عثمان المصحفي[3] الذي رأى من الافضل ان يعود يحيى بن محمد التجيبي[4] الى عمله في الثغر الاعلى الذي كان يشهد حركة ونشاطاً واسعاً من قبل الاسبان[5] في حين اسند امر المغرب الى جعفر بن علي الأندلسي واخيه يحيى ليحكماه باسم الحكم المستنصر وجهزهما بالاموال والخلع ليجمعا حولهما زعماء البربر ويجذبوهم الى جانبهما فوصلا الى قلعة النسر وسلم اليهما يحيى التجيبي مقاليد حكم المغرب وقفل هو راجعاً الى قرطبة فدخلها سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م) ثم ارسل لوقته الى سرقسطة[6] .

كما اقدم المصفحي على خطوة أخرى كانت لها عواقبها السيئة على النفوذ الأموي في المغرب فيما بعد وهي اخراج الحسن بن كنون واتباعه من الادارسة من الأندلس وترحيلهم الى المشرق واخذ عليه المواثيق والعهود على ان لا ينزلوا بالمغرب[7] وزودهم بالاموال التي استعانوا بها على سفرهم ووكل بهم من اخرجهم من الأندلس عن طريق المرية فعبروا البحر الى تونس اواخر سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م)[8] وذلك للتخلص من نفقاتهم الباهضة[9] مما ادى الى ان يلتجأ هؤلاء الادارسة الى العدو التقليدي للأندلس وهم الفاطميون وخليفتهم العزيز بالله نزار بن المعز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) فاكرمهم ووعد الحسن بالنصر والاخذ بثأره من الأمويين[10] فكان هؤلاء سلاحاً استخدمه الفاطميون لاضعاف نفوذ الأمويين في المغرب فيما بعد[11] .

---

(١) مجهول: المصدر نفسه، ص١١. وينظر: المزروع: الحكم المستنصر، ص١٠٥.

(٢) السلاوي: الاستقصا، ٢٠٢/١-٢٠٣.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٤٨/٢ . وينظر: Provencal, op. Cit., Vol.11, p.395 .

(٤) كان القائد غالب بن عبد الرحمن قد اسند حكم المغرب الى القائد يحيى التجيبي عند عودته الى الأندلس بصحبة ابن كنون. ينظر: مجهول: مفاخر البربر، ص١٢.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٤٩/٢.

(٦) مجهول: مفاخر البربر، ص١٣٤-١٤ ، ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٤٩/٢.

(٧) مجهول: مفاخر البربر، ص١٤.

(٨) السلاوي: الاستقصا، ٢٠٣/١ .

(٩) مجهول: المصدر السابق، ص١٤. وينظر: العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٣٤.

(١٠) السلاوي : الاستقصا، ٢٠٣/١.

(١١) مجهول: المصدر السابق، ص١٥. وينظر: بدر: تاريخ الأندلس، ص١٠٠.

رابعاً- الأساليب التي اعتمدها الأمويون في الأندلس ضد الدولة الفاطمية

لقد استخدم الأمويون في الأندلس اساليب عديدة في صراعهم ضد الفاطميين منها:

١- استخدام المذهب المالكي وفقهائه سلاحاً ضد الفاطميين

لقد تبنت الدولة الأموية في الأندلس مذهب الامام مالك بن انس (رضي الله عنه) (ت١٧٩هـ/٧٩٥م) مذهباً رسمياً للدولة منذ عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م)[1] لذا كانت عيون الفقهاء المالكية في كل مكان وخاصة في المغرب العربي ترنو اليها عند تعرضهم لمحنة او ازمة. في حين ظهور الفاطميين في المغرب ونشرهم اصول مذهبهم فيه وفرضه بالقوة على الناس هناك ومناصبة المذاهب الأخرى وخاصة المالكية العداء فقد عمد عبيد الله المهدي الى منع المالكية من الافتاء والتدريس مما اثار فقهاء المالكية ودفع بالبعض منهم الى ترك بلدهم والتوجه نحو الأندلس والنزول في ضيافة امرائها الذين لم يدخروا وسعاً للترحيب بهم وانزالهم المكانة الرفيعة والمصادر تسجل لنا العديد من اسماء هؤلاء الوافدين منهم الفقيه احمد بن الفتح المليلي الملقب بابن الخراز الذي كان قاضياً في مليلة قدم على الخليفة الناصر سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م) خشية من عساكر الفاطميين فأجاره وسجل له على قضاء ناحيته وظل موالياً للأمويين حتى وفاته سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م)[2] . وكذلك المحدث محمد بن احمد بن محمد المالكي (ت٣٥٩هـ/٩٦٩م) الذي امتحن في مذهبه لكنه كان شديد التمسك بالسنة فوفد على الحكم المستنصر فرحب به وبقي في الأندلس ينشر علمه حتى وفاته[3] . ومنهم الفقيه ابن الازرق الحصي(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) الذي خرج من مصر سنة (٣٤٣هـ/٩٥٤م) واتجه الى القيروان فقبض الفاطميون عليه وحبس بالمهدية اكثر من ثلاث سنوات ومن ثم توجه الى الأندلس سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م) فتلقاه الحكم المستنصر بالترحاب وتوسع عليه وظل في ضيافة المستنصر حتى وفاته.[4]

---

(١) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٩، بروفنسال: ليفي: حضارة العرب في الاندلي، ترجمة: ذوقان قرقوط، (بيروت-د.ت)، ص٤٣.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ، ٧٥/١ تر: رقم (٢٠٢) . وينظر: محمود علي مكي: التشيع في الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة-٢٠٠٤)، ص٣٨.

(٣) ابن الفرضي: المصدر نفسه ، ١١٤/٢. تر: رقم (١٣٩٩).

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ١١٧/٢-١١٩- تر. رقم (١٤٠٥).

وممن تعرض له الفاطميين الفقيه حكم بن محمد بن هشام القرشي المقريء (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م) الذي سجنه من قبل عبيد الله المهدي وعذبه لصلابة كانت فيه وتشدد على اهل البدع مما دفعه الى الجواز الى الأندلس فاكرمه الخليفة المستنصر واجرى عليه العطاء من ديوان عطاء قريش حتى وفاته[1] .

ومن الفقهاء من فضل البقاء ومحاربة الفاطميين مستغلين الاضطرابات التي تحدث داخل الدولة الفاطمية كقيام ثورة او تمرد وقد واتتهم الفرصة عندما قام ابو يزيد الخارجي بثورته ضد الفاطميين سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م) فانظم اليه الفقهاء المالكية في القيروان وحرضوا الناس فيها على قتال الفاطميين واصفيهم بالكفار واحلوا دماءهم وكان من ابرز هؤلاء الفقهاء ربيع القطان[2] وابو العرب محمد بن احمد التميمي وابو الفضل عباس بن عيسى الممسي (ت٣٣٣هـ/٩٤٥م) الذي افتى صراحة بان قتال هؤلاء القوم افضل من قتال المشركين ويقال ان جميع الفقهاء خرجوا مع ابي يزيد الا واحداً تعذر عليه الخروج بسبب عماه[3] وهنا نرى ان الخليفة الناصر لدين الله يبارك هذه الثورة ويقدم لها الدعم ويرحب بالوفد الذي ارسله ابو يزيد اليه سنة (٣٣٤هـ/٩٤٦م) الذي كان يتضمن عدداً من علماء القيروان برئاسة الفقيه المالكي ابي العرب التميمي.[4]

ولما كان الأمويون في الأندلس يدركون اطماع الفاطميين في مصر فانهم عملوا على دعم المذهب المالكي والمالكية فيها ويذكر ان الحكم المستنصر كان يرسل الاموال الى احد اكبر فقهاء المالكية في مصر المدعو محمد بن القاسم المشهور بإبن القرطبي ليوزعها على علماء المذهب المالكي لمحاربة الدعاية الفاطمية هناك[5] وجدير بالذكر ان هذا الفقيه كان شديد

---

(١) ابن الفرضي: المصدر نفسه، ١٤٣/١- تر. رقم (٣٧٥).

(٢) هو ربيع بن سليمان بن عطاء الله ابو سليمان القرشي النوفلي القيرواني القطان ولد سنة ٢٨٨هـ وكان من الفقهاء المعدودين والعباد المجتهدين والنساك واهل الورع توفي شهيداً وهو يحاصر المهدية مع ابي يزيد سنة ٣٣٤هـ. ينظر: القاضي عياض: ابو الفضل عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب الامام مالك، تحقيق احمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت-١٩٦٥)،٣٣٠/٣.

(٣) القاضي عياض: المصدر نفسه، ٣١٩/٣.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٣١/٢.

(٥) ابن الابار: الحلة السيراء،٢٠١/١ . وينظر: موسى: لقبال: حركة الصراع بين الأمويين والفاطميين في القرن الرابع الهجري، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، عدد(٢١)سنة ١٩٨٢،ص٣٨.

الكره للفاطميين وكان يذمهم ويدعو على نفسه بالموت قبل مجيء دولتهم وقد توفي فعلاً في سنة (٣٥٥هـ/٩٦٦م) أي قبل استيلاء الفاطميين على مصر بثلاث سنوات.[1]

٢- استخدام الجاسوسية

تكثر الشواهد على استخدام الأمويين في الأندلس للجاسوسية ضد الفاطميين فالخليفة عبد الرحمن الناصر (كان له عيون على ما قرب وبعد وصغر وكبر)[2] وكان لديه جواسيس حتى في عقر دار الفاطميين ينقلون له اخبارهم وما يدور في دولتهم ولا ادل على ذلك من معرفة الخليفة الناصر بموت القائم بامر الله الفاطمي بعد شهرين من الحدث على الرغم من ان الفاطميين قد اخفوا خبر موته لمدة سنتين.[3]

كما دأب الخليفة الحكم المستنصر ايضاً على استخدام سلاح الجاسوسية ضد خصومه لا سيما في حروبه في العدوة المغربية ضد الادارسة وزعيمهم الحسن بن كنون كما جاء في احد كتب المستنصر المرسلة الى قادته في المغرب يحثهم فيها على استخدام العيون لكشف خطط العدو بقوله: (ان افضل ما احتمل عليه وعمل به استشعار الحزم و ادراع التحفظ واستنصاح الاتهام واذكاء العيون وبث الجواسيس والاستكثار منهم ومن حملة الاخبار حتى لا يخفى لحسن- اهلكه الله- حركة ولا يتوارى له مذهب).[4]

ومن الضروري ان نذكر هنا ان الفاطميين كان لهم جواسيس في الأندلس ينقلون لهم ما يدور في الأندلس من احداث من الذين كانوا يسترون اهدافهم الحقيقية بستار من المصالح المشروعة كالتجارة او طلب العلم والسياحة ومن هؤلاء الجواسيس ابو اليسر الرياضي الذي كان اديباً محتالاً دخل الأندلس في ايام الأمير محمد بن عبد الرحمن حاملاً كتاباً مزوراً على لسان اهل الشام يدعون فيه للأمويين بالأندلس ويعرضون الخطبة لهم في بلادهم لكن الأمير محمداً فطن الى اغراضه الخفية فاحتفى به واكرمه وخرج من الأندلس دون ان يتمكن من مباشرة نشاطه وبث الدعوة الفاطمية في الأندلس[5] وقد ذكر ابن عذاري[6] ان ابا اليسر هذا كان من وجوه دعوة ابي عبد الله الداعي وقد رافقه في الحملة التي سيرها الداعي لتخليص

---

[1] المكي: التشيع في الأندلس، ص٣٧.

[2] ابن سعيد: المغرب، ١٨٥/١.

[3] المقريزي: اتعاظ الحنفا، ١٢٦/١ ؛ ابن الابار: الحلة السيراء، ٣٩٠/٢-٣٩١.

[4] ابن حيان: المقتبس، تح الحجي، ص٩٧.

[5] مجهول: اخبار مجموعة ، ص١٤٦.

[6] البيان المغرب، ٢٠٩/١ .

الامام عبيد الله المهدي من السجن. وقد استمر الرياضي في خدمة عبيد الله المهدي حتى توفي سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م).[1]

كما استعان الفاطميون بجاسوس آخر هو ابو جعفر محمد بن احمد بن هارون الذي يذكر ابن الفرضي[2] انه تردد بالأندلس اعواماً ويذكر صراحة ان دخوله كان بقصد التجسس ويظهر ان هذا الجاسوس وفق فيما لم يوفق به الرياضي فقد ذكر ان عبيد الله المهدي استكتبه بعد ابي اليسر واستعان به على امر دعوته فكان له في ذلك رأي جميل ونفع عظيم[3] وولاه ايضاً ديوان البريد الذي كان له اهمية كبيرة في الدولة الفاطمية فلم يزل يتولى هذا المنصب حتى وفاته.[4]

ومن الجواسيس الفاطميين الذين قاموا بدور مهم في الأندلس ابن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) الذي دخل الأندلس مستتراً بالتجارة[5] وهو ينوي استطلاع احوال الأندلس ودراستها لمصلحة مواليه الفاطميين حينما كانوا يفكرون في توجيه ضربتهم نحو الأندلس[6] ولعل ذلك ما يفسر اهتمامه بصفة خاصة بتسجيل دخل الدولة ومواردها الاقتصادية وتعداد خيراتها ووصف طرقها ومسالكها واحوالها العسكرية التي اهتم ببيانها في دقة تستوقف النظر وقد حاول في كتابه ان يقنع الفاطميين بضرورة فتح الأندلس لكثرة خيراتها وضعف اهلها بالدفاع عنها، لكن مشروعه لم يظفر بالتأييد من جانب الحكومة الفاطمية.[7]

٣- لجأ الأمويون في الأندلس الى الاتصال باعداء الفاطميين في الخارج حيث ابرم الخليفة الناصر تحالفات مع ملوك الدول المعادية للفاطميين فتحالف مع ملك ايطاليا هوج دي بروفانس الذي كان ناقماً على الفاطميين لتخريبهم ميناء جنوة الواقع شمال غرب ايطاليا وذلك سنة (٣٢٣هـ/٩٣٤م)[8] .

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٢٤/١-٢٢٥. وينظر: المكي: التشيع في الأندلس، ص٢٦.

(٢) تاريخ علماء الأندلس، ٧٤/١-٧٥ . تر. رقم ٢٠١.

(٣) ابن الابار: تكملة كتاب الصلة، ١٤٩/١ . وينظر: صادق، الرحلات العلمية، ص٢٦.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٣٤/١ .

(٥) ابن حوقل: صورة الارض، ص١٠٨

(٦) Dozy, op. Cit., Vol. II, p. 125.

(٧) صادق، الرحلات العلمية، ص٢٦.

(٨) ابن خلدون: العبر، ٤٠/٤. وينظر: العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٠٥، سيسالم: عصام سالم: جزر الأندلس المنسية، دار العلم للملايين، (بيروت-١٩٨٤)، ط١،ص١٠٣.

كما تحالف الناصر مع قسطنطين السابع امبراطور البيزنطيين (٣٠١-٣٤٨هـ/٩١٣-٩٥٩م) ويعتقد البعض ان هدف قسطنطين السابع من هذا التحالف استعادة صقلية من الفاطميين[1] وتشيد المصادر بالحفاوة البالغة التي استقبل بها الناصر رسل الامبراطور بين سنتي (٣٣٤-٣٣٨هـ/٩٤٥-٩٤٩)[2] . وتؤكد بعض المصادر الموالية للفاطميين وجود اتفاق حربي مشترك بين الأمويين والبيزنطيين يقصد به محاصرة الفاطميين من الغرب ومن الشرق وذلك ما يذكره القاضي النعمان[3] بقوله: (كتب الناصر الى طاغية الروم يسأله النصرة واهدى اليه هدايا وارسل اليه رسلاً من قبله فأجابه الى ذلك وجاءت اساطيل الروم من القسطنطينية ومراكب بني امية من الأندلس). وهي رواية لا تؤيدها المصادر الأخرى وما ذكره القاضي هو تشويه لسمعة الأمويين بالأندلس. واغلب الظن ان هذا الاتفاق كان على غرار التحالفات التي ابرمها الأمويون سابقاً مع البيزنطيين دون الارتباط معهم بعمل حربي مشترك.

---

(١) سرور: محمد جمال الدين: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الحمامي، (القاهرة-١٩٦٧)، ص٢٢١.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/٢١٥؛ المقري: نفح الطيب، ١/٢٨٦-٢٨٧، ينفرد ابن خلدون في جعل السفارة الثانية عام ٣٣٦هـ. ينظر: العبر، ٤/١٤٢.

(٣) المجالس والمسايرات، ص١٦٦.

الخاتمـــــة

الخاتمة

بعد عرض موضوع هذه الدراسة الموسومة باسم (التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال المدة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢-٩٧٦م)) وتحليل طبيعة هـذه التحـديات يمكن أن نستنتج ما يأتي:

١- استطاع الأمير الخليفة عبد الرحمن الناصر أن ينهض بالأندلس نهوضاً شاملاً وينقذها من الحالة السيئة التي كانت فيها من التطاحن والنزاعات التي كانت على اشدها باتباعه سياسة داخلية مركزية عن طريق ربط أقاليم الدولة بالسلطة المركزية بصورة فعلية ونراه يحقـق ذلك باتخاذ ألقاب الخلافة التي لم يتجرأ أسلافه على التلقب بها واعتمـد علـى المـوالي والصقالبة لإخضاع الزعامات العربية التي كانت لا تنفك منذ البدايـة تعـارض السـلطة وتنتفض عليها وعمل على عدم إعطائها فرصة لتطغى على سلطة الأمير ومـا قـام بـه الناصر يعد من التحديات الداخلية الصعبة فهو لم ينقذ البلاد من الانهيار فحسب بل وصل بها إلى مكانة مرموقة بين بلدان العلمين الإسلامي والأوربي معاً.

٢- في علاقة الناصر بالممالك الإسبانية الشمالية بين البحث أن الناصر قد اسـتخدم سياسـة هجومية تجاه هذه الممالك التي استغلت انشغال أسلافه الأمراء بمشاكلهم الداخلية ليوسعوا ممالكهم على حساب الدولة العربية في الأندلس لكن الناصر لم يمنحهم الفرصـة للتقـدم اكثر بل قاد بنفسه الحملة تلو الأخرى ضدهم ولم يدع لهم فرصة تجميع قواهم خاصة بعد أن أصبحت الجبهة الداخلية لا تستحوذ على جميع اهتمامه بعد قضائه على كافة التمردات والفتن الداخلية وكان من نتائج هذه السياسة أن استطاع القضاء على بعـض التحـصينات التي أقامها الأسبان على طول الحدود الفاصلة بينهم وبين أراضي المسلمين وأجبرهم على تقديم فروض الطاعة والولاء له وعبروا عن ولائهم هذا بدفع الأموال أو تقديم الحـصون أو بكليهما. أما الخليفة الحكم المستنصر فاثبت انه لم يكن اقل من والده قوةً وعزماً علـى استئصال شأفة هذه الممالك والوقوف بوجهها حتى اصبحوا يفدون عليـه جماعـات تلـو جماعات للتقرب منه والتزلف إليه وعلى الرغم من أن المستنصر كان يقابل تلك الوفـود باستقبال حافل لكنه لم يغفل عن جانب الحذر والحيطة من هؤلاء النصارى وأمرائهم.

٣- شهدت الأندلس خطراً جديداً هو خطر النورمان الذين شنوا على الأندلس ثلاث هجمـات منفصلة في عصر الإمارة ونتج عن هذه الغزوات أن بـدأ الاهتمـام يـزداد بالبحريـة الأندلسية وحصنت بعض المدن الساحلية كأشبيلية مثلاً كما تعرضت الأنـدلس لخطـرهم

ثانية في عصر الخلافة لا سيما في عهد الخليفة الحكم المستنصر الـذي حـرص علـى التصدي لهم بقوة من خلال توجيه حملات برية وبحرية لصدهم وبث العيون والجواسيس لتتبع أخبارهم ومعرفة وجهتهم والاستعداد لرد غاراتهم . كما اهتم ببناء المزيد من القـوة البحرية وهذا ما جعل النورمان يلوذون بالفرار ولم يعـودوا إلـى مهاجمـة الـشواطئ الأندلسية ثانية .

٤- كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب العربي بمثابة خطر آخر اسـتهدف أمـن وسـيادة الأمويين في الأندلس وقد شعر الناصر بجسامة هذا الخطر فاخذ يتصدى لهم بكل ما أوتي من قوة وحسن سياسة فاتجه إلى الاهتمام بالبحرية الأندلسية لاستخدامها في الـدفاع عـن الشواطئ الأندلسية المواجهة لدولتهم وفي بسط النفوذ الأموي على المغرب الأقصى الذي اتخذه بمثابة خط دفاع أمامي عن الأندلس كما عمل على كسب ولاء الأمـراء وزعمـاء القبائل في العدوة المغربية ومدهم بأسباب القوة والتمرد على الفاطميين كما أعلن الناصـر الخلافة الأندلسية سنة (٣١٦هـ-٩٢٨م) وذلك لتكون أسلحة الطرفين متكافئة . وقد سار الخليفة الحكم المستنصر على سياسة والده من حيث الاهتمام بالمغرب والحـرص علـى إبقاء النفوذ الأموي قائماً بالمغرب حتى بعد رحيل الفاطميين إلى مصر لأهميـة المغـرب الكبيرة للأندلس .

٥- اثبت البحث انه على الرغم من كل التحديات الداخلية والخارجية التي واجهتهـا الأنـدلس خلال هذه المدة فقد ازدهرت الدولة الإسلامية في الأندلس ازدهاراً كبيراً ليس من الناحية السياسية وقوة الخلافة فحسب بل من حيث النهضة العلمية وتطور العمران نتيجة للعنايـة الفائقة التي بذلها كل من الناصر والمستنصر لرفع مستوى الحياة العلميـة والاجتماعيـة وخلق الأجواء المناسبة للابتكار والإبداع حيث وجد أهل العلم من المـشارقة والمغاربـة على حد سواء في ظل الناصر والمستنصر كل تقدير ورعاية وتشجيع أدبي ملموس مـن لدنهما ليصبح عصرهما من أزهى عصور الدولة العربية الإسلامية في الأندلس .

الملاحـــــــق

اسماء المدن الاندلسية الواردة في الرسالة وما يقابلها باللغة اللاتينية(*)

اسم المدينة باللغة العربية	اسمها باللغة اللاتينية
ابلة	Avila
اربونة	Narbonne
استجة	Ecija
استرقة	Astorga
اشبونة	Lisbon
البة	Alava
البيرة	Elvira
اوفييدو	Oviedo
ارشذونة	Archidone
ارنيط	Arnedo
اريولة(اوريولة)	Orihuela
اقليش	Ucles
اكشبونية	Ocsonoba
اوسمة	Osma
ابذة	Ubeda
باغة	Priego
باجة	Bija
ببشتر	Bobastro
برتقال(بورتو)	Porto
برغش	Burgos
بطليوس	Badajoz
بقيرة	Valtierra

(*) اعدت بالاعتماد على :

١- عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ٧٢٦/٢-٧٢٩.

٢- كاظم سعد الدين : اسماء الاماكن الاندلسية ، بحث منشور في مجلة المورد ، العدد (٣) لسنة ١٩٩٩م، ص٨٤ .

Valancia	بلنسية
Pamploba	بنبلونة
Berchules	براجلة
Tudmir	تدمير
Tudela	تطلية
Algeciras	الجزيرة الخضراء
Galicia	جليقية
Jaen	جيان
Menleon	حصن المنتلون
Aledo	حصن الييط
Huescar	حصن اشكر
Gormaz	حصن غرماج
D enia	دانية
Doroca	دورقة
Raiyo	رية
Saragoza	سرقسطة
Zamora	سمورة
Silves	شلب
Jativa	شاطبة
Sidonia	شذونة
Secunda	شقندة
Salamanca	شلمنقة
San Esteban	شنت اشتبين
Santaver	شنتبرية
Sataren	شنترين
Santiago	شنت ياقب
Segovia	شقوبية
Simancas	شنت منكش
Tarazona	طرسونة

Tarragona	طركونة
Toledo	طليطلة
Torrox	طرش
Talavera	طلبيرة
Toriosa	طرطوشة
Tarifa	طريف
Granada	غرناطة
Gaule	غاليس
Fehs Al Bolut	فحص البلوط
Gordoba	قرطبة
Cades	قادس
Carmone	قرمونة
Caazlona	قسطلونة
Calhara	قلهرة
Castella	قشتالة
Combra	قلمرية
Calatrava	قلعة رباح
Calatayub	قلعة ايوب
Coria	قورية
Clunia	قلونية
Caenca	قونقة
Alcacer dosal	قصر ابي دانس
Cova donga	كوفادونجا
Cangas	كانجاس
Leirda	لاردة
Niebla	لبلة
Alicante	لقنت
Lugo	لُك
Lorca	لورقة

مدينة سالم	Medinaceli
ماردة	Merlda
مرسية	Murcia
المرية	Almeria
مدريد (مجريط)	Modrid
مالقة	Malago
ناجرة	Najera
وادي الحجارة	Guadaljara
الوادي الكبير	Guadalquirir
وشقة	Huesca
يابرة	Evora

ملحق (١)

بنو حجاج اللخميون باشبيلية(*)

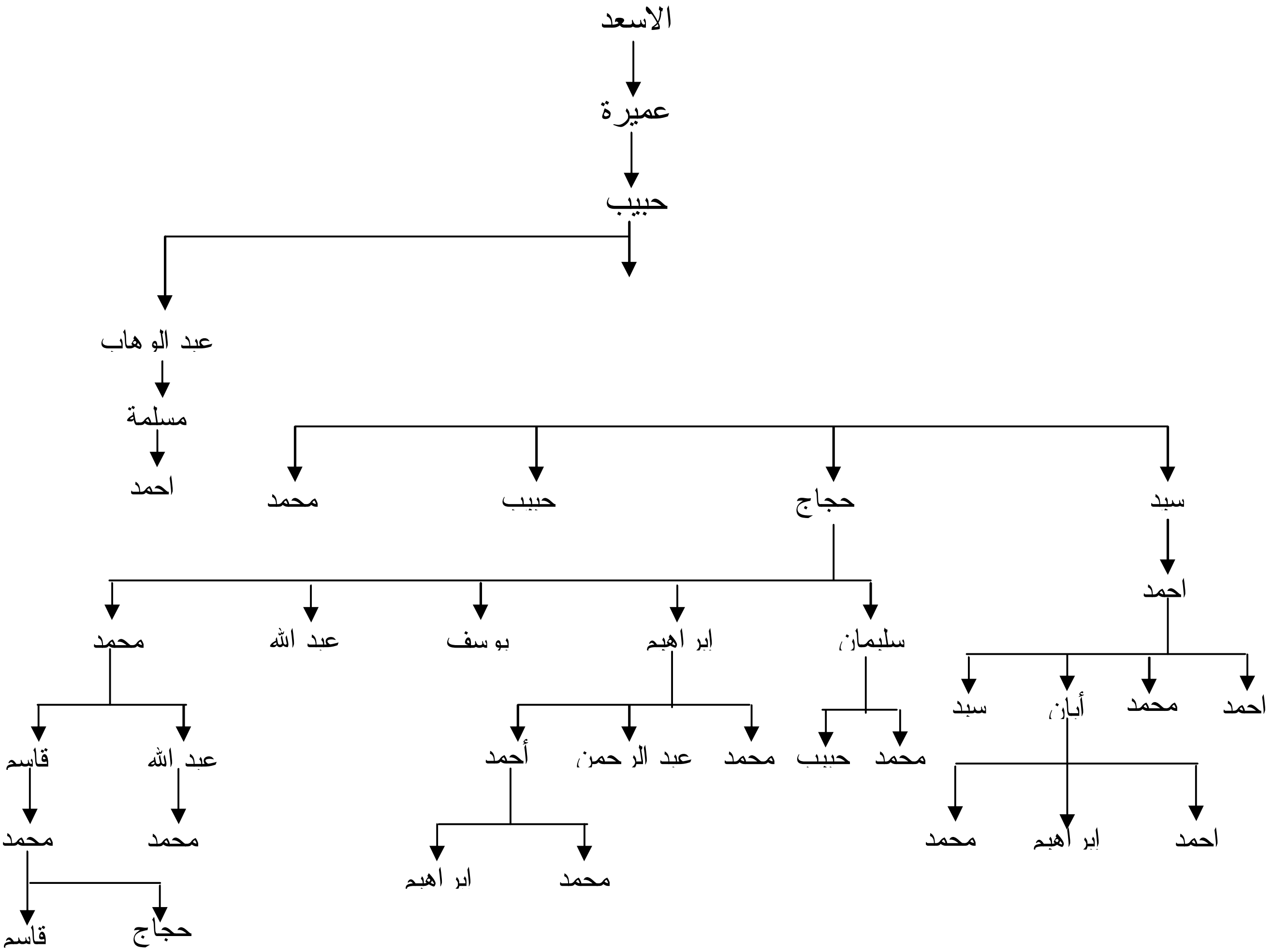

ملحق (٢)

(*) اعد بالاعتماد على :

١- ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص٤٢٤-٤٢٥ .

٢- العذري : نصوص عن الأندلس ، ص ١٠٣-١٠٤.

ملوك مملكة اشتوريش النصرانية(*)

بطرة (بيدرو)

فرويلة

الفونسو الاول
(١٢١-١٤٠هـ/٧٣٩-٧٥٧م)

اوريلوس:
(حكم القسم الشرقي(عـزل سـنة ١٧٥هـ/٧٩١م))
وحكم:
شيلو (زوج ابنه الفونسـو الاول)
(ت١٦٨هـ/٧٨٤م)

برموده

بلاي (بلايو)

اروزندا

فافيلا
(١١٩-١٢١هـ/٧٣٧-٧٣٩م)

+

فرويلا الاول
(ت١٥٩هـ/٧٧٥م)

الفونسوا الثاني
(١٧٥-٢٢٧هـ/٧٩١-٨٤٢م)

راميرو الاول
(٢٢٧-٢٣٦هـ/٨٤٢-٨٥٠م)

اردونيو الاول
(٢٣٦-٢٥٢هـ/٨٥٠-٨٦٦م)

الفونسوا الثالث (خلع)
(٢٥٢-٢٩٧هـ/٨٦٦-٩١٠م)

غرسية الاول
(٢٩٧-٣٠١هـ/٩١٠-٩١٤م)

اردونيو الثاني
(٣٠١-٣١٢هـ/٩١٤-٩٢٤م)

فرويلا الثاني
(حكم سنة بعد أخيه اردونيو الثاني)

= تابع

(*)نقلاً عن عبد الرحمن علي الحجي : تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى سقوط غرناطة ، ص ١٧٢-١٧٣

الفونسوا الرابع (اعتزل الحكم)
(٣١٣-٣٢٠هـ/٩٢٥-٩٣٢م)

ردمير الثاني
(٣٢٠-٣٣٩هـ/٩٣٢-٩٥٠م)

اردونيو الثالث
(٣٣٩-٣٤٥هـ/٩٥٠-٩٥٦م)

برمودة الثاني
(٣٧٢-٣٨٩هـ/٩٨٢-٩٩٩م)

الفونسو الخامس
(٣٨٩-٤١٨هـ/٩٩٩-١٠٢٧م)

(سانثو) شانجة الاول
(٣٤٥-٣٥٥هـ/٩٥٦-٩٦٦م)
(خلع ثم اعيد ومات مسموماً)

راميرو الثالث (خلع)
(٣٥٥-٣٧٥هـ/٩٦٦-٩٨٥م)

ملحق (٣)

بنو نجيب بالثغر الأعلى [*]

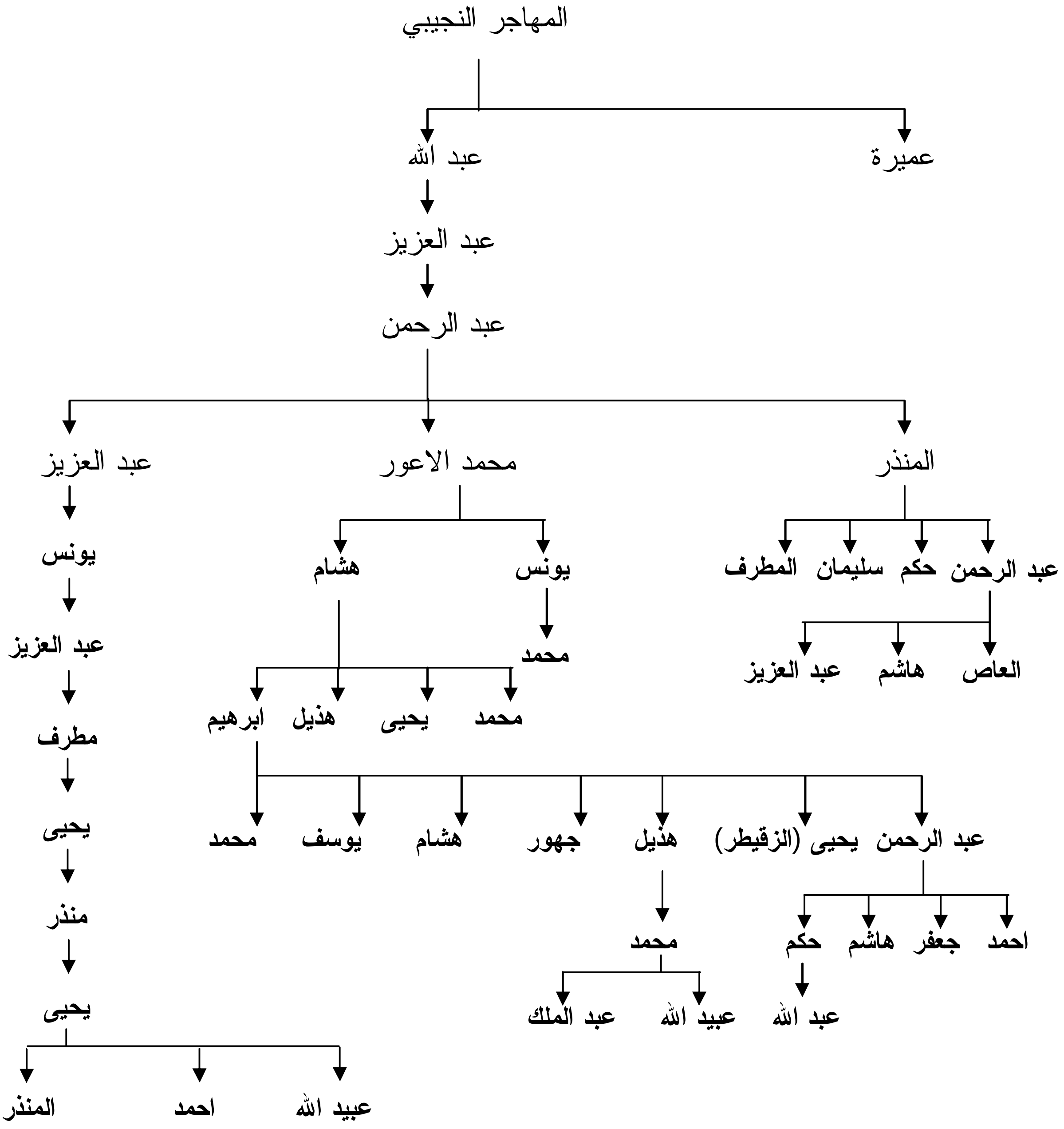

---

[*] اعد اعتماداً على :

١- ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٥٠٠ .

٢- العذري : نصوص عن الأندلس ، ص ٤١-٤٩.

ملحق (٤)

بنو خلدون في اشبيلية(*)

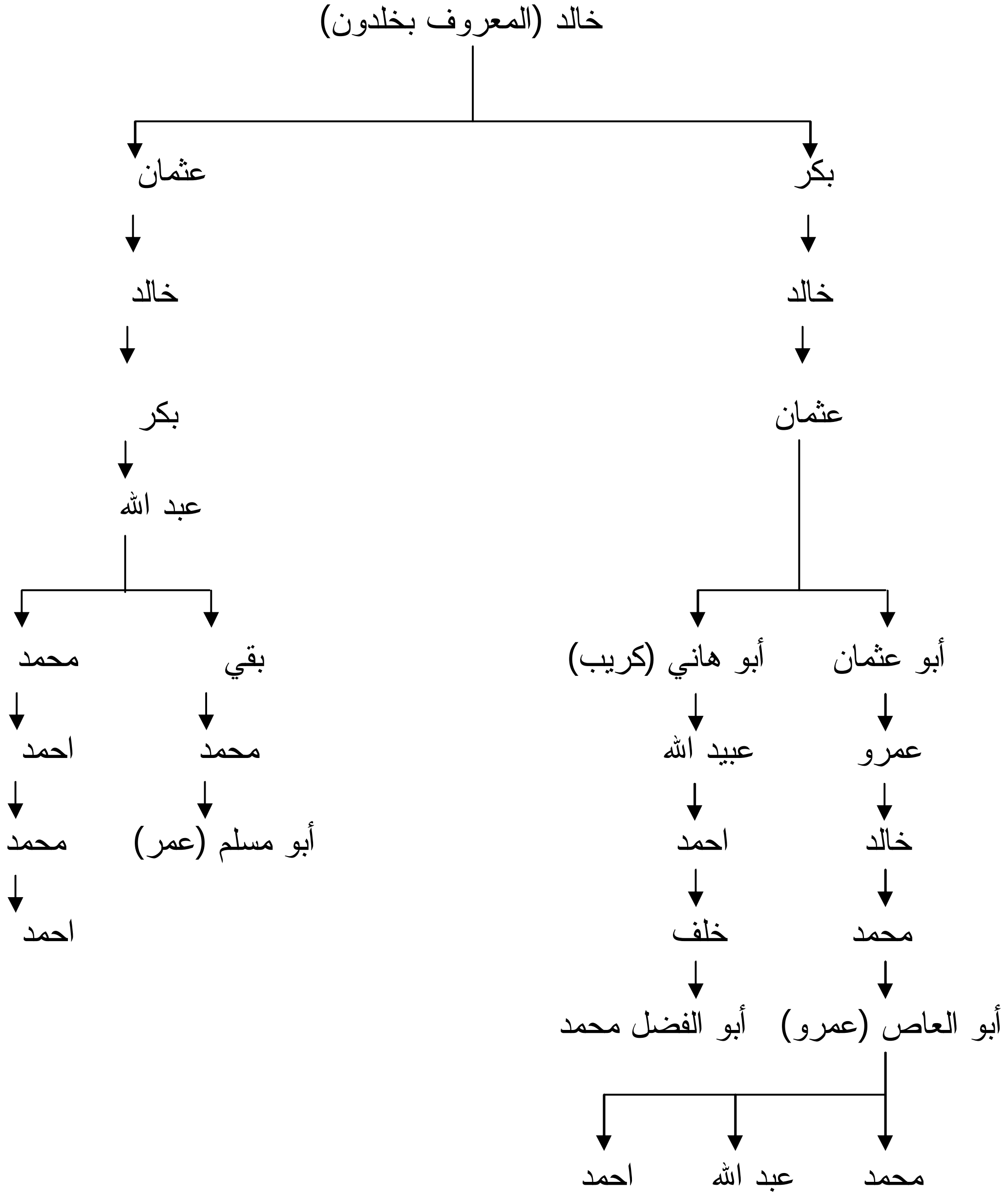

(*)اعد هذا المخطط بالاعتماد على ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٠-٤٦١.

ملحق (٥)

نسب بنو مروان الجليقي بالثغر الأدنى(*)

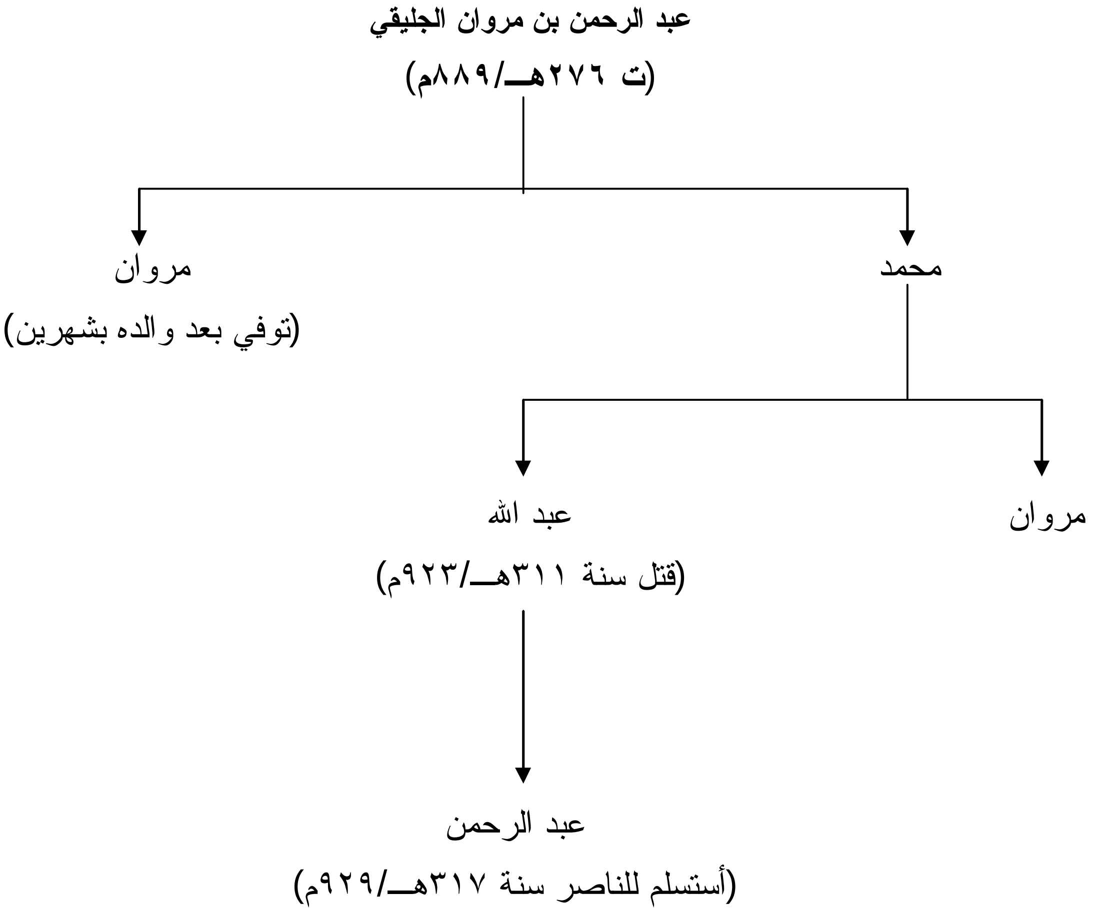

ملحق (٦)

(*) نقلاً عن : الحجي : أندلسيات، ١١٩/٢.

نسب بنو قسي بالثغر الأعلى(*)

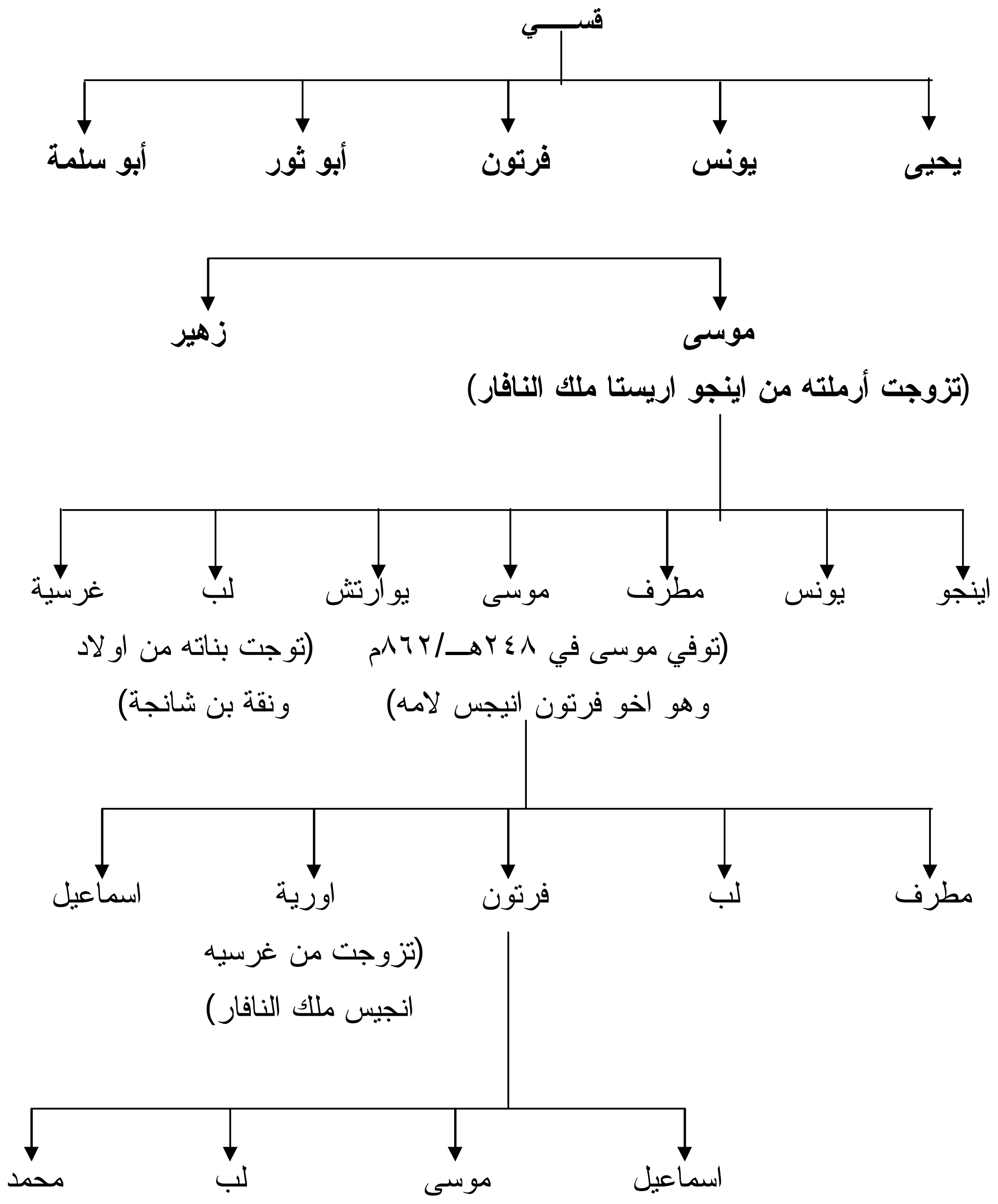

(*) نقلاً عن : عبد الرحمن الحجي : أندلسيات، ١١٥/٢.

خريطة رقم (١) : مواقع المدن الاندلسية

نقلاً عن : عبد الرحمن الحجي، تاريخ الاندلس، ص ٢٤-٢٥ .

خريطة رقم (٢) : حدود الممالك الاسبانية الشمالية

نقلاً عن عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص٢١٥ .

خريطة رقم (٣): حملات عبد الرحمن الناصر ضد ممالك اسبانيا الشمالية

نقلاً عن : Provensal : Historie de L' Espagne musulmane, Vol. 2, p. 66.

خريطة رقم (٤) : خط سير حملات النورمان على الاندلس.

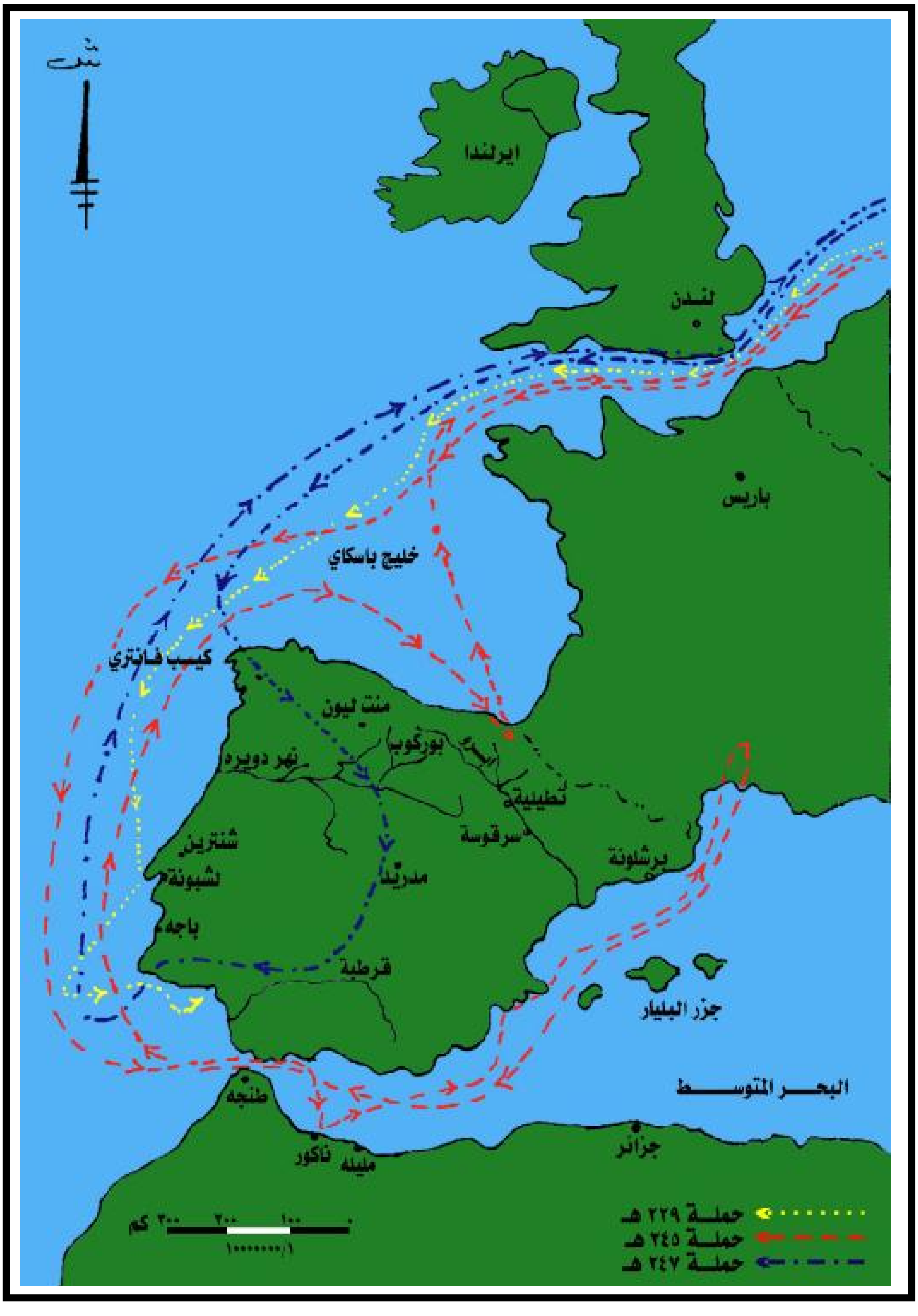

نقلاً عن الحجي: العلاقات الدبلوماسية بين الاندلس وغرب اوربا، ص١٧١.

قائمـــة

المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً- المصادر الأولية

- ابن الآبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)
١- التكملة لكتاب الصلة ، تصحيح عزت العطار الحسيني ، (القاهرة – ١٩٥٦)
٢- الحلة السيراء ، تح : حسين مؤنس ، (القاهرة – ١٩٦٣)

-ابن الأثير : عز الدين علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)
٣- الكامل في التاريخ ، دار بيروت ، (بيروت – ١٩٦٦)

-الادريسي : أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م)
٤-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة –١٩٩٤)

-الاصطخري : إبراهيم بن محمد (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)
٥-المسالك والممالك ، تح : محمد جابر عبد العال ، (القاهرة –١٩٦١)

-ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٣م)
٦-كتاب الصلة ، قسمان ، (القاهرة-١٩٦٦)

-البكري : أبو عبد الله بن عبد الله (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)
٧-جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب (المسالك والممالك) – تح : عبد الرحمن الحجي (بيروت-١٩٦٨) .
٨-المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، (الجزائر – ١٨٥٧م)

-ابن تغري بردي : جمال الدين يوسف أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)
٩-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب للطباعة ، (مصر-د.ت)

-ابن حزم : أبو محمد علي بن احمد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)
١٠-جمهرة انساب العرب ، دار الكتب العلمية ، -(بيروت – ١٩٨٣)

-ابن حماد : أبو عبد الله محمد بن علي (ت ٦٢٨هـ/١٢٣١م)
١١-أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، (الجزائر – ١٩٤٦)

-الحميدي : محمد بن أبي النصر (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)

١٢-جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، مطابع سجل العرب ، (القاهرة –١٩٦٦)

-الحموي : شهاب الدين ياقوت الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)
١٣-معجم الأدباء ، دار المأمون للطباعة ، (مصر – ١٩٣٦)
١٤- معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت – د.ت)

-ابن حوقل : أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)
١٥-صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت –١٩٧٩)

-ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٩م)
١٦- المقتبس ، نشر : ب. شالميا ، (مدريد –١٩٧٩) ، ج٥
١٧- المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تح : عبد الرحمن علي الحجي ، (بيروت-١٩٦٥)
١٨-المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، نشر : ملشور م . انطونية ، (باريس-١٩٣٧) ،ج٣
١٩-المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تح : محمود علي المكي ، (بيروت-١٩٧٣) ،ج٢

-الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م)
٢٠-الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح: إحسان عباس ، دار القلم ، (بيروت-١٩٧٥)

-الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)
٢١-شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تح : لجنة إحياء التـراث العربـي ، دار الـسراج للطباعة ، (بيروت – د.ت)

- ابن خاقان: ابو النصر الفتح بن محمد (ت ٥٢٩هـ/١١٣٥م)
٢٢- مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس، تح: محمد علي شوابكة، مؤسـسة الرسالة (بيروت-١٩٨٣)،ط١.

-الخشني : أبو عبد الله محمد بن الحارث (ت ٣٦١هـ/٩٧٢م)
٢٣-قضاة قرطبة ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت –١٩٧٩)

-ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبد الله محمد التمساني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)
٢٤-أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام ، تح : ليفي بروفنـسال ، دار المكشوف ، (بيروت – ١٩٥٦)

٢٥-أعمال الأعلام (القسم الخاص بالمغرب) تح : احمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، (الدار البيضاء-١٩٦٤) .
٢٦-الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح : يوسف الطويل ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-٢٠٠٢)

-ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت٨٨٠هـ/١٤٠٥م)
٢٧-كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة جمال للطباعة ، (بيروت-١٩٧٩)
٢٨-مقدمة ابن خلدون ، دار العودة ، (بيروت-١٩٨١)

- ابن خلكان : شمس الدين احمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)
٢٩-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت-١٩٧٧)

-ابن أبي دينار : محمد بن أبي القاسم الرعيني
٣٠- المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، تحقيق وتعليق ، محمد شمام ، (تونس –١٩٦٧)

-الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
٣١-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تح: عمر عبد السلام تدميري ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٨٩) .
٣٢-دول الإسلام ، تح: فهيم تاويت وآخرون ، مطبعة الهيئة المصرية للكتاب ، (القاهرة –١٩٧٤) .
٣٣-سير أعلام النبلاء ، تح : إبراهيم زئبق ، مؤسسة الرسالة للطباعة ، (بيروت-٢٠٠١).
٣٤- العبر في خبر من غبر ، تح : محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-١٩٨٥)

-ابن سعيد الأندلسي وأسرته
٣٥-المغرب في حلى المغرب ، تح : شوقي ضيف ، دار المعارف ، (مصر-١٩٦٤)

-السلاوي : أبو العباس احمد بن خالد (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م)
٣٦-الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، تح : جعفر الناصري وآخرون ، دار الكتاب للطباعة ، (الدار البيضاء –١٩٥٤) .

-ابن الشباط : محمد بن علي التوزري (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) .
٣٧-صلة السمط وسمط المرط (نص ابن الشباط) ، تح: احمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية ، (مدريد –١٩٧١) .

-الضبي : احمد بن يحيى (ت٥٩٩هـ/١٢٠٣م)
٣٨-بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، مطبعة روخس ، (مدريد-١٨٨٤)

-ابن أبي الضياف : احمد بن الحاج (ت ١٢٩١هـ/١٨٧٤م)
٣٩- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، المطبعة الرسمية (تونس -١٩٦٣)

-الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٣م)
٤٠-تاريخ الرسل والملوك ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، (القاهرة -د.ت)

-ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/٨٧٠م)
٤١-فتوح مصر وأخبارها ، مطبعة بريل ، (ليدن-١٩٣٠)

-ابن عذاري المراكشي : أبو العباس احمد بن محمد (ت: بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م)
٤٢-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح : س كولان وليفي بروفنسال ، (بريل-١٩٥١) ، ج٢ .
٤٣-البيان المغرب ، تح : ليفي بروفنسال ، (بيروت – د.ت) ، ج١ .

-العذري : أبو العباس احمد بن عمر (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)
٤٤-نصوص عن الأندلس (ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك) ، تح : عبد العزيز الاهواني ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد – ١٩٦٥) .

-ابن عبد ربه : احمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م)
٤٥- العقد الفريد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، (القاهرة -١٩٦٢)

-ابن غالب : محمد بن أيوب الغرناطي (من أهل القرن السادس الهجري)
٤٦-فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، نشر وتحقيق لطفي عبد البديع ، (القاهرة -١٩٥٥)

-ابن الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م)
٤٧-تاريخ علماء الأندلس ، مطابع سجل العرب ، (القاهرة -١٩٦٦)

-أبو الفدا : عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)
٤٨-تقويم البلدان ، مطبعة المثنى ، (بغداد -د.ت)

٤٩-المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية ، (مصر – د.ت)

-القاضي عياض : عياض بن موسى (ت: ٥٤٤هـ/١١٤٩م)
٥٠-ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك ، تح : احمد بكير محمود ، (بيروت –١٩٦٥)

-القاضي النعمان : النعمان بن محمد (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م)
٥١-رسالة افتتاح الدعوة ، تح : وداد القاضي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-١٩٧٠)
٥٢-المجالس والمسايرات ، تح : محمد الحبيب وآخرون ، المطبعة الرسمية التونسية ، (تونس-١٩٨٧)

-القالي : أبو علي إسماعيل بن القاسم (٣٥٦هـ/٩٦٦م)
٥٣-الامالي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت)

-القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت : ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)
٥٤-آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت –١٩٦٠)

-ابن القوطية : أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)
٥٥-تاريخ افتتاح الأندلس ، تح: إبراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري ، (القاهرة –١٩٨٩).

-ابن كردبوس : أبو مروان عبد الملك التوزري ، (من علماء القرن السادس الهجري)
٥٦-الاكتفاء في أخبار الخلفاء (تاريخ الأندلس) ، تح : احمد مختار العبادي ، (مدريد –١٩٧١)

- مؤلف مجهول :
٥٧- أخبار مجموعة عن فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ، تح : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري ، (القاهرة –١٩٨٩) .

-مؤلف مجهول
٥٨-ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق وترجمة : لويس مولينا ، (مدريد-١٩٨٣)

-مؤلف مجهول
٥٩-فتح الأندلس ، نشر : دون خواكين دي جونثالث ، (الجزائر-١٨٨٩)

-مؤلف مجهول
٦٠-الاستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد –١٩٨٦)

-مؤلف مجهول
٦١-نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى المنتخبة من كتـــاب مفـــاخر البربـــر ، اعتنى بنشره ليفي بروفنسال ، المطبعة الجديدة ، (رباط الفتح –١٩٣٤)

-المراكشي : محي الدين عبد الواحد بن علي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)
٦٢- المعجب من تلخيص أخبار المغرب ، تح : سعيد محمد العريان ، (القاهرة –١٩٦٢)

-المقريزي : احمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
٦٣- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-٢٠٠١)
٦٤-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المسمى بـــ(الخطط المقريزية) ، مطبعة الساحل الجنوبي ، (لبنان-د.ت)

-المسعودي : أبو الحسن محمد بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م)
٦٥-مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، (صيدا-١٩٨٨)

-المقري : شهاب الدين احمد بن محمد (ت : ١٠٤١هـ/١٦٣١م)
٦٦-أزهار الرياض في أخبار عياض ، تح : مصطفى السقا وآخـــرون ، مطبعـــة فـــضالة ، (الرباط –١٩٧٨)
٦٧-نفح الطيب من عض الأندلس الطيب ، تح : يوسف الشيخ محمد ، دار الفكر للطباعـــة ، (بيروت – ١٩٩٨) .

-ابن منظور : محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)
٦٨-لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت –١٩٩٧م)

ثانياً- المراجع

- ارسلان: شكيب
٦٩- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،منشورات دار مكتبـــة الحيـــاة، (بيـــروت –د.ت).

- أرنولد : السير توماس
٧٠- الخلافة، تر: حسن حيدر اللبناني، دار العزاوي، (بغداد-١٩٦١).

-إسماعيل : محمود
٧١- الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، (بيروت-١٩٧٦).

- بالنثيا : انخل جونثالث
٧٢- تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ١٩٥٥).

- بدر : احمد
٧٣- تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة)، (دمشق-١٩٧٤).

- بيضون : إبراهيم
٧٤- الدولة العربية في إسبانيا، دار النهضة العربي، (بيروت-١٩٧٨).

- بروفنسال : ليفي
٧٥- حضارة العرب في الأندلس، تر: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة،(بيروت-د.ت).

- ثامر : عارف
٧٦- القائم والمنصور الفاطميان أمام ثورة الخـــوارج، دار الآفـــاق الجديـــدة، (بيـــروت-١٩٨٢)،ط١.

- الحجي : عبد الرحمن علي
٧٧- أندلسيات، دار الإرشاد للطباعة، (بيروت-١٩٦٩).
٧٨- تاريخ الأندلس من الفتح حتى ســقوط غرناطـــة، دار القلـــم للطباعـــة، (بيـــروت-١٩٧٦)،ط١.

- حسن: حسن إبراهيم
٧٩- تاريخ الإسلام السياسي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة-١٩٦٥)،ط٧.
٨٠- تاريخ الدولة الفاطمية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة-١٩٥٨).
٨١- المعز لدين الله الفاطمي، مطبعة السنة المحمدية ، (القاهرة –١٩٦٣)، ط٢.

- حسن : حسن علي
٨٢- دراسات في تاريخ المغرب العربي، مكتبة الشباب للطباعة، (القاهرة-١٩٧٨).

- حمادة : محمد ماهر
٨٣- الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال أفريقية، مؤسسة الرســالة للطباعــة، (بيروت-١٩٨٠).

- الحمد : عادلة علي
٨٤- قيام الدولة الفاطمية، دار الصفا للطباعة، (القاهرة-١٩٨٠).

- الدوري : إبراهيم ياس خضير
٨٥- عبد الرحمن الداخل في الأندلس، دار الحرية للطباعة، (بغداد-١٩٨٢).

- الدوري : تقي الدين عارف
٨٦- صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية، دار الطليعة للطباعــة، (بيــروت-١٩٨٠).

- دوزي : رينهارت
٨٧- تاريخ مسلمي اسبانيا، تر : حسن حبش ، دار المعارف للطباعة، (القاهرة-د.ت).

- راضي : علي محمد
٨٨- الأندلس والناصر، دار الكاتب العربي، (القاهرة-١٩٦٧).

- رينو : جوزيف
٨٩- الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرن الثامن-التاسع المــيلادي، تر: إسماعيل العربي، دار الحداثة للطباعة، (الجزائر-١٩٨٤).

- سالم : السيد عبد العزيز
٩٠- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف للطباعة، (القاهرة-١٩٦٢).
٩١- تاريخ مدينة المرية، دار النهضة العربية للطباعة، (بيروت-١٩٦٩).
٩٢- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية، (بيروت-١٩٧٢).
٩٣- المغرب الكبير، الدار القومية ، (القاهرة-١٩٦٦).

- السامرائي : خليل إبراهيم وآخرون
٩٤- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب للطباعة، (موصل-١٩٨٠).
٩٥- الثغر الأعلى الأندلسي، مطبعة اسعد، (بغداد-١٩٧٦).

- سرور : محمد جمال الدين
٩٦- سياسة الفاطميين الخارجية، دار الحمامي للطباعة، (القاهرة-١٩٦٧).

- صالح : مرمول محمد
٩٧- السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديـوان المطبوعـات الجامعية، (الجزائر-١٩٨٣).

- الصوفي : خالد
٩٨- تاريخ العرب في الأندلس، دار النجار للطباعة، (بيروت-١٩٩٧).

- أبو ضيف :مصطفى
٩٩- القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة، (الدار البيضاء-د.ت)

- طه : عبد الواحد ذنون
١٠٠- دراسات أندلسية، دار الكتب للطباعة ، (الموصل-١٩٨٦).
١٠١- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي شمال أفريقيا والأندلس، دار الرشيد للطباعـة، (بغداد-١٩٨٢).

- الطويل : محمد أمين غالب
١٠٢- تاريخ العلويين ، دار الأندلس للطباعة، (بيروت-١٩٦٦).

- عاشور : سعيد عبد الفتاح

١٠٣- تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، (بيروت-١٩٧٢).

- العبادي : احمد مختار، السيد عبد العزيز سالم
١٠٤- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية-د.ت).
١٠٥- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (الإسكندرية-١٩٦٨).
١٠٦- في التاريخ العباسي والأندلسي، (بيروت-١٩٧٢).
١٠٧- في تاريخ المغرب والأندلس، دار الحرية ،(بغداد-١٩٧٧).

- عبد الحميد : سعد زغلول
١٠٨- تاريخ المغرب العربي، دار المعارف للطباعة، (الإسكندرية-١٩٧٩)

- عبد المولى : محمد احمد
١١٩- القوى السنية في المغرب، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية-١٩٨٥).

- عنان : محمد عبد الله
١١٠- الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مؤسسة الخانجي، (القاهرة-١٩٦١).
١١١- تراجم إسلامية (شرقية وأندلسية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة-١٩٧٠).
١١٢- دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة المدني، (مصر-١٩٨٨).

- العزي : نجلة إسماعيل
١١٣- قصر الزهراء في الأندلس، دار الحرية ، (بغداد-١٩٧٧).

- العقاد : عباس محمود
١١٤- فاطمة الزهراء والفاطميون، دار الهلال للطباعة، (القاهرة-د.ت).

- عمران : محمود سعيد
١١٥- معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى،دار النهضة العربية ، (بيروت-١٩٨٦).

- العميد : طاهر
١١٦- آثار المغرب والأندلس، دار الكتب للطباعة، (بغداد-١٩٨٨).

- الغنيمي : عبد الفتاح مقلد
١١٧- كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثماية قرون، (بغداد-١٩٩٣).

- فريمان، جرانفيل

١١٨-التقويمان الهجري والميلادي، ترجمة حسام محيي الدين الآلوسي، مطبعة الجمهوريــة، (د.م-١٩٧٠).

- فيشر : أ. ل
١١٩- تاريخ أوربا في العصور الوسطى، تر: محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، دار المعارف للطباعة، (مصر-١٩٥٧).
- لورد : دورثي
١٢٠- إسبانيا شعبها وأرضها، تر : طارق فودة ، مكتبة النهضة المــصرية، (القــاهرة-١٩٦٥).

- الهاشمي : تهامي راجي
١٢١- الأبواب بالأندلس، مطبعة فضالة، (الرباط-١٩٧٩).

- هلال : جودة وآخرون
١٢٢- قرطبة في التاريخ الإسلامي، دار القلم للطباعة (القاهرة-١٩٦٢)

- هينتس: فالتر

١٢٣- المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامــل العــسلي، (عمان-١٩٧٠).

- محمد : سوادي عبد
١٢٤- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مطبعة التعليم العالي ، (البصرة-١٩٨٩)

- المكي : محمود علي
١٢٥- التشيع في الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة-١٩٧٩).

- المعاضيدي : خاشع
١٢٦- تاريخ الدولة العربية في الأندلس، مطبعة التعليم العالي، (بغداد-١٩٨٨).

- مؤنس :حسين
١٢٧- شيوخ العصر في الأندلس، الدار المصرية للطباعة، (القاهرة-١٩٦٥).
١٢٨- فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة ، (القاهرة-١٩٥٩).
١٢٩- معالم تاريخ المغرب والأندلس، مطبعة المستقبل، (القاهرة-١٩٨٢).
١٣٠- موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة-د.ت).

- المزروع : وفاء عبد الله
١٣١- الخليفة الأموي الحكم المستنصر، الدار السعودية للطباعة، (جدة-١٩٨٢).

- متز : آدم
١٣٢- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد أبو ريدة ، دار الكتاب العربي ، (بيروت-١٩٦٧).

- مصطفى : إبراهيم وآخرون
١٣٣- المعجم الوسيط ، المكتبة العلمية، (طهران-د.ت).

ثالثاً- البحوث والمجلات

- احمد : نهلة شهاب
١٣٤- إمارة نكور (بنو صالح الحميري) في المغرب العربي نهاية القرن الأول وبداية القرن الخامس الهجري، مجلة التربية والعلم، العدد(١)، (الموصل-١٩٩١).

- بدر : احمد
١٣٥- الحياة الفكرية في الأندلس، مجلة دراسات تاريخية، العدد (١٩-٢٠)،(دمشق-١٩٨٥).

- أبو دياك : صالح فياض
١٣٦- الجيش في الأندلس زمن الإمارة والخلافة الأموية، المجلة التاريخية، العدد (٧٧).

- الصباغ :لمياء عز الدين
١٣٧- قيام دولة الادارسة، مجلة التربية والعلم، العدد (١٠)، (الموصل-١٩٩١).

- أبو صالح : وائل

١٣٨- جهود الحكم المستنصر في تطوير الحركة العلمية في الأنــدلس، مجلــة دراســات أندلسية، العدد(٦)، سنة ١٩٩١.

- القاضي : وداد
١٣٩- الدعوة العبيدية الإسماعيلية في أفريقيا والمغرب نموذج للحركة الثورية المــسلحة، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد (٣)، سنة ١٩٧٨-١٩٧٩.

- الكبيسي : خليل إبراهيم
١٤٠- تشجيع الحكم المستنصر للحركة العلمية في الأنــدلس، مجلــة المــؤرخ العربــي، العدد(٤١-٤٢)، (بغداد-١٩٩٠).
١٤١- غزوات النورمانيين على الأندلس في عصر الإمــارة الأمويــة، مجلــة المــؤرخ العربي، العدد (٤٠)، سنة ١٩٨٩ .
- مطلوب : ناطق صالح
١٤٢- غارات النورمان على الأندلس في عصر الإمارة، مجلة آداب الرافدين، العدد(٣٤) سنة (٢٠٠١).

- موسى : لقبال
١٤٣- حركة الصراع بين الأمويين والفاطميين في القرن ٤هـ/١٠م، بحث منــشور فــي مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢١، لسنة ١٩٨٢م.

- الوزاد : محمد
١٤٤- حضور مذهب ابن مسرة في الأندلس خلال القرن الرابع الهجــري، مجلــة كليــة الآداب، العدد (٧) ، (فاس-١٩٧٣).

رابعاً- الرسائل الجامعية المطبوعة

- احمد : نهلة شهاب
١٤٥- الأهمية السياسية والعسكرية لمضيق جبل طارق في تاريخ المغرب والأندلس مــن الفتح حتى السقوط، رسالة دكتوراه غير منشورة، (الموصل-١٩٩٦).

- حمزة : فائزة عباس

١٤٦- التحديات الخارجية للأندلس في عصر الإمـارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، (الموصل-٢٠٠١م).

- الدليمي : احمد صالح مهدي

١٤٧- تنظيمات الجيش في الأندلس في العصر الأموي (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد-١٩٨٩).

- صادق : جعفر حسن

١٤٨- الرحلات العلمية في الأندلس إلى المشرق في عصر الإمـارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (الموصل-١٩٨٥).

- النقيب : أحلام حسن

١٤٩- الخلافة في الأندلس، (٣٥٠-٣٦٦هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، (بغداد-١٩٩٢).

- مطلوب : ناطق مطلوب

١٥٠- فهارس الشيوخ والعلماء في المغرب والأندلس، رسالة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة-١٩٧٨).

- محمد : فراس غانم

١٥١- مدينة سبته منذ الفتح وحتى نهاية دولة المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة ، (الموصل-٢٠٠٠).

- محمد : عواد صالح

١٥٢- الأندلس في عهد الطوائف الأولى، رسالة ماجستير غير منشورة، (الموصل-١٩٨٦).

- Arie : Rachel

153- Unefigure de pyouede L'Espagne Musulmane, (Tunis-1993), Dozy:R.

154- Histoire des Musulmans D'Espagne, (Leyden-1932), Vol.2 EL-Hajji : A.A.

155- Andalusion diplomatic relations with western Europe during the Umayyad period, (Beirut-1970-provencal:Levi.

- Provencal: Live

156- Histoire de L'Espange Musulmane, (Paris-1953).3, Tome.
157- Una Cronica Anont made [C] Abdal-Rahman III Al-Nasir, (Madrid-1950).

- Sanduders : J.J
158- A History of Medieval Islam, (London-1965)

-Laroui: Abdauah

159- The history of Maghrib (New Jersey-1977).

-Lean-pool : S.
160- The Moors in Spain, (Buirut-1967)

- Trend : T.B.
161- The Civilization of Spain, (London-1967)

- Watt. M.
162- A History of Islamic Spain, (London-1967)

THE INTERNAL AND EXTERNAL CHALLENGES WHICH FACED ANDALUS DURING THE PERIOD (300-366 A.H/ 912-976 A.D)

A thesis submitted
By

Intisar Mohammed Salih Al- Dulaymi

To
The council of the college of Arts
Mosul University

As a partial fulfillment of the Requirements for the Master Degree
In
Islamic History

Supervised by

Prof. Dr. Natiq Salih Matlub

2005 A.D ***1426 A.H***

ABSTRACT

The period between (612-976 A.D / 300-366 A.H) is considered one of the most flourished ages of Andalusian history. Andalus became during it the first state in the Islamic world. The studiers of this age find it full of many features that distinguished it from the previous ones, this age was apogressed and flourished age in various fields espicially after requiring the political unity of the country in the time of the Caliph Abdul- Rahman Al- Nasir. I had choosen this study for the previous mentioned features and to know the nature of the internal and external challenges that faced Andalus in this period.

The thesis based on four chapters which are:

The preface dealt with the subject of the princes' age Abdu-Allah bin Mohammed and the rebellion's movement which raised against Cordoba's government in his reign.

The first chapter searched the internal political situation of Andalus during the period (912-876 A.D / 300-366 A.H). It is devided into two parts the first one dealt with age of Abdul-Rahman Al-Nasir it included his name, descent and works such as destroying the rebels, declaring the Andalusian Caliphat and building Al-Zahra' city while the second part dealt with the age of the Caliph Al-Hakam Al-Mustansir and the scientific progress that his age had witnessed.

The second chapter presented the foundation of the northern Spanish Kingdoms which were among the challenges faced Islamic state in Andalus from the beginning of its foundation. I handaled rising of these states from the age of governor still the reign of prince Abdul-Allah and the policy of Umayyad princes against these Kingdoms.

The third chapter was entitled (Audalus and the external dangerous during the period (912-976 A.D / 300-366 A.H). It is divided in to two parts, the first one dealt with the relations between Andalus and Spanish Kingdoms during the mentioned period, the second one dealt with the Norman danger it is known the stock of these nations, then their invasions on Andalus in the Emirate and Caliphats age.

The fourth chapter dealt with another challenge faced Andalus which is the Fatimid states in Moroco this chapter dealt with the foundation of Fatimid states in Moroco and the conflect between Andalus

and Fatimid states during the reign of Abdul-Rahman Al-Nasir and the policy of Al-Hakam Al-Mustansir towards the Fatimids.

Following are conclusions arrived at by the researcher:

1. The Caliph Abdul-Rahman Al-Nasir could rise Andalus and save it from the bad sitiuation by following central and internal policy by joining the regions of states with the central authority actually.

2. The Caliph Abdul-Rahman could through his relations with the Spanish Kingdoms limit the activity of these Kingdoms and wake them in a permanent defensive position by following an offenssive policy against them he didn't give them the opportunity to gether their forces.

3. Al- Nasir and Al-Mustansir after him, through their relation with the Fatimid state, paied ahention to Andalusian naval to use it as a weapon to repel the ambitious of Fatimids in Andalus and extending Umayyed influence in the farther Moroco, which was taken by Umayyeds as a front defensive line for Andalus. Both of them attracted the tribesmen princes and leaders in Moroco and using them as a weapon against Fatimids. Al-Nasir declared Andalusian Caliphat to make the weapons of both sides equivalent.

4. The research proved that although all the internal and external challenges which faced Andalus during this period, Islamic state flourished greatly in Andalus not from the politicals side and the power of Caliphate only, but from the scientific progress and the development of building.